د. أحمد عبد الرازق أحمد



البذل والبرطلة

زمن سلاطين المماليك

(دراسة عن الرشوة)

الهيئة المصرية العامة للكتاب

البذل والبرطلة

زمن سلاطين المماليك

(دراسة عن الرشوة)

د. أحمد عبد الرازق أحمد

أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية المساعد

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٩

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« لعن الله الراشي والمرتشي »
حديث شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

على الرغم من تقدم الدراســـات التاريخية التى تبحث فى عصر سلاطين المماليك وتنوعها في الوقت الحاضر ، فانه لازال هناك العديد من الموضوعات التى باتت فى مسيس الحاجة الى البحث والدراســـة ، ونعنى بها الموضوعات ذات الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ، بعد أن صار هذا الفرع من الدراسات الانسانية يمثل أهـــم فروع الدراسات التاريخية قاطبة ، بدليل ما ذكره العلامة ابن خلدون عند تعريفه لعلم التاريخ من أنه « يبحث في أحوال العمران والتمدين ، وما يعرض فيه للاجتماع الانسانى من العوارض الذاتية ... (١) » .

والبذل والبرطلة ونعنى بهما الرشوة بمصطلح العصر الحديث ، من أهم هذه الموضوعات ذات الطابع الاجتماعى ، والاقتصادى ، لأنهـــا تعطينا صورة واضحة لما أصاب المجتمع الاسلامى والجهاز الادارى زمن سلاطين المماليك من تفكك وانحلال ، نتيجة لتأصل هذه الظاهرة فى ذهن كل من الحاكم والمحكوم ، خاصة بعد أن صارت تمثل موردا هاما من موارد الدولة الأساسية .

لذلك فهى فى حاجة الى دراسة وافية ، لا سيما وأنها لم تحظ حتى الآن بالعنـــاية اللازمة من قبل الباحثين ، بدليل أن الدراســـات التى تعرضت لها ، ما زالت فى مهـــدها ولم تتعد فى الغالب ســـوى بضعة اشارات بسيطة وردت ضمنا فى بعض مؤلفات المستشرقين والعرب مثل تلك الســـطور القليلة التى دونهـــا للمرة الأولى المستشرق الفرنسى

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٩ .

جاستون فيت سنة ١٩٣٢ فى أحد مؤلفاته عن التاريخ المصرى الوسيط (١) ، والدراسة القيمة التى عقدها الأستاذ الدكتور أحمد دراج سنة ١٩٦١ فى رسالته عن مصر تحت حكم الأشرف برسباى (٢) ، كذلك تلك الاشارة الموجزة التى وردت فى كتاب الأستاذ الدكتور سعيد عاشور عن المجتمع المصرى فى زمن سلاطين المماليك (٣) ، يضاف اليها عدة أسطر فى بحث للزميل حامد زيان عن الأزمات الاقتصادية فى مصر (٤) ، وبضعة صفحات نشرت حديثا ، تعرضنا فيها لهذه الظاهرة من خلال بحثين لنا عن الحسبة المملوكية (٥) ٠

وعلى هذا فقد بات واضحا ان هذه الظاهرة لازالت بحاجة ماسة الى بحث خاص يتعرض لها فى شىء من التفصيل نظرا لتزايدها المطرد بصفة خاصة زمن المماليك الجراكسة ٠ وهذا ما سيجده القارىء فى الكتاب الذى نقدمه اليوم الى المكتبة التاريخية العربية ٠

ومن المعروف أن دراسة هذه الظاهرة الاجتماعية فى المجتمعات الحديثة تعتمد أساسا على عدة أبعاد أهمها ، البعد الاجتماعى ، والبعد السياسى ، والبعد التاريخى ، والبعد الاقتصادى ، والبعد الفردى ، والبعد المؤسسى ، والبعد الاحصائى وأيضا البعد الثانوى ٠ وهى تكمل بعضها البعض ، ولا يمكن تغافل أى منها حتى يمكن فهم هذه الظاهرة فهما واضحا (٦) ٠

بيد أننا لا نستطيع فى الواقع أن نطبق هذه النظريات الحديثة فى

---

(١) Hautecour et Wiet, Les mosquées du Caire, Paris, 1932, I, p. 83.

(٢) Ahmad Darrâg, L'Egypte sous le règne de Barsbây, Damas, 1961, pp. 110-132.

(٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ٠

(٤) حامد زيان ، الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٧ ، ٦٥ ٠

(٥) Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba et le muhtasib au temps des mamlûks en Egypte, AI, XIII, pp. 126-129; Les muhtasibs des Fostât au temps des mamlûks, AI, XIV, p. 144.

(٦) شادية قناوى ، ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى ، رسالة ماجستير قدمت لجامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٣ ٠

دراستنا للرشوة زمن سلاطين المماليك نظرا لتشعب هذه الأبعاد ، وحاجتها الى عدة تخصصات متباينة ، مما قد لا يتوافر لدينا في ضوء المعلومات التي احتفظت لنا بها المصادر المعاصرة • فضلا عن أنه من الخطأ البين أن نحكم على هذه الظاهرة بعقلية ومنطق العصور التي نعيشها الآن •

ولذلك فسوف يلاحظ القارىء أن دراستنا لهذه الظاهرة قد اقتصرت على الأبعاد التاريخية والاجتماعية والاقتصادية بقدر الامكان لعدة أسباب منها أن تاريخ هذه الفترة كان ربيب السلاطين والأمراء ، ولمبالغة بعض هؤلاء الكتاب في الأرقام التي وردت في كتاباتهم عن المبالغ التي كانت تبذل على الوظائف المختلفة من عسكرية وديوانية ودينية ، ولاتهام بعضهم البعض بتناول الرشوة اما حقدا وحسدا ، خاصة من أولئك الأفراد الذين تمتعوا بالحظوة لدى سلاطين هذه الدولة ، أو بدافع من التنافس على وظيفة معينة مما جعلهم يرمون بعضهم البعض بأبشع الصفات وأحطها •

ويزيد من صعوبة هذا البحث أننا نفتقر الى الوثائق المادية التي تنهض دليلا على صحة المبالغ المذكورة في المصادر التاريخية والأدبية ، فيما عدا مجموعة من المراسيم التي كانت تصدرها الدولة من حين وآخر لأبطال تلك المقررات التي كان يأخذها بعض موظفي الدولة في صورة اتاوات شهرية من الناس دون وجه حق مثل القضاة وكتاب السر وموظفي الحسبة وغيرهم •

ولقد راعينا في تقسيمنا لهذا الموضوع أن نبدأه بدراسة عامة لتاريخ الرشوة قبل عصر المماليك ، في محاولة لتتبع هذه الظاهرة منذ بداية العصر الاسلامي حتى قيام دولة المماليك ، أعقبناه بفصل آخر عن سلاطين المماليك الذين أشارت اليهم المصادر المعاصرة بأصبع الاتهام ، ورمتهم بتناول الرشوة وبالانغماس فيها • تلاه فصل ثالث عن الوظائف العسكرية التي كانت تولى بالبذل والهدايا مثل نيابة السلطنة ، والأتابكية ، والدوادارية والحجوبية ، والأستادارية ، ونقابة الجيوش ، والولاية ، وغيرها من الوظائف الأخرى المتعلقة بطبقة المماليك •

أما الفصل الرابع فقد اقتصر على دراسة الرشوة في مجال الوظائف الديوانية ، ونعني بها الوزارة وكتابة السر ، ونظر الخاص ، ونظر الدولة ، ونظر الجيش ونظر الاسطبلات السلطانية وكل ما يندرج تحت هذا العنوان من الوظائف •

وفى الفصل الخامس تتبعنا سريان هذه الظاهرة فى ميدان الوظائف الدينية مثل القضاء ووكالة بيت المال ، والحسبة ، ومشيخة الشيوخ والتداريس وغيرها •

وقد أنهينا هذه الدراسة بخاتمة تناولنا فيها أسباب انتشار هذه الظاهرة المرضية والنتائج المترتبة عليها من خلال أقوال كتاب هذا العصر •

كذلك رأينا من المناسب أن نزود هذه الدراسة بعدة ملاحق ، اختص القسم الأول منها بقوائم المبالغ التى بذلت على الوظائف المختلفة من عسكرية وديوانية ودينيه مع النص على اسم الباذل وتاريخ البذل. بالاضافة الى المصادر التى استقينا منها هذه المعلومات ، على حين اقتصر القسم الثانى على المراسيم السلطانية التى بقيت بالاسكندرية وبلاد الشام بفضل طبيعتها الجبلية لتشهد على انغماس بعض هؤلاء الموظفين الأجلاء فى الرشوة ، وعلى بعض المحاولات التى بذلتها الدولة للحد من هذه المقررات الشهرية التى اتخذت صورة اتاوات تؤخذ من الناس ظلما وعدوانا •

وفى النهاية نسأل الله أن نكون قد وفقنا فى محاولتنا هذه للكشف عن هذا الموضوع الهام ، وابراز بعض جوانبه الغامضة ، أو على أقل تقدير نكون قد نجحنا فى القاء الضوء على أخطر الظواهر الاجتماعية والاقتصادية انتشارا زمن سلاطين المماليك ، والله الموفق •

أحمد عبد الرازق

الفصل الأول

البذل والبرطلة
قبل سلاطين المماليك

البذل والبرطلة من الألفاظ الشائعة فى مصادر العصر المملوكى بصفة عامة وفى مصادر العصر الجركسى بصفة خاصة • وعلى الرغم من أن اللفظ الأول يعنى لغويا العطاء والكرم (١) ، الا أن المقصود به فى هذه المصادر هو الرشوة ، وهى كما يقول صاحب تاج العروس « الجعل » أى ما يعطيه الشخص للحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله على مايريد (٢) » • وذلك على العكس تماما من اللفظ الثانى الذى يعنى صراحة الرشوة ، اذ يقال تبرطل أى ارتشى ، وجمعها براطيل (٣) ، وهى على حد تعبير أحد مؤرخى هذا العصر « الأموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها (٤) » بالقهر والظلم •

وعلى هذا يمكننا اعتبار كل من اللفظين مرادفا لكلمة الرشوة ، تلك الظاهرة التى عانت منها مجتمعات العصور القديمة(٥) » والوسطى ، ولا زالت تعانى منها مجتمعات العصور الحديثة (٦) ، ومن ثم فقد أخذنا على عاتقنا تتبع أصولها وجذورها ، وكذا بداية نشأتها فى المجتمعات الاسلامية المبكرة من أجل التوصل الى معرفة الأسباب التى أدت الى انتشارها وذيوعها زمن سلاطين المماليك وذلك فى ضوء ما أمدتنا به المصادر التاريخية من نصوص ووثائق •

لو تركنا مصادر التاريخ المملوكى جانبا ورجعنا الى مصادر العصور السابقة لوجدنا أول اشارة الى تلك الظاهرة تتعلق بابن مسعود الذى

أخذ بأرض الحبشة فى شىء فأعطى دينارين حتى خلى سبيله ، بيد أن أئمة التابعين لايرون فيما حدث نوعا من الرشوة ، ويرون أنه لا بأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم (٧) ٠

وعلى هذا فهناك اجماع على أن أول من رشا فى الاسلام هو المغيرة ابن شعبة الذى ولى عمل الكوفة عام ٦٦٢/٤٢ من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، فحفظه على الرغم من وجـــود كثير من الشيعة والخوارج ، مستخدما فى ذلك شتى الوسائل حتى غير المشروعة منها بذل المال (٨) ٠

وتروى مصادر هـــذا العصر أيضـــا أنه فى أثناء ولاية عبد الله ابن عبد الملك على مصر غلت الاسعار عام ٧٠٥/٨٦ ، وترعت فتشاءم به المصريون ، وزعموا أنه ارتشى ، وكثروا عليه وسموه مكيســـا ، وذموه شعرا على لسان زرعة بن ســـعد الله بن أبى زمزمة الذى قال فيه عند مغادرته لمصر ٠

اذا سار عبد الله من مصر خارجا فلا رجعت تلك البغـال الخوارج

اتى مصر والمكيـال واف مغربل فمـا ســـار حتى ســـار المد فالج

ولعل هذا كان من أسباب مصادرة أخيه الوليد له بمجرد وصوله الى الأردن حاملا الأموال والهدايا والتحف التى يبـدو أنه جمعها أثنـــاء ولايته (٩) ٠

وجاء فى الكندى أيضا أن كتاب يحيى بن ميمون الحضرمى ، الذى تولى قضاء مصر عام ٧٢٣/١٠٥ من قبل الخليفة هشام ــ كانوا لا يكتبون قضية الا برشوة ، فكلم يحيى فى ذلك فلم ينكره مرة بعد مرة فلم يعزل منهم أحدا عن كتابته ، وعندما علم الخليفة بالأمر كتب بصرفه قائلا فى كتابه للوليد بن رفاعة ، والى مصر « اصرف يحيى عما يتـولاه من القضاء مذموما مدحورا ، وتميز لقضاء جندك رجلا عفيفا ، ورعا تقيا ، سليمـــا من العيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم » (١٠) ٠

وتشير مصـــادر العصر العباسى أيضـــا الى تفشى هذه الظاهرة سعيا للحصول على مناصب الدولة وأهمها الوزارة فقد كان الخاطبون لهـــا يتنافسون فى السعايات والوســـاطات ودفع الرشاوى الى القواد الأتراك ونساء القصر للوصول الى مركز الوزارة وحسبنا دليلا على ذلك ما روته هذه المصادر بصدد الربيع حاجب الخليفة المنصـــور الذى توسط ليعقوب بن داود فى منصب الوزارة برشوة مقدارها مائة ألف دينار (١١) ٠

ويفهم من مصادر هذا العصر أنه بمجرد نجاح هذا الساعى وتوليه الوزارة فانه كان يسارع الى مناظرة الوزير السابق ومطالبته بالأموال التى جمعها أثناء وزارته مستخدما في ذلك شتى أنواع المصادرة والتعذيب، بل وصل الأمر أحيانا الى الاستيلاء على أموال زوجته وأقاربه (١٢) ٠

وكان كل وزير جديد يأتى بحاشيته وأنصاره ليضعهم فى وظائف الدوله فاذا ما سقط هذا ذهب هؤلاء بذهابه ، الأمر الذى نتج عنه كثرة تغيير العمال والموظفين وزاد الأمر سوءا شعورهم بعدم الاستقرار في وظائفهم مما أضعف مركز الوزراء ، ووقف حائلا دون الاستقرار الادارى فأصاب الخلل أركان الدولة وفشا الفساد وعمت الرشوة وكثرت المظالم ، لان الوزير متى تقلد المنصب فانه كان يضع فى اعتباره استرداد ما خسره مستعينا على ذلك بشتى أنواع الوسائل مثلما كان يفعل أبو على محمد ابن عبيد الله الخاقانى الذى ولى الوزارة مدة سنتين اشتهر خلالهما بكثرة التولية والعزل ، اذ كان يعين فى المنصب الواحد رجالا كثيرين واحدا بعد الآخر ، ولم يكن ذلك عن قلة تقدير للمسئولية ، بل ليأخذ من كل منهم رشوة (١٣) ٠

وتحدثنا المصادر بصدده أنه اجتمع فى خان واحد بمدينة حلوان بالعراق سبعة أنفس ، قلد الخاقانى كل واحد منهم أعمال الكوفة فى عشرين يوما ، كما تروى أيضا انه اجتمع بالموصل خمسة آخرون قد قلدهم منصبا آخر ، وهناك تشاكوا ما بذلوه عن تقليدهم (١٤) ٠ وذكر عريب كذلك أنه قلد عمالة بادوريا فى أحد عشر شهرا ، أحد عشر عاملا (١٥) ٠

وتروى المصادر أيضا كيف عمد يحيى البرمكى الى شراء الناس بالمال فكان اذا ركب يعد صررا فى كل صرة مائتا درهم يدفعها الى المعترضين له ، أما ابنه جعفر فانه كان يحمل الدنانير مع خادمه ليشترى الناس فى حضرته بعطائه وكرمه (١٦) ٠

ونعلم أيضا ان الرشوة كانت سببا فى معاداة عرب مصر لولاة العباسيين اذ تشير المصادر الى أن بعض ولاتهم كان يقبل الرشوة مثل موسى بن مصعب الذى ولى عام ٧٨٣/١٦٧ من قبل الخليفة المهدى ، والذى تشدد على الناس وساءت سيرته وارتشى فى الأحكام ، كما رتب دراهم على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند وتشغبوا عليه ونابذوه (١٧)٠

كذلك لم يكن حال قضاة مصر زمن العباسيين أحسن بكثير من حال

ولاتها فقد عرف بعضهم بتعاطى الرشوة وبالانغماس فيها هم وكتابهم ويكفينا أن نشير هنا الى المفضل بن فضالة الذى ولى القضاء للمرة الثانية عام ١٧٤/٧٩٠ زمن الخليفة هارون الرشيد واتخذ من كاتبه فليح بن القمرى صاحبا للمسائل ليسأل الناس عن الشهود وليشهد عليهم ، « فتحدث الناس أنه كان يرتشي من أقوام ليذكرهم بالعدالة » ، ولهذا قال فيه اسحق بن معاذ :

سأدعو الهى حتى الصباح
لكيما يعيدك كلبا هزيلا
سننت لنا الجور فى حكمنا
وصيرت قوما لصوصا عدولا (١٨) .

ويفهم أيضا من قصيدة ليحيى الخولانى أن القاضى عبد الرحمن ابن عبد الله العمرى الذى ولى قضاء مصر عام ١٨٥/٨٠١ قد عرف بالانغماس فى الرشوة ، اذ يقول فيه بعد عزله وتولى هاشم بن أبى بكر البكرى لمنصبه سنة ١٩٤/٨٠٩ :

اشكروا الله على احسانه
فله الحمد كثيرا والرغب
رجع القبط الى أصلهم
بعد خزى طوقوه وتعب
ودنانير وشوها قاضيا
جائرا قد كان فينا يغتصب
أخذ الأموال منهم خدعة
وتولى عنهم ثم هرب
أبلغ البكرىَ عنى انه
عادلا فى الحكم فراج الكرب
قد أمات الجور فينا والرشا
واشاع العدل فينا فرتب

انه قد كان يقضي بالهوى
ويبيع الحـــكم جـــورا ويهب
مـــا كفته رشـــــوة ظاهـــرة
وقضـــايا جوركم فيهـــا عجب
أن أتى أعظم مـــا يأتى بـــه
أحد أن صير القبـط عربا (١٩) ٠

ويروى صاحب كتاب الولاة والقضاة بأن ابراهيم بن الجراح الذى تقلد قضاء مصر سنة ٢٠٥/٩١٩ قد تعرض لسخط المصريين عليه بسبب ابنه الذى أفسد أموره وأخذ الرشا من الناس ، مما جعلهم يلقون بمصلاه خارج المسجد الجامع فاضطر الى الجلوس للحكم فى منزله ولم يستطع العودةالى الجامع حتى صرف (٢٠) ٠

والى هؤلاء القضاة يضيف الكندى كلا من محمد بن الحسن بن أبى الشوارب المتوفى سنة ٣٤٩/٩٦٠ ، الذى « لم يكن محمــودا فى ولايته ومنسوبا الى الارتشاء فى الأحكام (٢١) » ، والقاضى محمد بن بدر الصيرفى المتوفى سنة ٣٣٠/٩٤١ ، الذى يقول عنه انه صاحب رشــوة فى قضائه ولم يكن بالمحمود (٢٢) ٠

ويبدو أن تفشى هذه الظاهرة فى دواوين العصر العباسى المصرية قد شمل أيضا اصحاب الشرطة ، اذ تتحدث المصادر فى معرض اشارتها الى ولاية كيدر نصر بن عبد الله على مصر سنة ٢١٨/٨٣٣ ، بأنه جعل على شرطته اسبنديار ، ولكن الخليفة المأمون بعث اليه برجل من العجم يقال له ابن بسطام فولاه مكانه ، بيد أن كيدر سرعان ما عزله لسوء ســيرته ولرشوة ارتشاها ، بل أمــر بضربه بالســوط فى صحن المسجد الجامع وجعل مكانه رجلا بخاريا يقال له ذاوة (٢٣) ٠

والحق أن الرشوة لعبت فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى دورا سيئا فى حياة عمال الدواوين وغيرهم خاصة بعد أن أصبح لكل شىء ثمن يبذل وخصوصا للمناصب الهامة التى يمكن أن تدر على صاحبها ربحا وفيرا ، بدليل أن القاضى حســين بن محمد الهاشمى بذل فى سنة ٢٤٩/٨٦٣ مائتى ألف درهم من أجل الحصول على قضاء البصرة ، فأخذ منه المال ولم يقلد شيئا ٠ وفى هذا يقول المؤرخ ابن تغرى بردى متشفيا : « يرحم الله من فعل معه ذلك وخاتله ، ويرحم من يقتدى بفعله مع كل ما يسعى فى القضاء بالبذل والبرطيل (٢٤) » ٠

ويبدو أن تفشي الرشوة كان سببا في تشدد بعض الخلفاء مع الولاة واقدامهم على عزل من يسيء التصرف منهم ، بل وتخصيص مكان لهؤلاء المعزولين على شاطيء دجلة أطلق عليه اسم دار خالد (٢٥) ، حيث يستخرج منهم هناك ما أخذوه ظلما ، ويكتب عليه اسم من يأخذه ، ثم يوضع فى بيت مال عرف ببيت مال المظالم (٢٦) ٠

ومع ذلك فمن الواضح أن الرشوة زمن العباسيين قد مست الخلفاء أنفسهم بدليل ما رواه الطبرى من أن الخليفة الهادى سعى لأخذ البيعة لابنه جعفر من هارون عارضا عليه فى مقابل تنازله عن ولاية العهد ألف ألف دينار (٢٧) ، ولحث بعض الخلفاء على تقديمها ، فقد حدث أن شكت احدى حظايا الخليفة مرة من مماطلة بعض أصحاب الدواوين فى تسليم اقطاع وهبه لها الخليفة ، فقال لها كان الصواب أن تبعثى اليه بثياب وألطاف ، فتستغنى عن خطابى ، ففعلت ما نصحها به ، وتم لهـا ما أرادت بدون عناء (٢٨) ٠

وكما شاعت الرشوة فى العصر العباسى ، وجـدت أيضـا زمن الاخشيديين ٠ فقد روت المصادر المعاصرة فى معرض ترجمتهـا للقاضى عبـد الله أحمد بن شعيب ، المعروف بابن وليـد ، انه كان مجاورا بمكة فاجتمع به الشهود وحسـنوا له ان يتسلم القضاء عوضا عن أخيه فسعى فى ذلك ، فأجابه كافور بعد أن بذل له مالا فوقع له بتسلم العمـل فتسلمه منه (٢٩) ٠ كما روت أيضا فى ترجمة القاضى عبد الله بن محمد بن الخصيب أنه وضع كتابا مزورا على الخليفة فى حق أبى طاهر الذهلى، قاضى دمشق ، فعزله كافور وأضاف قضاء دمشق الى ابن الخصيب قاضى مصر ، ورغم أن أبى طاهر قد سارع بارسال كتاب من بغـداد الى كافور موضحا له الأمر ومبينا له أن هذه الكتب مزورة ومدسوسة عليه ، الا أننـا نلاحظ أن كافورا لم يرجع فى قراره ، ولم يتوقف عن مسـاعدة ابن الخصيب ، بسبب تقربه الى كافور بمال أهداه له مما جعله يساعده ويعضده (٣٠) ٠

ويبدو أن حب كافور للمال وما عرف عنه من تناول الرشوة، قد شجع عبد الله بن أحمد بن شعيب المعروف بابن الوليـد قاضى مكة ، الذى عرف بخبرته فى السعى والبذل على أن يسارع بعد موت ابن الخصـيب للحصول على منصبه ، أى قضاء مصر ، فبذل لكافور ثلاثة آلاف دينار ، بيد أن الشهود وأعيان مصر أصروا على تولية آخـر بدلا منه واستقر رأيهم

على أبى طاهر الذهلى ، قاضى دمشق المعزول ، الذى كان قد دخل مصر عام ٩٠١/٣٤٠ بعد عزله ، ويقى بها الى وفاة ابن الخصيب • وعبثا حاول كافور التخلص من هذا المأزق وذلك الاصرار ، الا أنه فشل فى النهاية بعد أن ركب أبى طاهر الى دار تحرير الخادم الذى شرح لكافور مدى اصرار الشهود والأعيان على توليته ، مما جعله يرضخ فى النهاية ويقلده منصب القضاء (٣١) ، مضحيا بالمبلغ المعروص عليه ، وان كانت المصادر لم توضح لنا عما اذا كان قد رده ثانية الى ابن الوليد ، أم اختلسه وكأن شيئا لم يكن !

وتحتوى مصادر العصر الفاطمى أيضا على العديد من الحالات التى تثبت بما لا يقبل الشك أن الرشوة كانت متفشية بين أفراد هذا العصر • اذ تتهم هذه المصادر حمزة بن الغلبونى الذى استخلفه القاضى مالك ابن سعيد على الحكم عام ١٠٠٧/٣٩٨ بقلة الأمانة ، وظهور الخيانة ، ورقة الدين ، واغتصاب مال المسلمين ، والارتشاء على الحكم ، الى غير ذلك من القبائح (٣٢) •

ولعل شيوع الرشوة بين بعض قضاة هذا العصر ، كانت سببا فى أن الخليفة الحاكم قد أمر بأن يضاعف للحسين بن على بن النعمان رزقه وصلاته واقطاعاته ، حتى يحول بينه وبين أخذ الاموال بغير حق ، كما شرط عليه « ألا يتعرض من أموال الرعية لدرهم فما فوقه (٣٣) » •

كذلك شاعت الرشوة بين وزراء هذا العصر اذ يعيب مؤرخو هذه الفترة على الصالح طلائع بن رزيك حبه للمال وجمعه من أى سبيل (٣٤)، كما يستنكرون عليه بيعه الولايات لمن يزايد عليها (٣٥) ، بحيث جعل مدة الولاية سنة أو ستة أشهر فقط ، وأيضا تتبعه لأرباب البيوتات والنعم والاعيان وسلبه لنعمهم ، الأمر الذى ترتب عليه تضرر الناس من كثرة تردد الولاة عليهم • وقد كان طبيعيا أن يتبع هؤلاء الولاة نفس الأسلوب مع مرءوسيهم ، مما ادى فى النهاية الى انتشار الرشوة والفساد ، بل وارهاق عامة الشعب والفلاحين بالضرائب (٣٦) •

ويكفينا دليلا على دلك تلك الثروات الضخمة التى جمعها هؤلاء الموظفون فى أوقات قصيرة ، اذ جاء فى أحد المصادر أن أبا الفتوح موسى ابن الحسين ، أحد وزراء الخليفة الظاهر ، والذى لم يمكث فى منصبه الا أشهرا قليلة ، وجد لديه عند القبض عليه فى شوال سنة ١٠٢٢/٤١٣

من العين ستمائة وعشرين ألف دينار ، وهو مبلغ كبير اذا قيس بالمدة القليلة التى قضاها فى الوزارة (٣٧) .

ونعلم أيضا أن يعقـــوب بن كلس قد خلف جواهر قدرت قيمتها بأربعمائة ألف دينار ، وبز من كل صنف بخمسمائة ألف دينار ، عدا تركة من الأمـلاك والضـــياع والرباع والعـــين والورق وأوانى الذهب والفضـــة ، والعنبر والطيب والثيــاب والفرش والمصـــاحف ، والكتب والجوارى والعبيد ، والخيل والبغال والنوق والحمر والابل ، والغـلال وخزائن الاشربة والأطعمة التى قومت بأربعة ملايين دينار سوى ما جهز به ابنته وبلغت قيمته مائتى ألف دينار .

وتتحدث المصادر أيضا عن ثروة بدر الجمــالى الضخمة على الرغم من أن البلاد لم تكن قد برئت تماما مما أصابها من محن ، ولتخمين مقدار هذه الثروة يكفى أن نعلم أن أحد كتابه قد اشترى سمكة من عنبر بألف دينار وحرقها فى النار فى جلسة واحدة (٣٨) . كما تروى المصادر بأنه مارس الرشوة فقد دفع لبدر بن حازم مبلغ اثنى عشر ألف دينار وخلعا كثيرة فى مقابل أن يسلمه حيدرة بن ابراهيم أبو طاهر ، الذى يقال أنه سلخ جلده حيا (٣٩) . كما أطنبت الكتب التاريخية والمؤرخون فى ذكر الثروة التى خلفها الأفضـــل بن بدر الجمالى حتى ان الخليفه الآمر ظـــل أربعين يوما فى دور الأفضل ، وبين يديه الكتاب يكتبون ما ينقل الى القصر منها ، ومن الغريب أن يستطيع الأفضل جمع هذه الثروة الضخمة فى وقت كانت فيه البلاد تعانى من ويلات الحروب الصليبية وضياع ممتلكاتها فى الشام وغيرها (٤٠) .

والواقع أن دراسة هذه الثروات تدل دلالة قاطعة على الوسائل غير المشروعة التى اتبعت فى جمعها ، ويأتى على رأسها جميعا الرشوة التى شاعت خلال هذه الفترة متخذة صورا شتى منها بيع الولايات والمزايدة على الدواوين مثلما فعل أحد النصارى ويدعى بالاخرم ، اذ اســـتطاع التوصل فى أيام وزارة أبو المظفر بهرام الأرمنى ، الى ديوان النظر نظير بذل يومى قدره الف دينار ، سوى المؤن والغرامات الأخرى (٤١) .

وكما مست الرشوة خلفاء العصر العباسى فقد دنست أيضا بعض خلفاء العصر الفاطمى اذ تروى المصادر المعاصرة كيف أن الوزير عيسى بن نسطوريس عندما قبض عليه الخليفة العزيز استشفع بست الملك

ابنة الخليفة ، وقدم لخزانة العزيزة ثلاثمائة ألف دينار (٤٢) ثمنا لاطلاق سراجه .

ويتضح أيضا من مصادر العصر الايوبى ان الرشوة كانت متفشية فى بعض نواحى الجهاز الادارى فقد ذكر النابلسى ان بعض السكان القريبين من حراج السنط كانوا يقومون بقطع أخشابها فيأخذون جزءا منه لتعمير السواقي وآلات المعاصر ، ويحملون الباقي على مراكب الى ساحل مصر حيث دأبوا على دفع رشوة لتسهيل أعمالهم التهريبية ، وقيامهم ببيع تلك الأخشاب لحسابهم الخاص بأموال كثيرة (٤٣) .

ويفهم كذلك من عبد الرحمن الشيزرى أن وكلاء القضـاة قد دأبوا على أخذ الرشوة من المتخاصمين وفى هذا يقول « وأما الوكلاء الذين بين يدى القاضى فلا خير منهم ، ولا مصلحة للناس بهم فى هـذا الزمان ، لأن اكثرهم رقيق الدين يأخذ من الخصمين ، ثم يتمسكون فيه بسنة الشرع ، فيوقفون القضية ، فيضيع الحق ويخرج من بين يدى طالبه وصاحبه (٤٤) » .

ويشير المقريزى ايضا فى حوادث سنة ١٢٣٥/٦٢٣ الى تنصـيب الأنبا كيرلس بطرقا على الاسكندرية لليعاقبة عن طريق السعى والبذل بعد أن خلت أرض مصر من الأساقفة ، ويروى لنا كيف أن حبه للرياسة وجمع المال قد أثار عليه أقاربه والزامه ، فقام عليه ابن الثعبان الراهب وعانده وذكر مثالبه ، وأنه انما تقدم بالرشوة ، فلا تصح كهنويته على حكم القوانين . ومال معه جماعة وعقدوا له مجلسا بحضـور الصاحب معين الدين وأثبتوا عليه أمورا شنيعة وعزموا على خلعه ، لولا أن قام الكتاب والمستوفون بديار مصر وتحدثوا مع الصاحب معين الدين لصالحه ، فقبل أن يستمر على بطركيته مقابل مبلغ من المال يحمله الى السلطان (٤٥) ؛ وعلى هذا فقد استطاع هذا البطريك ان يشترى منصبه مرة ثانية عن طريق البذل وأن يستمر فيه حتى وفاته سنة ١٢٤٢/٦٤٠ .

ويذكر ابن واصل أن الملك الظاهر صاحب حلب قد حصل فى سنة ١٢٠٢/٥٩٩ على مبلغ عشرة آلاف دينار وضيعة تسمى القرادى من أعمال شبختان ، نتيجة لتوسطه فى الصلح بين السلطان العادل وصاحب ماردين (٤٦) .

وجاء فى أحد المصادر أيضا أن السلطان المشار اليه قد عرض على

الناصر داود أن يبعث انيه بأخيه الصالح نجم الدين في قفص حديد تحت الاحتفاظ في مقابل بذل قدره أربعمائة ألف دينار وتقليد بمدينة دمشق ، الا أن هذا العرض لم يكن مغريا بدليل ان الناصر داود كتب اليه قائلا : « ... فأما الذهب فهو عندك كثير ، وأما دمشق فاذا أخذتها ممن هي معه وسلمتها الى سلمت أخاك اليك (٤٧) » .

نخرج من هذا العرض بان الرشوة كانت متأصله في النفوس بدليل أقدام السلاطين عليها ، الا أن الحق يملي علينا أن ننزه بعض السلاطين عنها من أمثال الزيز بن صلاح الدين فقد روت المصادر أن عبد الكريم البيساني أخا القاضي الفاضل بذل له في عام ٥٩١/١١٩٤ على قضاء الاسكندرية أربعين ألف دينار مصرية ، وكان رسوله في ذلك الأمير فخر الدين جهاركس ، الذي بذل له أيضا خمسة آلاف دينار (٤٨) الا أن العزيز رفض هذا العرض في وقت كان في غاية الضرورة الى المال وقال للأمير فخر الدين « أعد المال الى صاحبه وقل له اياك والعود الى مثلها ، فما كل ملك يكون عادلا ، وعرفه انى اذا قبلت هذا منه ، أكون قد بعت به أهل الاسكندرية وهذا لا أفعله أبدا » .. فلما سمع هذا جهاركس وجم وظهر في وجهه التغيير نتيجة لهذا الموقف الذى أضاع منه الخمسة آلاف دينار ثمن وساطته ، بيد أن العزيز عوضه عنها باطلاق جهة طنبذة له ، ومغلها في السنة سبعة آلاف دينار (٤٩) .

وروى المؤرخ ابن تغرى بردى قصة أخرى مشابهة للأولى عن هذا السلطان مؤداها أن السلطان العزيز قد ضاق ما بيده بمصر ولم يبق في الخزانة درهم ولا دينار ، فجاء رجل من أهل الصعيد الى أزكش سيف الدين ، وقال : عندى للسلطان عشرة آلاف دينار ولك ألف دينار ، وتولينى قضاء الصعيد ، فدخل ازكش الى العزيز فأخبره فقال : « والله لا بعت دماء المسلمين وأموالهم بملك الأرض » ! وكتب ورقة لازكش بألف دينار قائلا « أخرج فأطرد هذا الدبر ولولاك لأدبته (٥٠) » .

مما تقدم نستطيع القول انه على الرغم مما جاء في هذه النصوص من سلبيات كرفض العزيز للاموال المبذولة له في وقت كانت فيه خزانة الدولة في مسيس الحاجة الى الدرهم الفرد ، فقد اشتملت هذه النصوص أيضا على ايجابيات تؤكد أن الرشوة كانت شائعة حتى في زمن العزيز بدليل قبول كل من جهاركس وازكش للمبالغ التى بذلت لهما ثمنا

لوساطتهما لدى السلطان ، وبذا يكون المقريزى قد صدق بعض الشىء حين كتب فى معرض حديثه عن البراطيل أن « أول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيك فى ولاة النواحى فقط ، ثم بطل وعمل فى أيام العزيز صلاح الدين أحيانا ... (٥١) » .

من هذا العرض يمكننا القول بأن الرشوة كانت موجودة منذ القرون الأولى للاسلام حيث شاعت بين الحكام والوزراء ، بين الولاة والعمال ، بين القضاة والكتاب ، متخذة صورا شتى على الرغم من تحريم الشريعة الاسلامية لها اذ لعن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم الراشى والمرتشى (٥٢) » ، كما شدد على العمال بعدم قبول الهدايا . فقد روت كتب الأحاديث النبوية أنه استعمل رجلا من الأزد يقال له ابن اللتيبة على الصدقة ، فجاء فقال : هذا لكم ، وهذا أهدى الى ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال : « ما بال العامل نبعثه فيجىء فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى ، الا جلس فى بيت أمه أو أبيه فينظر ايهدى اليه أم لا ، والذى نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينـا عفرتى ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت مرتين (٥٣) » .

على أنه من الخطأ البين أن نرمى كل الحكام بداء الرشوة وبالانغماس فيها ، لان التاريخ يحدثنا عن وجود فئة من هؤلاء الحكام عرفت بنزاهتها وتعففها عما بأيدى الرعيـة من الأموال وغيرها ، فئة بذلت قدر طاقتها للقضاء على هذه الظاهرة التى حرمها الدين ونهى عنها ، ولكن ماذا تستطيع تلك الفئة أن تفعل أمام ضعاف النفوس الراغبين فى الثراء بأيسر الطرق وبابخس الوسائل ، لقد حاولت محاربتها والضرب بيد من حـديد على مرتكبيها ونجحت أحيانا وفشلت مرات عديدة ، لان حب المال كان يتفوق دائما بدليل استمرار تلك الظاهرة على مر العصور الاسلامية وبدليل انها اتخذت زمن سلاطين المماليك صفة الذيوع والانتشار بعد أن اصطبغت بالصبغة الرسمية وأصبحت تمارس علنا دون خفاء كما سوف نرى فى الفصول القادمة .

الفصل الثانى

سلاطين المماليك والبذل والبرطلة

عرفنا فى الفصل السابق كيف انتشرت الرشـــــوة فى مجتمعات العصور الاسلامية السابقة على العصر المملوكى ، وبقى أن نحاول القاء الضوء عليها زمن سلاطين المماليك للتعرف على بداية نشأتها عندهم ، والمدى الذى وصلت اليه خلال قرنين ونصف من الزمان .

على الرغم مما جاء فى خطط المقريزى من أنها ارتكبت للمرة الأولى زمن الأمير شيخو الذى استنها عند تعيينه لعمال الأقاليم ، وأنها انتشرت وأفحش فيها زمن السلطان الظـاهر برقوق ١٣٨٢/٧٨٤(٥٤) ، فانه بالامكان التأكيد بأن البذل والبرطلة وجدا منذ بداية العصر المملوكى ، فقد ذكرت المصادر التاريخية فى حوادث ١٢٥٩/٦٥٨ أن القاضى ابن الزكى سعى فى قضاء دمشق ، وبذل أموالا كثيرة ليستمر فيه وفيما بيديه من المدارس ، فبقى نحو الشهر ثم سافر مع السلطان الظاهر بيبرس الى مصر فولى بعده القاضى ابن سنى الدولة (٥٥) . كذلك أشارت المصـــادر عينها الى أن القاضى بدر الدين الكردى المتوفى سنة ١٢٦٤/٦٦٣ ، ولى قضاء القضاة بالديار المصرية مرارا ، وأنه ظل فى ارتقـــاء الى أوائل دولة الظاهر بيبرس ، كما رمته المصادر بأخذ الرشا من قضاة الأطراف والشهود والمتحاكمين ، فى الوقت الذى نعتته بالجود والكرم (٥٦) .

وروى الصفدى أنه كان فى أيام قراسنقر بحلب ، زمن السلطان المنصور قلاوون مستوفى على الأوقاف يهودى ، فضايق الفقهاء وأهل

الأوقاف وشدد عليهم ، فشكوه الى قراسنقر الذى استجاب لهم وعزله من منصبه ، الا أن اليهودى سعى وبرطل ونجح فى العودة مرة ثانية الى منصبه، حيث عاملهم أشد من المره الأولى ، فلم يسعهم الا ان يشكوه من جديد ، ومع ذلك فقد نجح فى العودة الى منصبه مرة ثالثة عن طريق السعى والبرطلة ، حينذاك لم يجد الفقهاء أمامهم سوى الاستعانة بالخطيب شمس الدين الخابورى لينجيهم من هذا الأفاق الذى نجح فى شراء ذمة النائب أكثر من مرة بما يبذله له من الأموال ، وان كان الصفدى قد ضن علينا بذكر المبالغ التى برطل بها على هذه الوظيفة (٥٧) .

ونعلم أيضا أنه فى زمن السلطان العادل كتبغا ٦٩٤ ـ ١٢٩٤/٦٩٦ ـ ١٢٩٦ أكثر الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلى من المظالم ، وجارت حاشيه السلطان ومماليكه على الناس ، وطمعوا فى أخذ الأموال والبراطيل والحمايات (٥٨) .

وكما وجدت الرشوة فى القرن السابع الهجرى/الثالث الميلادى، شاعت أيضا فى القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى وبصفة خاصة زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى كانت أمانته حديث المصادر المعاصرة (٥٩) ، ومع ذلك فقد سجلت لنا نفس المصادر بعض حالات الرشوة التى تمت أثناء سلطنته الثانية ، اذ جاء بصدد ناصر الدين والى القاهرة ، انه استقر فى ولاية الجيزة ١٣٠١/٧٠١ فوقعت بينه وبين القبط مرافعة جعلته يقدم على رشوة الدولة بمبلغ ثلاثمائة دينار (٦٠) حتى تسلمهم اليه ، وبعد أن أتم له ما أراد ضيق عليهم وأخذ منهم جملة مستكثرة من الأموال يبدو أنه استعملها أيضا فى السعى لنيل منصب الوزارة الذى نجح بالفعل فى الوصول اليه سنة ١٣٠٣/٧٠٣ . بيد أنه سرعان ما تعرض لنقمة الأمير سلار النائب لهدية مقدارها ألفا دينار أهداها الى السلطان الناصر ليشترى بها هدايا لحريمه ، فقبض عليه وصادره وسجنه حتى مات فى العام التالى (٦١) .

ومن الواضح ان البذل والبرطلة على الولايات قد أزعج السلطان الذى كان يمقت من يرتشى ويعاقبه أشد عقوبة بدليل ما رواه المؤرخ ابن كثير من أنه فى عام ١٣١٢/٧١٢ « قدم كتاب من السلطان الى دمشق أن لا يولى أحد بمال ولا رشوة فان ذلك يفضى الى ولاية من لا يستحق الولاية ، والى ولاية غير الأهل (٦٢) » .

ولكن هل استجاب الناس الى ما ندبهم السلطان اليه ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تبدو واضحة من خلال تلك النصوص التى تمتلىء بها

بطون مصادر هذا العصر ، والتي تشير باصبع الاتهام الى هؤلاء الذين أقبلوا على أخذ الرشوة مثل محب الدين ولد القاضي ابن دقيق العيد الذى يعيب عليه المؤرخ ابن حجر أخذ المال ممن يسعى فى الوظائف عند أبيه (٦٣) ومثل جمال الدين عبد الله بن جلال الدين القزوينى ، الذى عرف بلهوه وشرهه فى المال وأخذ الرشوة من القضاة (٦٤) شأنه فى هذا شأن ولد القاضى أحمد بن عمر المقدسى ، الذى تعاطى بيع الأوقاف والارتشاء مما اضطر السلطان الناصر فى النهاية الى عزل الشيخين من أجل ولدهما بسعاية الأمير جنكلى بن البابا عام ١٣٣٧/٧٣٨ (٦٥) . كما تعيب المصادر على مغلطاى الجمالى الأستادار أخذه الأموال على الولاية والعزل فى الوقت الذى تصفه بالجود والصبر (٦٦) .

وتفيض المصادر ايضا بأخبار هؤلاء الذين لجئوا الى البرطلة من أجل قضاء حوائجهم والوصـــــول الى أهدافهم ، فقد ذكر الرحالة المغربى ابن بطوطة أن فخر الدين بن مسكين برطل بمبلغ ألف دينـار على ولاية قضاء الاسكندرية زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٧) . كما روى أبو الفداء أن القاضى علاء الدين على بن عثمـــان الزرعى المعروف بالقرع ، ولى قضاء حلب عن طريق البذل ، وان كان لم يسجل لنا قيمة المبلغ المبذول (٦٨) ونعلم أيضا ان شـــمس الدين غبريال الناظر استطاع عن طـريق البرطلة أن يفلت من عقـوبة السجن بل وينسـحب الى الشرق ، وكان قد لجأ « بموافقة ناظر الصـــاغة وابن البحشـــور الصيرفى الى الغش فى الذهب فحملوا المثقال نحو أربعة قراريط فضـــة واستمر هـذا سنوات والرعية ، بل والدولة فى غفلة من أن تفطن لذلك وقد امتلأت الأيدى من الذهب البحشورى » (٦٩) .

ويفهم مما رواه المقريزى فى حوادث سنة ١٣٣٤/٧٣٤ أن البرطلة كانت سببا فى قلة متحصـــلات الديوان من الأمـوال اذا أخبر النشـو السلطان الناصر « بأنه لا يتمكن مع قيـام الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان شيئا من المال فانهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشرين للسلطان أن ينفق المباشرون عليهم نصف متحصل الديوان برطيلا ،وأنه فقير ليس له مال يبرطل به ، ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان ، وأنه لو سلم منهم لملأ خزانة السلطان وحواصله أموالا ، لكنه يخشـــاهم ان يغيروا السلطان عليه . ورمى النشو المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم ، مما أخذوه فى مباشرتهم من مال الســـلطان ، فأذن له السلطان فى عمل ما يختاره ، وأن يتصرف فى الدولة ولا يبالى بأحـد ،

ووعده بتفويض يده وتمكينه ومنع من يعارضه(٧٠) » . ويبدو ان السلطان قد صدق في وعده للنشو ، لأننا نطالع في المصدر السابق أنه أمر بعزل الأمير سيف الدين بغـــا عن الداودراية في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٥/٧٢٦ بسبب أخذه البراطيل (٧١) .

الخلاصة أن الرشوة شاعت زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بل قد لا نكون مبالغين اذا قلنا ان السلطان نفسه كان يتعاطى الرشوة في صورة الهدايا فقد روى ابن كثير ما نصه : أنه « في يوم الخميس سابع ذي القعده سنة ١٣١٤/٧١٤ قدم القاضي بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حسبة دمشق ، فخلع عليه عوضا عن فخر الدين سليمان البصراوي ، فسافر سريعا الى البرية ليشتري خيلا للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور (٧٢) » .

كما روت المصادر في معرض ترجمه نجم الدين محمود بن شروين المعروف بوزير بغداد ، أنه قدم من بغداد الى القاهرة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فلما سلم على السلطان وقبل الأرض ، حط في يده حجر بلخش (٧٣) زنته أربعون درهما ، قوم بمائتي ألف درهم ، فأمره السلطان وأعطاه تقدمة ألف بديار مصر ، ثم ولى الوزر غير مره (٧٤) .

وعرفت الرشوه ايضا على عصر السلطان الناصر شهاب الدين أحمد سنة ١٣٤٢/٧٤٣ ، الذي قال عنه المقريزي أن سيرته كانت سـيئة ، ونقم الأمراء عليه أمورا كثيرة منها « ان رسله التي كانت ترد من قبله الى الأمراء برسائله وأسراره ، أوباش أهل الكرك ، فلما قدموا معه الى مصر أكثروا من أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها (٧٥) » .

وفي أيام السلطان الصالح عماد الدين اسماعيل شاعت الفوضى ودب الفساد في جميع أركان الدولة بسبب تمكن الخدام والجواري من السلطان وصار الناس يقصدونهم بالهـدايا لقضـــاء حوائجهـــم . وحسبنا أن نشير هنا الى جمال الكفاة ناظر الخاص وما حدث له مع الأمير أرغون العلائي بسبب اقطاع عينه الاخير لبعض أصحابه ، فرفض جمال الكفاة بحجة أن السلطان قد أخرجه مما أثار غضب الامير أرغون وبعث اليه دواداره ومعه حياصة من ذهب ، وأمره أن يقول له عنه : « أنت ما بقيت تعطي شيئا الا ببرطيل وهذه الحياصة برطيلك ، خذها واقض شغل هذا الرجل (٧٦) » . والمتتبع لترجمة هذا الناظر يلاحظ أنه قد تعرض للعزل في عام ١٣٤٣/٧٤٣ لولا أن برطل للنائب اقسنقر السلاري بمبلغ مائة ألف دينار ، يقول المقريزي انه حملها شيئا بعد شيء ثم أعفى

عما بقي منها دون الاشارة الى هذا الباقي (٧٧) . وفي زمنه أيضا وجد أول ديوان للبراطيل ، حيث شاع ذلك فى الأقطار وصار من له حاجة يأتي الى صاحب هذا الديوان فيبذل فيما يرومه من الوظائف فيحصل عليها في الحال (٧٨) .

أما عن السلطان الكامل شعبان ، فرغم قصر مدة حكمه التى لم تتعد العام ، فانه قد فاق جميع أقرانه فى ميدان البذل والبرطلة ، اذ أقبل على بيع الاقطاعات بلا حرج عن طريق البذل ، لدرجة ان الاقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو لا يزال حي يرزق وذلك على يد أغرلو والى القاهرة الذى فتح له باب الأخذ على الاقطاعات والوظائف بل وأحدث لذلك ديوانا قائما بذاته عرف بديوان البذل ، مما جعل المؤرخ ابن تغرى بردى يصفه « بأنه أشر الملوك ظلما وعسفا وفسقا ... وأنه فى أيامه خرجت بلاد كثيرة لشغفه باللهو وعكوفه على معاقرة الخمور وسمع الاغانى وبيع الاقطاعات بالبذل (٧٩) » .

ويسجل المؤرخون بعض حالات البذل والبرطلة التى تمت زمن السلطان الناصر حسن ، ولا سيما بعد أن فتح الوزير منجك اليوسفى باب الأخذ على الولايات والنزول على الاقطاعات مما أفضى فى النهاية الى توصل الاوباش الى المراتب السنية ، واستقرار العوام وآحاد الباعة فى سلك الجندية (٨٠) ، وفى ذلك يقول المقريزى وفى شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٨/٧٤٨ « قدم كثير من أهل دمشق للسعى من باب الوزير منجك فى المباشرات » ، كما ذكر فى حوادث العام التالى أنه فى شهر رجب « قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعى فى الوظائف بمال فلم يرد أحدا (٨١) » .

وشهد هذا العصر أيضا التنافس فى البذل على القضاء فقد روى المؤرخ ابو الفداء فى معرض حديثه عن نور الدين محمد بن الصائغ قاضى حلب أنه كان صالحا عفيفا لم يكسر قلب أحد ، ولكنه لخيريته طمع قضاة السوء فى المناصب ، وصار المناحيس يطلعون الى مصر ويتولون القضاء في النواحى بالبذل ، فحصل بذلك وهن فى الأحكام الشرعية (٨٢) . وفى ذلك يقول المؤرخ ابن الوردى مصورا لنا حال القضاء والقضاة على عصره :

قيل لى تبذل الذهب
بتولى قضاء حلب

قلـــت هـم يحـــرقونني
وانا اشـــــترى الحطـــب

كما قال أيضا :

قيـل برطل عـلى القضـا
ترغـم الحسـد العـدى
قلـت هـم يذبحـونني
وأنا اشـحذ المـدى (٨٣)

ولم يشذ عصر السلطان الأشرف شعبان عن بقية العصور السابقة ، فقد عرف عن هذا السلطان أيضا حبه للمال وميله الى تقاضي الرشوة بدليل تلك الرواية التي سـجلتها لنا بعض كتابات هذا العصر ، وملخصها أن ناصر الدين محمد بن مسلم كبير تجار مصر سافر الى قوص في شوال سنة ١٣٦٩/٧٧٠ للقاء بضائع قدمت له من الهند ، فاستغل ابنه نور الدين فرصة غياب أبيه وأشاع بين الناس موته ، بل وعمل عزاءه تأكيدا لروايته ، ثم سارع الى السلطان الأشرف وبذل له خمسين ألف دينار حتى مكنه من حواصل أبيه ، فكان ذلك على حد تعبير أحد مؤرخي هذا العصر « من شنيع ما وقع (٨٤) » .

هذه هي صورة واضحة لبعض الجوانب السلبية في مجتمع سلاطين المماليك البحرية شاهدنا خلالها كيف سرت الرشوة في جميع أعضاء هذا المجتمع حتى شملت جميع طبقاته بما في ذلك طبقة السلاطين أنفسهم ، وحسبنا دليلا على ذلك ما رواه المؤرخ ابن تغرى بردى الذى كتب يعيب على هؤلاء تقاضيهم الرشوة والانغماس فيها بما نصه « ان غالب ملوك مصر ممن ملك مصر بعده ــ يقصد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ــ يقتدى بشخص من أرباب وظائفه ، فيصير ذلك الرجل هو السلطان حقيقة والسلطان من بعض من يتصرف بأوامره ، وكل ذلك لقصر الادراك وعدم المعرفة ، فلذلك يتركون الاموال الجليلة والاسباب التى يحصل منهـا الألوف المؤلفة ، ويلتفتون الى هذا النزر اليسير القبيح الشنيع الذى لا يرتضيه من له أدنى همة ومروءة وهو الأخذ من قضاة الشرع عند ولايتهم المناصب وولاة الحسبة والشرطة وذلك كله وان تكرر في السنة فهو شيء قليل جدا يتعوض من أدنى الجهات التى لا يؤبه اليها من أعمال مصر ، فلو وقع ذلك لكان أحسن في حق الرعية وأبرأ لذمة السلطان والمسلمين من ولاية قضاة الشرع بالرشوة ، وما يقع بسبب ذلك في الأنكحة والعقود والأحكام وما أشبه (٨٥) » .

والواقع ان المؤرخ ابن تغرى لا يعيب هنا فقــط على ملوك مصر تقاضيهم الرشوة ، وانما يعيب عليهم اهمالهم لمرافق الدولة ونواحيها، وأيضا تسليمهم الأمور الى غير ذوى أهلها مما كان ويذانا ببداية الخراب الذى سوف تشهده البلاد زمن المماليك الجراكسة •

والسؤال الذى يواجهنا الآن كيف كان حال المجتمع زمن السلاطين الجراكسة وما مدى انتشار البذل والبرطلة فى أيام أولئك الحكام ؟

اذا كانت المصادر التى دونت زمن سلاطين المماليك قد أمدتنا ببعض النصوص التى تثبت وجود الرشوة فى العصر الأول ، فانهـا قد امتلأت بالأمثلة التى تؤكد أن الرشوة قد اكتسبت صفة الشرعية والرسمية زمن الجراكسة ويكفينا أن نسجل هنا بعض ما ورد فى بعض هذه الكتب بصدد أول سلاطين هذه الفترة ونعنى به الظاهر برقوق الذى كتب عنه المقريزى ما نصه « وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل ، فلا يكاد يلى أحد وظيفة ولا عملا الا بمال ، فترقى للأعمال الجليلة والرتب السـنية الأرذال » • كما أضاف أيضا أنه اشتهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة منها « التظاهر بالبراطيل التى يستأديها ، واقتدى الولاة به فى ذلك حتى صار عرفا غير منكر البتة » • ثم ختم حديثه قائلا : « وبالجملة فمساوئه أضعاف حسناته (٨٦) » •

حقيقة ان المؤرخ المملوكى ابن تغرى بردى يشاحح المقريزى فيمـا كتب بصدد هذا السلطان وبصفة خاصة فيما يتعلق بأخذه للبراطيل معللا بأن هذه الظاهرة قديمة وترجع الى القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى ولا زالت باقية حتى عصره ، وهذا ما أثبتته الدراسة بالفعل ، الا أننا لا نستطيع أن نقف الى جواره فى الدفاع عن الظاهر برقوق الذى اتخذت الرشوة على عهده صورة صارخة بدليل ما رواه ابن تغرى بردى نفسه عن هذا السلطان فى أيام مرض وفاته سنة ٨٠١/١٣٩٩ ، اذ يقول : « ثم انفض المجلس ونزل الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير الكبير ايتمش البجاسى الى منزله ، فوعد الناس أنـــه يبطل المظـــالم وأخذ البراطيـــل على المناصب والولايات (٨٧) » •

ونسوق دليلا آخر على تفشى الرشوة والجهر بها زمن الســلطان برقوق وهو ما تضمنته رسالة تيمور لنك الذى بعث بها اليه فى ربيع الآخر سنة ٧٩٦/١٣٩٤ ، وجاء فيها « ••• وكيف يسمع الله دعاءكم وقد

أكلتم الحرام وضيعتم جميع الأنام ، وأخذتم أموال الأيتام ، وقبلتم الرشوة من الحكام ... (٨٨) » .

ولعل ما جاء في هذه الرسالة يفسر لنا ذلك الموقف الغريب الذى أقدم عليه الظاهر برقوق بعد أن صارت سيرته على كل لسان خارج المملكة وداخلها ، اذ تروى المصادر أنه خلع بعد مضى ثلاثة أشهر على الشيخ بدر الدين محمود الكلستانى باستقراره فى كتابة سر مصر رغم فقره ، ورغم ما بذل له من أموال كثيرة فى هذه الوظيفة ، الا أنه أراد على حد زعم المؤرخ ابن تغرى بردى « من يكون كفئا لهذه الوظيفة ، وأن يكون متوليها صاحب لسان وقلم (٨٩) » .

وخلف برقوق ابنه الناصر فرج سنة ١٣٩٩/٨٠١ ، الذى لم يلبث أن سار على سياسة أبيه في أخذ البراطيل على الوظائف ، اذ يذكر المؤرخ ابن حجر فى حوادث سنة ١٤٠٤/٨٠٦ أن علاء الدين أبى البقاء استقر فى قضاء الشافعية بدمشق ، ثم لم يلبث أن وصل مرسوم السلطان الى النائب بأن يقبض من ابن أبى البقاء مائتى ألف درهم ، وهى التى جرت عادة القضاة بدمشق ببذلها للسلطان ، ويعلق ابن حجر على هذه الحادثة بقوله « وكانت هذه الكائنة من أقبح ما فعل (٩٠) » .

وروى أيضا فى أحداث سنة ١٤٠٨/٨٠٩ أنه فى شعبان كثر السعى لدى النائب نوروز فى الوظائف بالبراطيل وانتزاعها من أربابها ، وقبض على كثير من التجار فصودروا ، حتى كان أهل دمشق يشبهون تلك الأيام بأيام تيمور لنك (٩١) .

ولعل هذا الظلم كان وراء الاجراء الذى أقدم عليه الخليفة العباسى فى شهر صفر سنة ١٤١٠/٨١٣ ، حيث أمر بأن ينادى فى القاهرة ومصر بأنه « لا سلطان الا الخليفة وأنه أبطل المكوس والمظالم ، وأخذ البراطيل، ورمى البضائع على التجار . وأن يأمر الخطباء بقطع اسم الناصر فرج من الخطب ، واقامة اسم أمير المؤمنين بمفرده (٩٢) » .

ولكن هل بطل البذل وأخذ البراطيل بزوال ملك هذا السلطان ؟ بالطبع لم يحدث هذا ، بل يفهم من المصادر المعاصرة ان الأمر قد تفاقم زمن السلطان المؤيد شيخ ، الذى اعتلى كرسى السلطنة عام ١٤١٢/٨١٥ ، والدليل على ذلك ما سجله المقريزى فى احداث سنة ١٤١٧/٨٢٠ من أنواع الظلم التى عمت أرجاء البلاد وشملت جميع الحكام ما بين محتسب ، ووال ، وحجاب ،وقضاة ،ونائب غيبة ، واستادار (٩٣) .

- حقيقة أن هذا المؤرخ قد نجح فى اعطائنا صورة واضحة لما كان عليه المجتمع زمن المؤيد شيخ ، الا أنه لم يخرج من التعميم الى التخصيص ، وأنما ركز كلامه عن أنواع الظلم التى عانى منها المجتمع فى هذه الفترة، ومن بينها الرشوة التى صارت على زمن هذا السلطان موردا رسميا من موارد الدولة المالية ، بدليل ما رواه أيضا فى أحداث سنة ١٤٢١/٨٢٤ عن قدوم الأمير يشبك الأستادار من الوجه القبلى واستقرار السلطان به كاشفا للكشاف ، وفوض اليه عزل الولاة بالأعمال وولايتهم ، عونا له على كلف الديون ، بما يأخذه منهم من البراطيل (٤٩) .

وخلف المؤيد شيخ ابنه المظفر أحمد الذى لم يلبث أن خلعه المماليك على طريقتهم المعهودة وولوا الظاهر ططر فى شعبان سنة ١٤٢١/٨٢٤ . ورغم قصر المدة التى قضاها فى السلطنة ، فقد حاول جاهدا القضاء على الرشوة ، ومن ذلك توليته حسبة دمشق لرجل بدون بذل ونادى فى أهلها « ان طلب منكم المحتسب شيئا فارجموه » وأمر بنقش هذا المرسوم على أحد أحجار المسجد الاموى . وكانت العادة قد جرت بأن يحمل المحتسب الى نائب الشام نحو الألف وخمسمائة دينار فى مطلع كل سنة ، على أن يتعوضها بزيادة من مظالم العباد فعوضه السلطان عنها بلد اربل التى تغل سنويا الفين وخمسمائة دينار (٩٥) .

وفى سنة ١٤٢٢/٨٢٥ اعتلى الأشرف برسباى كرسى السلطنة لتعود الرشوة أقوى مما كانت ، ويكفى للتعرف على مدى تغلغلها زمن هذا السلطان أن نسجل هنا ما دونه أحد المؤرخين بصدد تعين بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى فى قضاء القضاة بدمشق سنة ٨٣٠/ ١٤٢٧ ، عوضا عن ابيه الذى وجد مذبوحا فى بستانه بالنيرب خارج دمشق (٩٦) اذ يقول فى شىء من الآسى : « وهو شاب صغير لم يستتر عذارية بالشعر ، لكن قام بمال كبير ، ثلاثون ألف دينار ، فلم يلتفت مع ذلك لحداثة سنه ولا لكونه ما قرأ ، ولا درى ، وقديما قيل :

تعد ذنوبه والذنب جم ولكن الغنى رب غفور (٩٧) »

ونجد أيضا فى كتابات هذا العصر وصفا مفصلا لمدى التدهور الذى أصاب الوظائف حتى الجليلة منها على يد السلطان الأشرف نتيجة لاقباله على الرشوة ولانغماسه فيها ، فقد روى بعض المؤرخين انه فى سنة ١٤٣٢/٨٣٥ ، بعث الى دمشق لاستدعاء قاضى القضاة شهاب الدين

أحمد بن الكشك ، ليستقر فى كتابة السر بمصر ، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن السفاح بعد موته ، وألزمه بأن يحمل معه عشرة آلاف دينار ، الثمن المتعارف عليه لشغل هـذه الوظيفة • بيد أن ابن الكشك كان عليما بحيل السلطان ووسائله فى الاستيلاء على أموال الناس (٩٨) ، فاعتذر عن قبول المنصب محتجا بضعف بصره ، وآلام تعتريه وشفع رده ببذل خمسه آلاف دينار • وأسقط فى يد السلطان ولم يجد أمامه سوى الوزير الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ فرسم له بكتابة السر مضافا الى الوزارة ، فباشر المذكور مع بعده عن صناعة الانشاء وقلة دربته بقراءة القصص والمطالعات الواردة من الأعمال (٩٩) • وفى هـذا يقول المقريزى فى شيء من المرارة لما أصاب الوظائف الجليلة من التدهور والانحطاط : « غير ان الكفاءة غير معتبرة فى زماننا ، بحيث ان بعض السوقة ممن نعرفه ولى كتابة السر بحماة على مال قام به ، وهو لا يحسن القراءة ولا الكتابة ، فكان اذا ورد عليه كتاب وهو بين يدى النائب ، لا يقرأه مع شدة الحاجة الى قراءته ليعلم ما تضمنه • ثم يمضى الى داره حتى يقرأه له رجل أعده عنده لذلك • ثم يعود الى النائب فيعلمه بمضمون الكتاب ••• والى الله المشتكى (١٠٠) » • خلاصة القول انه على عهـد هذا السلطان شمل بلاد مصر والشام والخراب ، وقلة الأموال بهـا ، وافتقر الناس ، وساءت سيرة الحكام والولاة (١٠١) مما جعل الأشرف برسباى يشعر بلحظة ندم فى أواخر حياته فأصدر فى السادس من شـوال سنة ١٤٣٨/٨٤١ مرسوما باعادة الحافظ ابن حجر الى قضاء القضـاة الشافعية بديار مصر عوضا عن علم الدين البلقينى ، وألزمه أن يقوم للبلقينى بما حمله الى الخزانة السلطانية ، ويعلق أحد المؤرخين على هذه الحادثة بقوله « وقد أظهر السلطان انه لا يولى أحدا من القضاة بمال ، فانه داخله وهم عظيم من كثرة تزايد الموت الوحى السريع فى الناس ، وموت كثير من المماليك السلطانية ، سكان الطباق من القلعـة ، وموت الكثير من خدام السلطان الطواشية ، ومن جواريه ، وحظايا أولاده » ، أثناء الوباء الذى اجتاح البلاد فى هذه السنة ومع ذلك فحمل الى البلقينى من مال ابن حجر لا من مال السلطان (١٠٢) •

وفى زمن ابنه العزيز جمال الدين يوسف استمر البذل قائما على الوظائف المدنية والعسكرية (١٠٣) ، كما شاع أيضا على عهد خليفته الظاهر جقمق الذى ولى السلطنة سـنة ١٤٣٨/٨٤٢ بدليل ما يرويه السخاوى فى ترجمة القاضى محب الدين ابن الشحنة ، الذى خلع عليه

فى سنة ١٤٤٤/٨٤٨ بكتابة سر حلب بعـــد ان بذل للسلطان عشرة آلاف دينار ، وبدليل ما يرويه العينى عن نفس القاضى من انه نجح فى سنة ١٤٤٦/٨٥٠ من الجمع بين القضاء وكتابة السر ، ونظر الجيش ، والنظر على قلعة حلب ، بل والجامع النورى بها ، وذلك بعد أن حمل من الأموال الجزيلة والهدايا الجليلة ما يطول شرحه ، الأمر الذى أثار أهـل حلب لعدم حدوث مثل هذا من قبل « لكن بالرشا يصـل المرء فى هـذه الأزمان الى ما يشاء (١٠٤) » ٠

ويبدو ان العادة جرت فى زمن هذا السلطان بالجمع بين أكثر من وظيفة طالما ان متوليها قد استطاع أن يلبى طلبات السلطان عن طريق البذل والبرطلة لأن المصادر التى دونت زمن المماليك الجراكسة تشير الى حالة أخرى تتعلق بالقاضى ولى الدين السفطى الذى استقر فى ربيع الآخر سنة ١٤٤٧/٨٥١ قاضيا لقضاة الديار المصرية ، بعـــد عزل علم الدين البلقينى ، مضـافا لما بيده من تدريس الشـافعى ، ونظـر البيمارستان ، ونظر الكســوة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الجمـاليه ونظرها ، وغير ذلك من الوظائف ، التى حاول عن طريقها تعويض ما بذله للسلطان ، خاصة وإن المؤرخ المملوكى ابن تغرى بردى يرميه بأخـــذ الرشوة ، بل والشحاذة من الأمير الكبير ومن مقدم الجبلية (١٠٥) ، كمـا يتهمه بسوء السيرة وبالسلوك غير المحمود (١٠٦) ٠

والواقع ان البذل لم يقتصر فى أيام السلطان جقمق على الوظائف الدينية فقط ، بل امتد أيضا الى الوظائف العسكرية ٠ فقـــد روى ابن تغرى بردى ان الأمير خير بك النوروزى حاجب صفد ، استقر فى شهر ذى القعدة سنة ١٤٤٨/٨٥٢ فى نيابة غزة ، عوضا عن طوغان العثمانى ، وذلك بمال كبير بذله فى ذلك لوضاعته فى الدولة (١٠٧) ٠

وفى عام ١٤٥٣/٨٥٧ استطاع الأشرف اينال الوصول الى كرسى السلطنة ، وكان طاعنا فى الســن ٠ منقادا لمماليكه الجلبـــان (١٠٨)، فتزايدت الرشوة فى أيامه ، وبذلت الأموال فيما لم تجر العادة بالبذل فيـه (١٠٩) ، وانقـــاد فى أموره كلهـا لزوجتـه خوند زينب ، التى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل (١١٠) ، بل وصار لها نصيب وافر مع السلطان فى كل هدية ورشوة (١١١) لدرجة انه أصبح لا اختيار له معها (١١٢) ٠ فســاءت الأمور على عهـــده حتى ولى الوظائف أوباش الناس ٠ ففى سنة ١٤٥٥/٨٥٩ ولى حجوبية طرابلس بالبذل يشبك

دوادار قاني باي البهلوان ، الذى يصفه المؤرخ ابن تغرى بردى بانه رجل من الأوباش ولم تسبق له رئاسة (١١٣) ٠

ومع ذلك فالحق يملى علينا أن نسجل هنا تلك المحاولات الاصلاحية التى قام بها السلطان اينال فى مجال الاقتصاد مثل قانون العملة والضرب على أيدى الزغلية من مزيفى النقود وشنق عشرة منهم على باب زويلة (١١٤) ٠

ووجدت الرشوة أيضا فى زمن السلطان اليونانى الظاهر خشقدم (١١٥) ، الذى ولى السلطنة سنة ١٤٦١/٨٦٥ ، خلفا للمؤيد شهاب الدين أحمد اذ يشير السخاوى فى ترجمة شرف الدين أبو زكريا انه صرف عن القضاء فى شوال سنة ١٤٦٣/٨٦٧ بالبلقينى الذى بذل للسلطان أموالا جليلة (١١٦) ٠ كما ذكر ابن تغرى بردى بأن بلاط دوادار الحاج اينال استقر فى نيابة صفد فى الثالث من جمادى فى السنة نفسها ، دفعة واحدة من غير تدرج ، ببذل المال ، عوضا عن خير بك القصروى ٠ وروى كذلك أن السلطان الظاهر خشقدم رسم لشاد الجلبانى بنيابة غزة فى مقابل عشرة آلاف دينار ، واشترط فى مرسوم التعيين انه فى حاله امتناعه ، يسجن بقلعة دمشق ويؤخذ منه العشرة آلاف المذكورة (١١٧) ٠

وتتهم المصادر المملوكية أيضا السلطان الظاهر بلباى بتقاضى الرشوة ، حيث ورد فى ترجمة الأمير سيف الدين القصروى انه سعى فى دولة السلطان المذكور على أن يكون أمير مائة مقدم ألف بالديار المصرية ، وبذل فيها نحو عشرة آلاف دينار ، حتى استقر فيها (١١٨) ٠

وفى سنة ١٤٦٨/٨٧٢ تولى السلطنة الأشرف قايتباى الذى اشتهر عصره بالأعمال العمرانية والحربية ، حيث أقبل على بناء المساجد والمدارس والوكالات والأسبلة وغيرها من المنشآت الدينية والمدنية ، كما قام بجولات تفتيشية شملت كل أنحاء السلطنة ، بل وسلك مسلكا طيبا مع من سبقه من السلاطين المعزولين (١١٩) ، ومع ذلك فقد أجمعت مصادر هذا العصر على اتهامه بتعاطى الرشوة بل والانغماس فيها بدليل ما يرويه السخاوى عن قضاء حلب وكيف وليه كل من أبى البقاء الربعى الحسفاوى ، والقاضى ابن العديم بالبذل المستدان (١٢٠) ٠ وما ذكره الصيرفى بصدد تاج الدين بن الهيصم ، الذى استقر فى استيفاء

الخاص فى شهر جمادى الأولى سنة ٨٧٤/١٤٦٩ بعد أن وزن للسلطان من الذهب ألف دينار (١٢١) ·

كما تتحدث مؤلفات هذا العصر عن تعيين الأشرف قايتباى لكل من قاسم فى الوزارة سنة ٨٧٥/١٤٧٠ ، وشاهين الجمال فى شادية بندر جـدة فى رجب من السنة التى تليها ، بعد أن بذل له كل منهما عشرين ألف دينار (١٢٢) ·

ويكفى أن نعطى صورة للفوضى التى أصابت البلاد على عهـده نتيجة لتفشى الرشوة وانتشارها من خلال ما ذكره أحد المؤرخين عن محتسب القاهرة فى شهر ذى القعدة سنة ٨٧٦/١٤٧٢ من « أن البلد لها خمسة أيام فى أمر مرير وهلع زائد وتشويش مفرط بسبب عدم الخبز من الحوانيت ··· كل ذلك والمحتسب (١٢٣) ، عزله الله عن المسلمين على أقبح صورة ـ مقيم بداره فى شممه وغضبه على السلطان ، ووكل بذلك البلاصية والأعوان الذين يأكلون البراطيل ببابه وأخربوا البلد ، حتى صار كل رسول منهم عنده القماش والبغال والعبيد والصـوف المسنجب ، وأمثال ذلك ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (١٢٤) » وبذا يكون المؤرخ ابن العماد الحنبلى قد جانب الصواب حين ذكر عن السلطـان قايتباى انه « كان محتاطا فى الوظائف الدينيـة كالقضـاء والمشيخة والتـدريس ، لا يولى شيئا من ذلك الا الأصـلح بعـد التروى والتفحص (١٢٥) » ، لأن الأهلية والجدارة فى تلك الفترة كانت دائما للباذل المبرطل ·

وتسجل لنا المؤلفات المملوكية المتأخرة أيضا حالات الرشوة فى أيام سلاطين القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، فقد روى المؤرخ ابن اياس ان السلطان الأشرف جانبلاط خلع فى شهر صفر سنة ٩٠٦/١٥٠٠ على محيى الدين عبد القادر بن النقيب ، وقرره فى قضاء الشافعية ببذل قدره سبعة آلاف دينار ، مما شق على كل واحد من الناس بل ولاموا السلطان على ولايته ، لوجود من هو أولى منه بهذه الوظيفة ، وقالوا فيه :

فى مصر القضـاء قاض وله ... فى اكل مواريث اليتـامى وله
ان رمت عدالة فقم مجتهـدا ... من عد له دراهما عدله (١٢٦)

وفى نهـــاية رمضـــان سنة ٩٠٦/١٥٠١ استطاع قانصوه الغورى الوصـــول الى منصب السلطنة رغم انه كان قد تجـاوز الستين ، وكانت الدولة فى حالة افلاس تام فلجأ الى الأهالى يجمـــع المـال منهم بشتى الوسائل ، فأخضـــع للضرائب السلطانية المباشرة جميـــع الأراضى والحمامات والسواقى والطواحين والقـوارب ودواب الحمـل ، وفرض على اليهود والمسيحيين أموالا كثيرة وألزم النـــاس بدفع الضرائب مقـــدما لعدة سنوات ، كما انقص وزن العملة (١٢٧) .

ويبدو ان بيع الوظائف كان نوعا من الوسائل التى لجأ اليها أيضا لملء خزائن الدوله الخاوية ، لا سيما وقد سجل لنـا المؤرخ ابن اياس العديد من الحالات التى بذلت فيها المبالغ الطائلة ، ففى مجال القضاء وصلت المبالغ التى بذلت على هذه الوظيفة فى الفترة الواقعة بين سنة ٩١١/١٥٠٦ ، وسنة ٩٢١/١٥١٥ ، سبعة وثلاثين ألف دينـار (١٢٨) على حين وصلت المبالغ المبذولة فى نيابة طرابلس وحدها سنة ٩١٩/١٥١٣ ستين ألف دينار (١٢٩) . أما ولاية شرطة القاهرة فقد رست على الأمير ألماس ، أحد أمراء العشرات فى سنة ٩٢٢/١٥١٦ بواحـد وأربعين ألف دينار (١٣٠) فى الوقت الذى وصل فيه منصب الخلافة الى اثنى عشر ألف دينار فى سنة ٩١٤/١٥٠٨ (١٣١) .

وخلف قانصـــــوه الغـــــورى الأشرف طومان باى ، الذى ولى السلطنة أثناء الزحف العثمانى على القاهرة فبذل جهودا يائسة لوقف تفشى الرشوة وانتشارها عن طريق ابطال الأخذ على الوظائف ، فقد روى ابن اياس انه فى مستهل ذى القعدة سنة ٩٢٢/١٥١٦ خلع على الشرفى يحيى بن البردينى وقرره فى قضاء الشافعية ... وعلى حسام الدين محمود ابن الشحنة وأقره فى قضاء الحنفية ... وعلى الشيخ شمس الدين التتارى وقرره فى قضاء المالكية ، وأخلع على قاضى القضاة عز الدين الشيشينى وأعاده الى قضاء الحنابلة ... ولم يأخذ من هؤلاء القضاة الدرهم الفرد ، ومنع القضاة أن لا يسعوا فى منصب القضاء بمبلغ وقال لهم : « أنا ما أقبل رشوة فى ولاية أحد من القضاة ، فلا تأخذوا أنتو رشـــوة من الناس أبدا (١٣٢) » .

ولكنه لم يستمر طويلا فى السلطنة لفشله فى صـــــد الزحف العثمانى على القاهرة ، واضطر فى النهاية الى التقهقر عند الريدانية سنة ١٥١٧/٩٢٣ (١٣٣)   وتم تنصيب سليم الأول سلطانا على مصر الشام ودعى له على المنابر ، فى الوقت الذى واصل فيه طومان باى مقاومته فى الجيزة والصعيد والبحيرة حتى لعبت يد الغدر دورها وسلمه أحد رؤساء القبائل من البدو للعثمانيين فشنق على باب زويلة فى شهر ربيع الآخر سنة ١٥١٧/٩٢٣ ، لينتهى بذلك عصر المماليك الجراكسة (١٣٤) ، عصر البذل والبرطلة •

الفصل الثالث

الوظائف العسكرية والبذل والبرطلة

لا جدال فى أن البذل والبرطلة أصبحا من السمات المميزة لعصر سلاطين المماليك ، ولاشك أيضا فى أنهما أصبحا الطريق الوحيد الموصل الى الوظائف الهامة فى الدولة ، بعد أن أصبحت الجدارة والكفاءة لا وجود لهما أمام طوفان الأموال المبذولة (١٣٥) ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى خراب الدولة خاصة بعد أن امتدت الرشـــوة الى مجـــال الوظائف العسكرية التى كانت بمثابة العمود الفقرى لدولة سلاطين المماليك ، فكيف حدث هذا ؟

لكى نجيب على هـــذا الســـؤال ينبغى لنا أن نتعرض فى شىء من التفصيل للوظائف العسكرية فى محاولة لكشف النقاب عن تلك الوظائف التى سرت اليها عدوى الرشوة وما ترتب على ذلك من نتائج ٠

تأتى النيـــابة فى مقـــدمة هـــذه الوظائف على اعتبـــار ان نائب السلطنة (١٣٦) كان بمثابة الرجل الثانى فى الدولة المملوكية بعـــد السلطان مباشرة ، ولذا فقد وصفته المصادر المعاصرة بأنه سلطان مختصر لقيامه مقام السلطان أثناء غيابه ، ولاشتراكه معه فى توزيع الاقطاعات وفى تعيين الموظفين ، بل والحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان (١٣٧) ٠ ومن ثم فقد كان النواب يشـــكلون خطرا على بعض الســـلاطين ، بل استطاع بعضهم بالفعل اغتصاب السلطنة لأنفسهم مثلما فعل كل من كتبغا سـنة ٦٩٤/١٢٩٤ (١٣٨) ، ولاجين المنصـــورى سنة ٦٩٦/١٢٩٦ (١٣٩) ، مما دفع ببعض السلاطين الى العمل على اضعاف هذا المنصب بل وتعطيله فى كثير من الأحيان (١٤٠) ٠

ترتب على ما تمتع به النائب من سلطة ونفوذ أن قصده الناس لقضاء حوائجهم ، ولتحقيق مآربهم • حقيقة ان المصادر المعاصرة لم تتضمن اشارات صريحة تدين هؤلاء النواب وترميهم بتعاطى الرشوة ، كما انها لم تحتو على نص واحـد يفيد ان أحدهم قد ولى منصبه عن طريق البذل والبرطلة ، الا انها لم تتجاهل أيضا الاشارة الى الهدايا والتحف التى كانت تنهال على بعضهم بدليل ما رواه بعض المؤرخين عن النائب طشتمر المعروف بحمص أخضر الذى « صارت أرباب الدولة ، وأصحاب الأشغال كلها فى بابه ، وتقربوا اليه بالهدايا والتحف » ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى انقبض عليه فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٢/٧٤٢ ، نتيجة لانفراده بامور الدولة من دون السلطان (١٤١) • كما تحدث المقريزى عن الهدايا التى كانت تبذل للنائب بيبغاروس ، مما أثار غيرة الأمير شيخو ، وجعله يضغط على الوزير منجك بمساعدة الأمراء حتى عزل ولاة الأعمال فى سنة ١٣٥٠/٧٥١ ، بحجة انهم ولوا بالبراطيل (١٤٢) •

بيد انه فى الوقت الذى ضنت علينا فيه المؤلفات المملوكية بمعلوماتها عن نواب السلطنة بالقاهرة وموقفهم من الرشوة ، فانها قد أفاضت بصدد نواب القلعة وأقاليم مصر والشام ، وكيف كانوا يولون عن طريق البذل والبرطلة • ففى سنة ١٤٦٠/٨٦٥ استقر خير بك القصروى والى القاهرة، نائبا لقلعة الجبل عوضا عن كسباى المؤيد بمال بذله فى ذلك (١٤٣) •

وعلى الرغم من ان نيابة الاسكندرية ، كانت من النيابات الجليلة ، المضاهية لنيابات طرابلس وحماة وصفد من المملكه الشـامية ، التى استحدثت فى أيام السلطان الأشرف شعبان سنة ١٣٦٥/٧٦٧ (١٤٤)، فانها كانت تولى بالبذل والبرطلة ، اذ نقرأ فى سلوك المقريزى ان الأمير صلاح الدين خليل بن عرام قدم من ثغر الاسكندرية فى ذى القعدة سنة ١٣٧٦/٧٧٨ باستدعاء من السلطان ، فقبض عليه وصودر ، ولكنه بعد أن بذل ألف ألف درهم ، خلـــع عليه ، واستقر عـــلى عـــادته نائبـــا للاسكندرية (١٤٥) •

وفى رجب سنه ١٣٩٩/٨٠١ أصـــدر السلطان الظاهر برقوق مرسوما سلطانيا بتعيين الأمير فرج الحلبى نائبا للاسكندرية ، نظير بذل قدره أربعمائة ألف درهم (١٤٦) •

كذلك عاب المؤرخ ابن تغرى بردى على السلطان المؤيد شيخ توليته نيـابة الاسكندرية فى صفر سـنة ١٤١٦/٨١٩ لقطلوبغا عن طـريق

البذل قائلا : « وصار لا يترقى فى الدول الا من يبذل المال ، ولو كان من أوباش السوقة نشره الملوك فى جمع الأموال (١٤٧) » .

والواقع أن حالة خليل بن شاهين الظاهرى لتعتبر أصدق دليل على تدهور هذه النيابة نتيجة للبذل والبرطلة ، فقد صدر فى شوال سنة ٨٣٧/١٤٣٤ مرسوما سلطانيا بتعيينه نائبا عليها بالاضافة الى ما بيده من النظر والمحجوبية بعد أن بذل لصهره السلطان الأشرف برسباى ، ثلاثة آلاف دينار ، ووعد بمثلها ، الأمر الذى أثار دهشة كتاب هذا العصر ، لأنه لم يحدث من قبل أن يكون النائب حاجبا ، لاسيما وان مهمة الحاجب هى الوقوف بين يدى النائب والتصرف بأمره ولكن « هى الأيام كلها قد صرن عجائب ، حتى ليس فيها عجايب (١٤٨) » .

وعن نيابة البهنسا ، التى يبدو انها تحولت فى العصر المتأخر من الولاية الى النيابة (١٤٩) أمدتنا المصادر بحالة واحدة تتعلق بقانصوه العجمى ، الذى ولى نيابتها فى جمادى الأولى سنة ٩٢١/١٥١٥ بمال له صورة (١٥٠) .

أما نيابات الشام فقد أطنبت المصادر فى الحديث عنها وعن الأموال المبذولة عليها وحسبنا أن نبدأ هنا بنيابة دمشق التى كانت دائما موضوع سعى ومزايدة بين أمراء المماليك ، نظرا لما كان لمتوليها من السلطة والنفوذ على باقى نيابات المملكة الشامية . فالأمير سيف الدين تنكز ، الذى أكثر كتاب هذا العصر من الحديث عن أمانته ، وعدم قبوله للرشوة (١٥١) ، لم يكن يتردد فى قبول الهدايا من أجل قضاء حوائج الناس بدليل ما رواه المقريزى فى حوادث سنة ٧٣٢/١٣٣٢ عن توجه أم الأفضل صاحب حماة اليه ، وتقديمها له الهدايا والجواهر من أجل اقامة ولدها مكان أبيه الملك المؤيد بعد وفاته ، واستجابة الأمير تنكز لطلباتها(١٥٢) ، وبدليل تلك الثروة الضخمه التى وجدت له بعد القبض عليه ، والتى كانت مثار حديث أغلب كتاب هذا العصر (١٥٣) . بل يكفى أن نشير الى ما ذكره الذهبى عن اعتماده على مملوكية طفية وصفية اللذين عملا القبائح وتناولا الرشوة ، وكان الوالى والحاجب يستأذنهما فى كل كبيرة وصغيرة (١٥٤) .

ولا يفوتنا ونحن بصدد الحديث عن نواب الشام أن نشير الى اهتمام هؤلاء باهداء السلاطين من حين لآخر ترضية لهم ، وحرصا على الاحتفاظ بمناصبهم أطول فترة ممكنة ، ففى شعبان سنة ٧٧٧/١٣٧٦ . قدم الأمير سيف الدين بيدمر الى الديار المصرية وبصحبته هدية ، قالت عنها المصادر انه لم يعهد مثلها ، فخلع عليه وعاد بعدها الى مقر نيابته (١٥٥) .

ويفسر لنا المؤرخ ابن صصرى سبب قدومه فى أثناء حديثه عن الغلاء الذى اجتاح بلاد الشام فى هذه السنة بقوله : « وبيدمر فى دمشق قد أهمل مصالح الناس مشغولا بأخذ أموالهم وقد طلب منه السلطان الملك الأشرف ما تحتاجه العمارة التى له بالقاهرة مثل شبابيك ، وأبواب ، وصفائح وحلق ، وغير ذلك مما تحتاج اليه العمارة . وشرع بيدمر يعمل ما طلب منه السلطان والناس فى شدة وغلاء وحرمان ، وبقى الصناع يعملون فى دار السعادة زمانا حتى انتهى العمل وعرضوه على بيدمر ، وقد ذكر لى من كان مباشرهم فى دار السعادة انهم جمعوا العمل وعرضوه على بيدمر الذى هو من ذهب وفضة لاغير ، مثل صفائح وحلق ، ومسامير ، وزوايا ، وأطواق ، وسواقط ، ورزز وغلاقات ، وهلالات برسم رؤوس القباب ، فجمعوا ذلك كله وقبنوه فكان ما يزيد على اثنى عشر قنطار ذهب وفضة لا غير . هذا خارجا عن النحاس المكفت والذى فوق الخشب . وأرسلهم الى القاهرة على مائة وستين جمل (١٥٦) » .

ومع هذا فمن الواضح ان السلطان لم يكتف ، بدليل انه أرسل الى بيدمر بعد عدة أيام مرسوما سلطانيا يكلفه باعداد ما يلزم للسفر الى الحجاز « فعند ذلك طلب التجار وكبار دمشق وطرح عليهم الأموال وطلب الصناع وأخرج لهم الذهب والفضة ، وبقوا يعملوا وبقيت دار السعادة معمل حتى مابقى لأحد موضع يحط رجله من الصناع : ناس يزركشون ، وناس يخيطوا ، وناس يصوغوا ، وناس يعملوا فى أكوار ، وناس تحزم ، وناس تقبن . وقد ذكر من كان يباشر العمل فى دار السعادة انه كان من جملة العمل سبعمائة زاوية ، فى كل زاوية من ثلاثمائة مثقال الى خمسمائة مثقال ، وعمل أيضا ابر ذهب برؤوس لؤلؤ الفين ابرة ، وابر فضة برسم الجرارى برؤس ذهب ثلاثة آلاف ابره وعمل ألف ومائتين زوج طرز يلبغاوى ، ومثلها كنابيش ، وأخراج أطلس مزركشة ، مائة وعشرين خرج ، وثلاثمائة كور ملبسة ذهب وفضة ، وستين ركاب ذهب وفضه وسلاسل ، ومخاطم برسم الجمال شيء كثير » .

ويواصل ابن صصرى روايته قائلا : « وكان يرسل خزانة الى مصر ، وقبل أن تصل الى مصر يجهز أخرى بحيث انه تكون خزانة فى غزة ، وخزانة فى الغور ، وخزانة خارجة من دمشق ، وخزانة فى يد الصناع ، ولم يقدر نائب يعمل هذا بعد بيدمر (١٥٧) » .

ورغم هذا فقد عزله السلطان الأشرف فى السنة التالية ، بيد أن

بيدمر كان قد عقد العزم على العودة الى نيابته مهما كلفه الأمر ، ويبدو انه نجح في مساعيه بدليل ان مؤرخي تلك الفترة سجلوا لنا توليه لهذا المنصب ست مرات كان آخرها في سنة ١٣٨١/٧٨٣ (١٥٨) ، عن طريق البذل والبرطلة ، وفي ذلك يقول المقريزى « وفي سادس عشرة صفر سنة ١٣٨٢/٧٨٤ ركب الأمير بهادر المنجكي ... على البريد ، ليحضر من دمشق المال الذى وعد به الأمير بيدمر (١٥٩) » .

والمتأمل لسيرة هذا الأمير يلاحظ أنه عاد من جديد الى شراء السلاطين عن طريق الهدايا والتقادم ، اذ قدم في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ١٣٨٤/٧٨٦ الى الديار المصرية في صحبة هدية صارت حديث أغلب مؤرخي هذا العصر ، من بينها « عشرون مملوكا وثلاثة وثلاثون جملا عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف والفرو ، وثلاثة وعشرون كلبا سلوقيا (١٦٠) ، وثمانية عشر فرسا عليها جلال (١٦١) الحرير ، وخمسون فحلا ، واثنتان وثلاثون حجرة ومائة اكديش لتتمة مائتى فرس ، وثمانية قطر هجن بقماش ذهب ، وخمسة وعشرون قطارا من الهجن أيضا بكيران ساذجة ، وأربعة قطر جمال بخاتى لكل منها سنامان ، وثمانون جملا عرابا » . كما أهدى الى ابن السلطان عشرين فرسا ، وخمسة عشر جملا وثيابا وغير ذلك . ثم بقى بالعاصمة الى العشرين من الشهر المذكور حتى خلع عليه وعاد الى محل ولايته بدمشق (١٦٢) .

وتتحدث المصادر المملوكية أيضا عن الأمير تنم الحسني ، الذى اتبع أسلوب المهاداة من أجل الاحتفاظ بوظيفته فتروى أنه أهدى للسلطان برقوق في سنة ١٣٩٦/٧٩٩ تقدمة جليلة تتالف من عشر كواهي ، وعشرة مماليك صغار غاية في الحسن ، وعشرة آلاف دينار ، وثلاثمائة ألف درهم فضة ، ومصحف عليه قراءات ، وسيف مسقط ذهب مرصع وعصابته منسبكة من ذهب مرصع بجوهر نفيس ، وبدلة فرس من ذهب فيها أربعمائة مثقال ذهب ، وكان أجرة صائغها ثلاثة آلاف درهم فضة ، ومائة وخمسون بقجة فيها أنواع الفرو ، ومائة وخمسون فرسا ، وخمسون جملا ، وخمسة وعشرون حملا من نصافي ونحوه ، وثلاثون حملا فاكهة وحلوى فخلع عليه السلطان بالاستمرار على نيابته ، وعاد بعدها مكرما الى دمشق (١٦٣) .

ونقرأ أيضا في كتابات مؤرخي العصر الجركسي عن حالة الأمير سودون بن عبد الرحمن ، الذى قدم للسلطان الأشرف برسباى في صفر سنة ١٤٢٦/٨٣٠ رشوة مكونة من خمسة عشر ألف دينار افرنتية ،

وقماش وفرو قدر بثلاثة آلاف دينار (١٦٤) • ومع ذلك فقد أرسـل السلطان فى استدعائه الى القاهرة فى رجب سنة ١٤٢٩/٨٣٢ فاضطر الى اهدائه خمسة عشر ألف دينار ، عدا الخيل ، والثياب الحرير ، وفرو السمور ، وغيره • بيد ان السلطان اكتفى بالذهب ورد اليه ما عداه ناصحا له بضرورة مهاداة بقية أمراء الدولة • وظل سودون بالقاهرة فى انتظـار أن يخلع عليه السلطان ويأذن له بالعودة الى مقـر نيابته الا أن اقامته قد طالت ، وبدأ يدور همس فى أرجاء القصر بأن السلطان ينوى عزله وإبقاءه بمصر ، عندئذ لم يجد سودون أمامه سوى الاستعانة بسلاح المال ، لاسيما وهو يعلم مسبقا مدى حب السلطان له وشرهه فيه ، فبذل له خمسين ألف دينار ، عجل منها بالنصف ، ووعد بحمل الباقى بعـد عودته ، فأسقط فى يد السلطان الأشرف وخلع عليه فى الثانى من شعبان وأذن له بالعودة الى مقر نيابته بدمشق •

والواقع ان هذا المبلغ الضخم قد أثار دهشة بعض أصحاب سودون بيد ان هذا الأخير فسر لهم الأمر بما نصه : « أحمل مائة ألف دينار ، ولا أقعد بمصر فى تهديد الأجلاب » وجدير بالذكر ان المماليك الأشرفية ، كانت قد نزلت من الطباق بالقلعة فى أثناء تواجده بالقاهرة ، وأعملت النهب فى بيت الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ لتأخر رواتبهم (١٦٥) •

ويفهم من المصادر أيضا أن سودون هذا شغل وظيفة أتابك العساكر فى جمادى الأولى من سنة ١٤٣٢/٨٣٥ ، وانه تعرض لسخط السلطان وحنقه بعـد تجريدة آمد ، فأمر بنفيه واخراجه الى القدس ، الا انه نجح فى البقـاء بالقاهرة متعللا باسترخاء أعضائه ، وتعطل حركته من تمادى المرض به • ولكنه بمجرد أن علم بوفاة جرقطلو نائب الشام ، وببحث السلطان برسباى عمن يوليه هذه النيابة ، سارع بتقدم الصفوف ، باذلا مبلغا كبيرا من الذهب ، الأمر الذى أصاب السلطان بالدهشة ليقينه بأن سودون « قد أتلفه المرض » • ومع ذلك فقد أرسل ليتحرى الأمر ، فوصله رد سودون بأنه « مهما أراد السلطان منى فعلته له » • عندئذ فقط أدرك السلطان الأشرف أنه كان ضحية هذا الأمير فأمر باخراجه فى الثانى عشر من شهر رجب سنة ١٤٣٤/٨٣٧ منفيا الى ثغر دمياط (١٦٦) •

والحق ان سوء سيرة هذا النائب كانت موضوع حديث أغلب مؤرخى هذا العصر ويكفى أن نسجل هنا ما ذكره المقريزى عند وفاته فى سنة ١٤٣٨/٨٤١ « وكان مصرا على ما لا تبيحه الشريعة من شهواته الخسيسة

وأحدث فى دمشق أيام نيابته بها ، عدة أماكن لبيع الخمور ووقوف البغايا والأحداث وضمنها بمال فى كل شهر ، فاستمرت من بعده واقتدى به فى ذلك غير واحد ، فعملوا فى دمشق خمارات مضمنة بأموال ٠ من غير أن ينكر عليه أحد ذلك (١٦٧) » ٠

والحديث عن نيابة الشام وتوليها عن طريق البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك الجراكسة يحتم علينا الاشارة الى الأمير جلبان الذى سار على نفس الأسلوب الذى انتهجه الامير سودون بن عبد الرحمن ، اذ نراه يحضر فى جمادى الآخرة من سنة ١٤٤١/٨٤٤ تقدمه جليلة تتألف من ثمانين فرسا بغير سروج ، وثلاثين بختيا ، وعدة بغال ، وقماش ما بين ثياب حرير ، وثياب بعلبكى ، وثياب صوف مربع ، وفرو ما بين وشق وسمور ، وقماقم وسنجاب ، بلغت قيمتها عشرة آلاف دينار (١٦٨) ٠

وفى نفس الشهر من سنة ١٤٤٢/٨٤٦ بعث بهدية أخرى اشتملت على نحو مائتى فرس منها ثلاثة بسروج ذهب وكنابيش ذهب ، وعشرة مماليك ، وأشياء كثيرة من الصوف والقز ، والمخمل والثياب البعلبكى والصينى ، بالاضافة الى بذل قدره عشرة آلاف دينار (١٦٩) ٠

وفى الثانى من ذى الحجة سنة ١٤٤٥/٨٤٨ يسجل كتاب هذا العصر وصول الأمير جلبان الى القاهرة بصحبة تقدمة هائلة يفصلها لنا المؤرخ ابن تغرى بردى على الوجه التالى « سمور خمسة أبدان ووشق بدنان ، وقماقم خمسة أبدان ، وسنجاب خمسون بدنا ، وقرضيات خمسون قرضية ، ومخمل ملون خاص أربعون ثوبا ، ومخمل أحمر وأخضر وأزرق حلبى ، خمسون ثوبا ، وصوف ملون مائة ثوب ، وثياب بعلبكى خمسمائة ثوب ، وثياب بطائن خمسمائة أيضا ، وقسى حلقة ثلثمائة قوس ، منها خمسون خاصا ، وطبول بازات مذهبة عشرة ، وسيوف خمسون سيفا ، وخيول مائتا رأس ، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش ، وبغال ثلاثة اقطار ، وجمال أربعة أقطار ، عدا بذل نقدى بلغ عشرون ألف دينار (١٧٠) ٠

والواقع ان كثرة هدايا هذا النائب والأموال التى بذلها للسلطان جقمق ، تثير أكثر من تساءل عن مصدرها ، وعن أسبابها ؟

على هذه الاسئلة يجيب السخاوى فى حوادث سنة ١٤٤٨/٨٥٢ فيقول :
« وفى يوم السبت سادس عشرة صفر وصل جلبان نائب الشام الى

القاهرة ... وكان السبب في قدومه شكوى أهل الشام منه ومن دواداره واستاداره وخازنداره . فرسم بمجيئه ولو على الهجن » . مما يكشف لنا عن طبيعه السلوك الشخصي لهذا النائب ، وأيضا على سياسة الظلم التي سار عليها هو وبطانته ازاء الرعية من اجل الحصول على مثل هذه الهدايا، ومن أجل تجميع تلك المبالغ التي كان يبذلها للسلطان من حين لآخر لكسب رضائه ، ولشراء سكوته ، وحتى يغلق عينيه عن سلوكه السيىء ، والغريب في الموضوع انه عقب وصوله سارع السلطان جقمق بالخروج لملاقاته في خليج الزعفران ثم لم يلبث أن خلع عليه بعد مرور عدة أيام بخلعة الاستمرار ، بل وأذن له بالعودة الى نيابته في الثاني عشر من ربيع الأول ، بدلا من أن يعزله أو يحاققه في الشكوى المقدمة ضده وضد موظفيه . وفي محاولة لتفسير هذا الموقف الشاذ من قبل السلطان نجد ان هذا النائب كان قد قدم الى السلطان فور وصوله مائتي فرس من الخيل، منها اثنان بسرجين مغرق ، ولباس زركش ، وثلاثة قطر بخاتي ، وجملة أقفاص فيها من الثياب الصوف والمخمل والبعلبكي والبطاطين والسمور والسنجاب والوشق شيء كثير . هذا عدا مبلغ نقدي جملته عشرة آلاف دينار (١٧١) ، استطاع عن طريقها صرف نظر السلطان عن السبب الذي من أجله أرسل في استدعائه على وجه السرعة .

وتتحدث المصادر المملوكية أيضا عن الأمير تنبك ميق نائب دمشق ، وترميه بسوء السيرة والطمع وأخذ الرشا ، وشرب الخمر (١٧٢) ، وعن برسباى الظاهرى ، الذى ولى نيابة الشام عن طريق البذل والذى لم يشكر لعدم حرمته (١٧٣) . كما تحدثت أيضا عن سودون اليشبكي المعروف بقندورة الذى ولى كل من نيابة قلعة صفد ، وقلعة دمشق بالبذل والبرطلة (١٧٤) .

واشتملت كتابات المعاصرين أيضا على أسماء بعض هؤلاء الذين نجحوا في الوصول الى نيابة غزة والقدس بواسطة بذل الأموال مثل الأمير خير بك النوروزي حاجب صفد ، الذى استقر نائبا لغزة في الثامن عشر من شهر ذى القعدة سنة ١٤٤٨/٨٥٢ بعد عزل نائبها طوغان العثماني (١٧٥) . وان كان لم يستمر فيها طويلا ، فقد عزل في الخامس من نفس الشهر سنة ١٤٥٠/٨٥٤ ، واستقر مكانه جانبك التاجي المؤيدي ، بعد أن سعى عليه بالأموال الكثيرة (١٧٦) . ونقرأ أيضا عن الأمير خشقدم الذى تولى نيابة القدس أكثر من مرة بالبذل والبرطلة رغم كراهية أهلها له ، لما اتصف به من الظلم والعسف (١٧٧) .

أما حلب النيابة الثانية من نيابات السلطنة بالمملكة الشامية (١٧٨). فقد عرفت ايضا البذل والبرطلة وسار نوابها على سياسة تقديم الهدايا والتقادم • فها هو الامير سيف الدين بيدمر ، الذى ولى نيابه دمشق ست مرات ، يصل الى القاهرة فى نهاية شهر جمادى الأول سنة ١٣٧٣/٧٧٥ وبصحبته تقادم جليلة ، كان لها وقع السحر على السلطان الأشرف شعبان فعهد اليه بنيابة حلب ، عوضا عن الأمير أشقتمر (١٧٩) • بيد ان هذا الأخير لم يكن ليرضي أن تنتزع منه نيابته بهذه السهولة ، فعمد بدوره الى الاساليب السائدة فى عصره من سعى ، وبذل ، واهداء ، حتى عاد اليها ثانية بدليل ما يرويه المقريزى من وصوله فى أول شعبان سنة ٧٧٧/ ١٣٧٦ الى القاهرة محملا بالهدايا للسلطان الذى قبلها وخلع عليه خلعة الاستمرار على نيابته (١٨٠) • ونسمع أيضا عن الأمير اينال اليشبكى الذى ولى كل من نيابة الكرك ، وحماة ، وطرابلس ، ثم حلب بالبذل والبرطلة (١٨١) • وعن قانصوه خازندار الذى استقر فى نيابة عينتاب (١٨٢) بمال له صورة ومع ذلك فلم يستمر طويلا وعزل عنها فى رمضان سنة ١٥١١/٩١٧ بسبب كثرة السعى عليه (١٨٣) •

ونعلم ايضا ان نيابة قلعة حلب ، وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس لنائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما هو الحال بالنسبة لدمشق (١٨٤) ، كانت مجالا طيبا للبذل والبرطلة فقد روى المؤرخ المملوكى ابن تغرى بردى فى معرض ترجمته للأمير سيف الدين حطط ،أتابك طرابلس أنه ولى نيابة قلعة حلب بالبذل ، كما وصفه بأنه كان لا للسيف ، ولا للضيف (١٨٥) ، وروى السخاوى ان كمشبغا مملوك الأمير بخشباى ولى نيابة هذه القلعة سنة ١٤٦٣/٨٦٧ ببذل للسلطان الظاهر خشقدم ، ثم نقل بعد مدة يسيرة الى نيابة البيرة حيث توفى بها فى أواخر شوال من السنة التالية (١٨٦) • والى هؤلاء يضيف الصيرفى الأمير سيف الدين ألماس الذى ولى نيابة قلعة حلب بالبذل والذى لولا نيابته لهذه القلعة ما أرخ له هذا الكاتب لأن أستاذه كان على حد تعبيره « دون القليلون فما بالك به » ،وصفه أيضا بأنه « لا يصلح للسيف ولا للضيف (١٨٧) » •

وعن طرابلس ، النيابة الثالثة من نيابات المملكة الشامية (١٨٨) افاضت المصادر فى الحديث عمن وليها بالبذل والبرطلة • فقد تحدث كتاب هذا العصر عن ولاية يشبك الموساوى لها فى ربيع الأول سنة ١٤١٠/٨١٣ ببذل قدره مائة ألف دينار ، ومع ذلك فلم يستمر فيها طويلا،

اذ سرعان ما قبض عليه فى المحرم من السنة التالية وبعث به الى سجن الاسكندرية (١٨٩) • كذلك أشار ابن تغرى بردى الى ولاية الأمير يشبك النوروزى حاجب حجاب دمشق لها فى شهر ذى الحجة سنة ١٤٥٠/٨٥٣ ، عوضا عن الأمير يشبك الصوفى بمال كبير بذله للسلطان جقمق (١٩٠) • على حين اشار المؤرخ ابن اياس الى أن السلطان الغورى خلع فى رجب سنة ١٥١٣/٩١٩ على جانم من ولى الدين بنيابة طرابلس بعد ان سعى فيهـا بستين ألف دينار (١٩١) • كما أشار الى ولاية الأمير قانى باى قرا لنيابة صهيون ، احدى نيابات طرابلس (١٩٢) • بمال له صورة ، بسعاية الأمير أزبك الخازندار (١٩٣) •

كذلك لعبت نيابة حماة ، رابع نيابات المملكة الشامية (١٩٤) ، دورا هاما فى مجال الرشوة ، حيث تسابق أمراء المماليك عليهـا ، مستخدمين فى ذلك وسائل شتى من الهدايا والأموال التى كانوا يبذلونها للسلاطين بغير حساب • وحسبنا أن نشير هنا الى المؤرخ أبو الفداء الذى سار على سياسة مهاداة السلطان الناصر محمد بن قلاوون من حين لآخر(١٩٥) حتى قلده اياها فى الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ١٣١٠/٧١٠ (١٩٦) • والى الأمير جانبك التاجى ، الذى ولى كل من نيابة غزة ، وصفد ، وحماة ببذل المال ، « والذى يبذل المال لابد له من الظلم (١٩٧) » •

ولم تضن علينا المصادر المملوكية بمعلوماتها عن أولئك الذين تولوا نيــابة صفد ، خامس نيابات مملكة الشام (١٩٨) بالبذل والهدايا • ففى جمادى الأولى سنة ١٤٣٣/٨٣٦ ، قدم الأمير مقبل الرومى الى القاهرة وظل بها حتى خلع عليه خلعة الاستمرار ، بعد أن بذل للسلطان الأشرف مالا وغيره بنحو اثنى عشر ألف دينــار ، استطاع عن طريقهــا الاحتفاظ بنيابته التى أمضى فيها نحو عشر سنين (١٩٩) • ونسمع أيضا عن استقرار بلاط دوادار الحاج اينال فى هذه النيابة فى جمادى الأولى سنة ١٤٦٣/٨٦٧ دفعة واحدة من غير تدرج ببذل المال ، عوضا عن خير بك القصروى (٢٠٠) • ونقرأ كذلك فى تاريخ ابن اياس ان السلطان قانصوه الغورى خلع بنيابة صفد فى ربيع الآخر سنة ١٥١٢/٩١٨ ، على شخص يدعى طراباى بعد أن سعى لديه بمال له صورة (٢٠١) ، وان طراباى هذا استمر فى نيابته حتى سعى عليه الأمير يوسف من سيباى بمال له صورة أيضا ، فعزله السلطان فى جمادى الآخر سنة ١٥١٥/٩٢١ ، مما أثار حفيظة الأمراء ، لكونه سيفى ولكن « مازال الدهر كثير الغلطات (٢٠٢) » •

ويفهم أيضـــا من كتابات المعاصرين ان الأتابكية ثانى الوظائف العسكرية في الدولة المملوكية (٢٠٣) ، كانت موضوع بذل وبرطلة • فقد روى بعض المؤرخين فى ترجمه خير بك النوروزى انه استقر فى الثالث من شوال سـنة ١٤٥١/٨٨٥ أتابكا لصفد عن طريق البـذل لكونه من أطراف الناس ، ولم تسبق له رئاسة بالديار المصرية (٢٠٤) • كما ذكر السخاوى أن علان المؤيدى توصل الى منصب الأتابكية بدمشق فى أيام الأشرف اينال بوا طة بذل المال (٢٠٥) ، وأشـارت المصادر أيضا الى استقرار الشيبانى الطرابلسى ، أتابكا لطرابلس بعد القبض على مغلباى البجاسى في المحرم سنة ١٤٦٢/٨٦٧ بمال كبير وعد به ، أثار دهشة المؤرخ ابن تغرى بردى فكتب يقول : « وما أظن انه يستوفى ربعه من خراج مغل الاقطاع الذى أخذه (٢٠٦) » •

ووظيفة أمير سلاح التى اعتبرها القلقشندى الوظيفة الخامسة بين الوظائف العسكرية فى البلاط السلطانى (٢٠٧) والتى علت درجتها فى عصر المماليك الجراكسة حيث صـنفها ابن شاهين ثانيـة الوظائف العسكرية (٢٠٨) ، صارت أيضا تمنح فى هذا العصر بالهدايا والأموال بدليل ما ذكره ابن تغرى بردى عن استقرار أبيه بها فى سلخ جمادى الأولى سنة ١٣٩٨/٨٠٠ بعد أن بذل للسلطان « نيفا وعشرين مملوكا ، وخمسة طواشية •• وثلاثين ألف دينار مصرية ، ومائة وخمسة وعشرين فرسا ، وعدة جمال بخاتى تزيد على الثمانين ، وأخمالا من البقج فيهـا أنواع الفرو والشقق الحرير ، وأثواب الصـوف ، والمخمل ، زيادة على مائة بقجة » ، ويكفى أن نشير هنا الى أن هذا الأمير كان قد عزل عن نيابة حلب فى الخامس عشر من ربيع الأول من السـنة المذكورة (٢٠٩) حتى نتصور مدى تأثير تقدمته هذه على السلطان ، الذى سارع بالبحث له عن وظيفة أخرى مناسبة •

والحديث عن الامرة والامارة يحتم علينا الاشارة الى ما أصـاب رتب الجيش المملوكى من تدهور نتيجة البذل والبرطلة ، فقد روى السخاوى أن تنم من عبد الرزاق المؤيدى ، صار بالبذل أحد المقدمين (٢١٠) • كما أشار الصيرفى فى ترجمة سودون القصروى انه استطاع الترقى الى رتبـة أمير مائة مقـدم الف بالديار المصرية ببـذل قدره عشرة آلاف دينار (٢١١) ويحدثنا المقريزى ان مملوك ابن سعيد أنعم عليه فى مستهل ذى الحجة سنة ١٣٤٦/٧٤٦ ، بطبلخاناة نظير بذل قدره سـتة آلاف دينار (٢١٢) • أما المؤرخ ابن حجر فيحكى ان هذه الرتبة وقفت على الأمير

جمال الدين الحاجب في شوال سنة ١٣٧٩/٧٨٠ بعشرة آلاف دينار (٢١٣) ونعلم أيضا ان تمرار الجركسي رقى الى امرة عشرة بعد موت عليباى الأشرفي بالبذل (٢١٤) • وفي ذلك يقول أحد المعاصرين « وصارت المملكة بأيدى هؤلاء الأمراء ، وكل من أراد شيئا فعله ، فصار الرجل يلي الوظيفه من سعي فلان ، وينزل الى داره فيعزل في الحال بامر غيره ، وكل أحد يتعصب لواحد ، وكل منهم يروم الرتب العليا (٢١٥) » •

ولم يكن حظ وظيفه أمير اخور ، التى تحتل المرتبة السادسة بين الوظائف العسكريه الكبرى بالبلاط السلطانى (٢١٦) ، أقل من غيرها فى مجال الرشوة فقد روى أحد المعاصرين فى ترجمة عبد العزيز بن قطلبك انه تنقل فى الخدم السلطانية ، فعمل خاصكيا ، ثم أمير آخور ثالث ، ثم حاجب ثالث ، ثم وكالة الاصطبلات السلطانية فى أيام السلطان الظاهر جقمق ••• وذلك بالبذل ، الذى كان يستدين أكثره ، ثم يقاسي من شكوى أربابه (٢١٧) • كما حكى الصيرفى فى ترجمة الاميرتانى بك اليحياوى أمير آخور كبير بانه كان طماعا حريصا على جمع المال ، ورماه أيضا بقلة المبالاة فى أخذ الرشى والبراطيل (٢١٨) •

والدارس لوظيفة الدوادارية (٢١٩) يلاحظ انه رغم اختلاف المصادر المملوكية فيما بينها بصدد ترتيبها فى سلك الوظائف العسكرية ، حيث صنفها القلقشندى فى المرتبة السابعة (٢٢٠) على حين وضعها صاحب ديوان الانشاء فى المرتبة الثامنة (٢٢١) ، فى الوقت الذى اعتبرها خليل ابن شاهين الظاهرى رابعة الوظائف العسكرية (٢٢) ، فقد اتفقت المصادر على أن هذه الوظيفة صارت تولى أيضا عن طريق البذل ، كما انها أصبحت مجالا للرشوة نظرا لاشتراك الدوادارية مع الحجاب فى تقديم المساكين من العامة الى السلطان عند جلوسه بدار العدل لخلاص المظالم » (٢٢٣) ، وبسبب تحكمهم منذ أيام يشبك من مهدى فى جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والبريد والأحكام والولاية والعزل حتى أصبح الدوادار يأتى فى المرتبة الثانية بعد السلطان مباشرة (٢٢٤) •

وعلى هذا فقد عمد بعض سلاطين دولة المماليك البحرية على مراقبة هذه الفئة وعزل المرتشى منهم مثلما حدث فى سنة ١٣٣٥/٧٣٦ عندما أمر السلطان الناصر محمد فى السابع عشر من ربيع الأول ، بعزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية ، بسبب ما أشيع عنه من تعاطى البراطيل (٢٢٥) • ومع ذلك فيفهم من كتابات هذا العصر ان الدوادارية

استمرت فى تداول الرشا والبراطيل بدليل ما رواه بعض المؤرخين فى ترجمة كل من محمد بن اينال العلائى ، دوادار الأشرف برسباى ، وأقبغا الفقيه ، الذى اشتهر بالرشا والبراطيل وأخذ أموال الناس ، وأيضا بارتكاب المحرمات (٢٢٦) .

وكان طبيعيا أن يقبل هؤلاء على الانغماس فى الرشوة ، طالما انهم بذلوا أموالا كثيرة على هذه الوظيفة الهامة ، فقد حدثنا السخاوى ان دولات باى المحمودى استقر فى صفر سنة ١٤٤٩/٨٥٣ فى الدوادارية الكبرى عوضا عن قانباى الجركسى على مال بذله (٢٢٧) . كما ذكر ابن تغرى بردى فى ترجمة خشكلدى الزينى انه سعى فى دوادارية السلطان بدمشق حتى وليها بمال بذله فى ذلك (٢٢٨) . وقص علينا أيضا ما تعرض له بردبك الدوادار الثانى من اهانة فى شوال سنة ٨٦٥/١٤٦١ بسبب تعير السلطان خشقدم عليه لعدم وفائه بمبلغ الثلاثين ألف دينار ، التى كان قد تعهد فيما يبدو بحملها الى الخزانة ثمنا لوظيفته، فيقول : « فذكر بردبك انه لا يقدر عليها الا بعد بيع قماشه ومتاعه ، وشرع فى ذلك ، فقبل أن يغلق المبلغ ، وجد له عند عيسى المغربى زيادة على ثلاثة عشر الف دينار نقدا فغضب السلطان لكونه ادعى الفقر وله هذا المبلغ عند بعض الفقراء وقد نسيه عنده ، فأعيد الى الترسيم وطلب منه مائة ألف دينار (٢٢٩) » .

ومن الوظائف العسكرية التى ساعدت الرشوة على تدهورها ، وظيفة الحجوبية ، التى وضعها القلقشندى فى المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية (٢٣٠) . وكان صاحبها يعرف بحاجب الحجاب ، ويعاونه فى العادة عدد آخر من صغار الحجاب وصل عددهم فى أواخر عصر المماليك الجراكسة الى ما يقرب من عشرين حاجب ، كان جميعهم من غير الأمراء (٢٣١) ، الذين نجحوا فى الوصول الى مناصبهم بالبذل والبرطلة من أمثال الطنبغا مملوك طراباى ، الذى استقر فى حجوبية غزة فى ربيع الأول سنة ١٤٤٧/٨٥١ (٢٣٢) ، وعبد العزيز بن محمد الصغير ، الذى صار فى ذى الحجة سنة ١٤٠٥/٨٥٣ من جملة الحجاب بالقاهرة بعد أن قدم للسلطان جقمق عدة خيول (٢٣٣) . ويشبك النوروزى الذى عمل كل من حجوبية طرابلس ودمشق بالبذل لعدم تأهله (٢٣٤) . ومن بين الذين تولوا حجوبية هذه النيابة أيضا تشير المصادر الى يشبك دوادار قانى باى البهلوان الذى استقر فيها بالبذل فى شعبان سنة ١٤٥٥/٨٥٩ لكونه من الأوباش ، ولم تسبق له رئاسة (٢٣٥) . والى شاذ بك الصارمى

الذى صار حاجب الحجاب بها بالبذل (٢٣٦) • ويضيف المؤرخ ابن تغرى بردى اليهم العلائى الازبكى المتكلم فى عد الغنم بالبلاد الشاميه (٢٣٧) ، الذى بذل خمسه وأربعين ألف دينار ، لتكون معه مضافة لعد الأغنام • بيد أن الشهابى أحمد بن قليب حاجب طرابلس لم يكن ليتقبل مثل هـذا التعدى الصارخ على وظيفته فسارع بعرض بذل قدره خمسون ألف دينـار على الوظيفتين نكاية للازبكى ، الذى يبـدو انه قبل التحدى فوقعت الزيادة بينهما حتى وصل المبلغ المعروض على السلطان الظاهر خشقدم ستة وسبعين ألف دينار ، وفى هذا يقول ابن تغرى بردى : « وهذا شىء لم نسمع مثـله فى سالف الاعصـار ، وما يكون شـأن هاتين الوظيفتين حتى تصلا الى هذا الحد » • وحسما للموقف اقترح الشهابى ابن العينى على السلطان أن يظل كل منهما على وظيفته فى مقابل سبعين ألف دينار ثلاثين على الأزبكى ، والباقى على ابن قليب (٢٣٨) •

ويبدو أن اتساع سلطة الحجاب زمن سلاطين المماليك كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير حساب على هذه الوظيفة فقد حدثتنا المصادر المعاصرة بأن عمل الحجاب فى هذه الفترة لم يقتصر على استئذان السلطان للمقابلة ، بل شمل مهام أخرى كثيرة كالركوب أمام السلطان فى المواكب السلطانية ، وابلاغه حاجات الناس ومطالبهم ، وتقديم ما يرد وما يعرض الى السلطان ، وعرض الجند ، والحكم بين الأمراء والجند فى المسائل الديوانية وأمور الاقطاعات ، والمشـكلات غـير الشرعية ، والحكم بين المغول الذين استوطنوا مصر حسب قوانين الياسة أو اليسق (٢٣٩) بل صار الحجاب يتدخلون فى الأحكام الشرعية أيضا ، ويزاحمون قضاة الشرع فيها • وكثيرا ما كان المظلمون من حـكم الحجاب يلجئون الى القضاة لينصفوهم (٢٤٠) • وقد صـور لنا المقريزى حال الحجاب على عصره فقال : « وأما الحجاب فانهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك اليهم ، ومشكو عليه ، فما من أحد من الحجاب الا وفى بابه رجل يقال له رأس نوبة يضمن له فى كل يوم قدرا معلوما من المال يقوم له به ، ومن هذا المال المضمون يقيم أوده ، فيقسط رأس نوبة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب وما لابد له من صرفه على عياله ، ومؤنة فرسه ، وأجرة سياسها ، وما اعتاده من المحرمات التى لا يتركونها ما وجد اليها سبيلا ، وما يرصده ويدخره عنده عدة له فى وقت مكروه ينزل به من عزله ، أو مصادرة الحاجب له ، أو غير ذلك من العوارض • فيتناول من كل واحـد من النقباء شيئا مقررا عليه عند

مضيه في طلب غريم ، يقال له الاطلاق . فاذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبه ابوابا من انواع مغرمهم الذى تفقهوا فيه ، فيحتاج الى بذل المال له ، ولدوادار الحاجب ، وللحاجب ، بحسب ما يقتضيه رايهم . فربما بلغ الغرم في الشكوى الآلاف من الدراهم ، فانهم يسلسلون قضايا ظلمهم حتى يستمر المشكو فى الترسيم الأيام والأشهر . وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجوه ، فانهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات ولا يكلفون حمل شيء منه الى السلطان (٢٤١) » .

من هذه الصورة يتبين لنا مدى التدهور الذى آلت اليه هذه الوظيفة زمن سلاطين المماليك الجراكسنة بعد ان أقبل الحجاب وأعوانهم على أخذ الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل .

واذا تركنا الحجابة وانتقلنا الى الاستادارية ، الوظيفة العاشرة فى سلك الوظائف العسكرية (٢٤٢) ، لوجدنا ان الأمر افدح بكثير بعد أن أصبحت هذه الوظيفة تولى بالهدايا والبذل ، مما أدى الى كثرة الطامعين فيها ، والى المزايدة عليها فيما بينهم . ويكفى أن نشير هنا الى قليل من كثير مما ورد فى المصادر المعاصرة بشأن هذه الوظيفة . ففى سنة ١٣٨٩/٧٩١ يسجل لنا المؤرخ ابن حجر عودة محمود الاستادار الى وظيفته بعد أن قدم هدايا عظيمة للسلطان حاجى (٢٤٣) . كما ذكر أيضا ان عبد الغنى بن عبد الرزاق قد استقر فى الاستادارية فى ربيع الآخر سنة ١٤١١/٨١٤ عوضا عن ابن الهيصم ببذل قدره أربعون ألف دينار ، الا أنه سرعان ما صرف منها فى نهاية السنة المذكورة بعد أن سار سيرة عجيبة من كثرة الظلم وأخذ الأموال بغير شبهة أصلا ، والاستيلاء على حواصل الناس بغير تأويل . كما وصفه ابن حجر بأنه « كان عارفا بجمع المال ، وقد جمع منه فى ثلاث سنين ما لا يجمعه غيره فى ثلاثين سنة (٢٤٤) » .

وفى سنة ١٤١٥/٨١٧ حدثنا بعض المعاصرين بعودة الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الى الأستادارية في السادس والعشرين من شهر رمضان بعد أن قام للسلطان المؤيد شيخ بهدية تتألف من مائة فرس ، وثياب وسلاح ، قومت بخمسة عشر ألف دينار (٢٤٥) ، ويبدو أنه عمد على الفور الى تعويضها عن طريق مصادرة جماعة من الرسل والبرددارية المرصدين ببابه لقضاء الأشغال ، والتصرف فى الأمور ، وكان هؤلاء قد كثر عددهم منذ أيام جمال الدين يوسف الأستادار ، وتزايدت أموالهم حتى بلغت نفقة الواحد من آحادهم الألف درهم فى اليوم (٢٤٦) . ورغم ما دأب عليه هو وأعوانه من سياسة النهب والسلب فقد عجز عن الوفاء

بجوامك المماليك وعليق خيولهم ، الأمر الذى جلب عليه نقمة السلطان مع كثرة دالته عليه ، وبسط لسانه بالمانة عليه ، فأمر فى ربيع الآخر سنة ١٤١٦/٨١٩ بالقبض عليه وتعويقه بالقلعة ، حتى شفع فيه ، فسلم الى الامير جقمق الدوادار على أن يحمل ثلاثمائة ألف دينار ، خفضت فيما بعد الى مائة وخمسين ألف (٢٤٧) بعد ما عصر فى بيت الأمير جقمق عصرا شديدا ، وضربت الحوطة على موجوده ، وتتبعت حواشيه وألزامه ، وقبض عليهم فأصبحوا على حد تعبير أحد المعاصرين : « محرومين بعد ما كانوا محسودين ، نكالا من الله بما قدمت أيديهم ،فانهم كانوا قوم سوء فاسقين لم يعفوا عن قبيح ، ولا كفوا يدا عن ظلم (٢٤٨) » .

وخلف الأمير بدر الدين الأمير فخر الدين فى وظيفة الأستادارية ، التى يبدو انه وليها أيضا عن طريق البذل . حقيقة أن المصادر قد ضنت علينا بمعلوماتها فى هذا الصدد ، الا انها أطنبت فى الحديث عن الهدايا والاموال التى دأب فخر الدين على بذلها للسلطان . ففى الثانى والعشرين من شوال سنة ١٤١٧/٨٢٠ بذل للسلطان عشرة آلاف دينار ، يبدو انها أتت ثمارها ، لأنه بعد مرور أربعة أيام خلع عليه السلطان خلعة الاستمرار فى الأستادارية ، بل وأضاف اليه وظيفة مشير الدولة . وتشير المصادر أيضا الى المائه ألف دينار التى حملها الى السلطان أثناء وجوده بالشام ، كما تتحدث عن تقدمته له بعد عودته ، التى اشتملت على أربع مائة ألف دينار عينا ، وثمانية عشر ألف أردب غله ، عدا ما وفره من ديوان المفرد (٢٤٩) ومقداره ثمانون ألف دينار ، وما جباه من النواحى وهو مائتا ألف دينار وخمسون ألف دينار ، مضافا اليها ما حصل عليه من اقطاعه الشخصى وهو ثلاثون ألف دينار (٢٥٠) .

ومع ذلك ، فيبدو أنه لم يعمر طويلا فى الاستادارية ، لأننا نقرأ فى المؤلفات التى وضعت زمن المماليك الجراكسة اسم أبو بكر الاستادار الذى بلغ مجموع ما حمله الى السلطان منذ مباشرته حتى نهاية رجب سنة ١٤١٩/٨٢٢ ، ستة وعشرين مائة ألف دينار ، كلها من مظالم العباد وما منها دينار الا وتلف بأخذه عشرة ، وتخرب بجبايته من أرض مصر ، على حد تعبير أحد المعاصرين ، ما يعجز القوم عن عمارته (٢٥١) .

وخلف أبو بكر ، أرغون شاه ، الذى يرجح انه ولى بالبذل أيضا ومع ذلك فلم يعمر طويلا ، حيث عزل فى الثامن والعشرين من شوال سنة ١٤٢٣/٨٢٦ بناصر الدين محمد بن شمس المعروف بابن أبى والى . ويقص علينا بعض مؤرخى هذه الفترة تفاصيل ولايته ، بأنه عقب عزل

أرغون شاه ، ألزم بحمل عشرين ألف دينار ، فوعد أن يحمل منها ثلاثة آلاف دينار ، ويمهل فيما بقى عدة أيام ، فسولت نفس ابن أبى والى وزين له شيطانه أن يكون أستادارا فى مقابل أن يسدد المبلغ الذى ألزم به أرغون شاه ، فخلع عليه واستقر ، ونزل بالخلعة الى بيت أرغون شاه ، وعليه قماشه ، بل تسلم آرغون شاه المذكور ، وأدخله الى داره وهو فى الحديد ويعلق المؤرخ ابن تعزى بردى على هذه الحادثة بقوله : « فرأى أرغون شاه من كان من جملة غلمانه على مقعده وفى بيته وتحكم فيه ، وأخذ يعاقبه بحضرة من كان يخدمه بها ، فلما رأى ما حل به دمعت عيناه وبكى ، فكان فى هذا الأمر عبرة لمن اعتبر » (٢٥٢) ٠

وفى ربيع الآخر سنة ٨٣٣/١٤٣٠ ، خلع السلطان الأشرف برسباى على أقبغا الجمالى باستقراره أستادارا ، بعد عزل الزينى عبد القـــادر ابن أبى الفرج ، على أن يحمل مائة ألف دينار بعد تكفية ديوان المفرد ، الا أن أقبغا لم يستطع أن يفى بوعوده للسلطان « وكذب وتخومل » ، فعزل فى الثالث من ذى القعدة من السنة المذكورة ٠ وازاء قلة المتقدمين لهذه الوظيفــة ، اضطر السلطان الأشرف الى اضافتها الى الوزير الصـــاحب كريم الدين بن كاتب المناخ ٠

ويصف أحد المؤرخين أقبغا هذا بأنه من أوباش المماليك ، وبأنه خدم بلاصيا عند الكشاف ثم ترقى حتى ولى الكشف فى عهد الأشرف برسباى فأثرى وكثر ماله وبذا استطاع أن يلى الأســتادارية ، فلم ينتج فيها ، وساءت سيرته ، فعزل وضرب بالمقارع (٢٥٣) ٠ وفى سنة ٨٣٥/١٤٣٢ ، استطاع أقبغا الجمالى ، العودة مرة ثانية الى الأستادارية بعد أن تعهد بوزن عشرة آلاف دينار ، وبحمل أربعين ألف أخرى فى حالة ســفر السلطان الى الشام ، فأجيب وخلع عليه فى جمادى الآخرة ، مضافة الى كشف الوجه البحرى (٢٥٤) ٠

وتتحدث المصادر عن شخصية أخرى ، هى زين الدين يحيى ، الذى ولى هذه الوظيفه فى ربيع الآخر سنة ٨٤٦/١٤٤٢ ، فتقول فى شىء من التهكم والسخرية من تقلبات القدر بأنه كان كثيرا ما يلى الوظائف بالبذل ثم يعزل عنها بسرعة ، حتى تجمد عليه جمل من الديون ، وبأنه استمر فى بحبــــوحة من الفقر والذل والافلاس الى أن ولى الأمــير قيزطوغان الأستادارية ، فاختاره لنظر ديوان المفــرد وركن اليه ، فاستفحل أمره وقضى ديونه ، وبدأ يدبر على الأمير طوغان فى الباطن ويحسن له الاقالة

من الوظيفة حتى فعل مصداقا للمثل السائر « لا تموت النفس الخبيثة حتى تسيء لمن أحسن اليها » • وجاء الزيني عبد الرحمن بن الكويز لتنفتح الأبواب أمام زين الدين لهولة ابن الكويز ولخروج قيزطوغان من مصر ،حتى تم له ما أراد ولبس الاستادارية ، ونعت بالأمير لكنه لم يتزيا بزى الجند ، بل استمر على لبسه العمامة والفرجية ، فصار فى الوظيفة غير لائق ، كونه استادارا فيه شيم الرئاسة ، وكانت ولايته وسعادته غلطة من غلطات الدهر وذلك لفقد الاماثل وفى ذلك يقول أحد الكتاب :

حلت الرقاع من الرخاخ

ففرزنت فيها البيادق

وتصاهلت عرج الحمير

فقلت : من عدم السوابق (٢٥٥)٠

ويفهم أيضا من المصادر المعاصرة بأن أستادارية الشام كانت تولى بالبذل ، فقد روى السخاوى بأن أسندمر الأرغون وليها فى ربيع الآخر سنة ١٤٥٠/٨٥٤ ببذل قدره عشرة آلاف دينار (٢٥٦) • كما روى ابن طولون فى حوادث سنة ١٤٩٩/٩٠٥ بأن ظلم الأستادار قد فاق بدمشق كل وصف بسبب أن النائب قد جعل عليه فى كل شهر نحو عشرة آلاف دينار (٢٥٧) •

والحق ان هذه الوظيفة صارت معولا هداما فى أيدى الأستادارية الذين استقروا فيها ببذل الهدايا والأموال ، بدليل ما اشار اليه المقريزى فى معرض حديثه عن أنواع الظلم الذى تعرضت له البلاد على أيدى حكامها فى الربع الأول من القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى اذ يقول : « وأما الأستادار فانه أمدهم باعا ، وأقواهم فى الظلم ذراعا ، وأنفذهم فى ضرر الناس امرا ، واشنعهم فى الفساد ذكرا • وذلك أنه خرج الى الوجه البحرى ، ففرض على جميع القرى فرائض ذهب ، قررها بحيث أن الجباية شملت أهل النواحى عن آخرهم • ولم يعف عن أحد منهم البته ، فما وصلت اليه مائة دينار الا وأخذ أعوانه مائة دينار أخرى • ثم تتبع أرباب الأموال فصادرهم ، وأخذ لنفسه ولأعوانه مالا كثيرا • ثم طرح على جميع النواحى بعد ذلك الجواميس التى نهبها فقومت كل واحدة من الجواميس على الناس باثنى عشر ألف درهم ، وأكثر ما تبلغ الجيدة منهم الى الفى درهم فجبى من الوجه البحرى على اسم الجاموس مالا جما • ثم أنه الزم الصيارفة الا تأخذ الدرهم المؤيدى (٢٥٨) الا من حساب سبعة دراهم ونصف ، وهو محسوب

على الناس بثمانية دراهم ، وألزمهم أيضا ألا يأخذوا الفلوس الا من حساب خمسمائه وخمسين درهما القنطار ، وهو على الناس بستمائه درهم • فاذا أمر بصرف الفلوس على أحد حسب عليه بستمائة درهم القنطار • وربما كان هذا الذى حسبت عليه بستمائة قد أخذت منه أمس بخمسمائة وخمسين ، وألزمهم أيضا أن لا يقبضوا الذهب الافرنتى الا من حساب مائتين وثلاثين الدينار ، وهو معدود على الناس بمائتين وستين • واذا صرف لأحد ذهبا يحسبه عليه بمائتين وستين • فلا يورد أحد لديوان السلطان ألف درهم الا ويحتاج الى غرامة مثلها أو قريب منها • ثم أنه كل قليل يلزم صيارفته ومقدميه ، وشادى أعماله ، ومباشريها ، وولاتها ، بمال يقرره عليهم ، فى نظير ما يعلم أنهم أخذوه من الناس• ثم تقرر فى أعمالهم حتى يعلم أنهم قد جمعوا شيئا آخر ، أعاد عليهم المصادرة • فما من مرة الا وهم يبالغون فى الترف، ويتلفون المال الكثير فى أنواع السرف فى المحرمات • ثم أنه لما عاد من الوجه البحرى وسار الى بلاد الصعيد أوقع بلهانة (٢٥٩) على الأشمونين ، وكسرهم وساق من الأغنام والخيل والأبقار والجمال شيئا كثيرا ، وفرقه على أهل الوجه البحرى بأغلى الأثمان، وهو الآن يفرض على بلاد جميع الصعيد الذهب كما فرضه على نواحى الوجه البحرى • ومع ذلك فقد شمل باعة مصر والقاهرة رماية البضائع عليهم ، من السكر والعسل والصابون والقمح وغير ذلك فانه اشترى من الأسكندرية وغيرها بضائع كثيرة ، ثم طرحها على الباعة بأغلى الأثمان ، فلا يصير اليه درهم حتى يغرم لأعوانه نظيره • وله نوع آخر من الظلم وهو أنه أخذ دار بهادر الأعسر بخط بين السورين — فيما بين باب الخوخة وباب سعادة — وشرع فى عمارتها ، وعمارة ما حولها وما تجاهها من بر الخليج الغربى • فأخـذ من الناس آلات العمارة بغير ثمن ، وبأقل شىء وتفنن أعوانه فى ظلم من يستدعيه بهم الى هذه العمارة حمل صنف من الأصناف ، أو عمل شىء من أنواع العمارة حتى يغـرموه لأنفسهم مالا آخر • هذا وجميع ما يتحصل من وجوه الأموال التى تقدم ذكرها فانه يحمل الى السلطان وأعوانه ، وينفق فى سـبيل الشهوات المحرمة (٢٦٠) » •

وعن تقدمة المماليك ، التى كانت تأتى فى المرتبة الخامسة عشرة بين الوظائف العسكرية (٢٦١) ، أمدتنا المصادر التاريخية بحالة بذل واحدة تتعلق بمرجان العادلى ، الذى يقول عنه السخاوى أن السلطان جقمق تقفز به وعمله نائب المقـدم بعد توقفه ، ثم رقاه للتقدمة ، فعظم أمره ونالته

السعادة حتى عزله ، الأشرف اينال ، الا أنه استطاع العودة ثانية اليها ببذل المال · كما قال عنه أنه كان سيئة من سيئات الدهر وغلطاته ، لاشتماله على قبائح ينزه القلم عن ذكرها (٢٦٢) ·

كذلك اتسمت المصادرة المملوكية بقلة معلوماتها بصدد البذل على زمامية الدور ، التى كانت تعتبر الوظيفة السادسة عشرة فى سلك الوظائف العسكرية (٢٦٣) اذ لم نعثر فى بطونها الا على حالتين فقط ، الأولى منهما تختص بهلال الرومى ، الذى شغل وظيفة شاد الحوش السلطانى مدة طويلة ، حتى بذل المال ، فولى الزمامية خلفا لجوهر القنقبای ، حيث باشرها بقلة حرمة ، فلم ينتج أمره فيها ، فعزله السلطان جمقمق فى سنة ١٤٤٢/٨٤٦ (٢٦٤) · والثانية تتعلق بالأمير جوهر اليشبكى الذى نقل أيضا من شداية الحوش السلطانى الى الزمامية والخزاندارية بالبذل ، عوضا عن لؤلؤ الأشرفى حيث دام بها حتى وفاته فى مستهل جمادى الاولى سنة ١٤٦٨/٨٧٣ (٢٦٥) ·

أما عن نقابة الجيوش التى تأتى فى المرتبة السابعة عشرة بين الوظائف العسكرية (٢٦٦) ، فلم نعثر على حالة واحدة تفيد أنها كانت تقلد ببذل الاموال ، ودلك على الرغم مما ذكره المقريزى من أنها صارت فى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى مصدر ظلم عظيم بعد أن صار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى ، وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر ، عند طلب أحد الى باب الحاجب ، وكانوا يستولون على أموال الناس بحجة حق الطريق ، مما كان أحد أسباب خراب الاقليم (٢٦٧) ·

وعلى النقيض من زمامية الدور نجد بالمصادر المملوكية معلومات وفيرة عن الولاية ، التى تأتى فى آخر الوظائف العسكرية (٢٦٨) وعن توليها بالرشوة والبرطلة · ففى رجب سنة ١٣٧٨/٧٨٠ استقر الأمير كرجى فى ولاية الشرقية (٢٦٩) ، عوضا عن على القرمى بمال التزم به (٢٧٠) وفى السنة التالية خلع على كل من محمد بن طاجار بولاية الغربية (٢٧١) ، عوضا عن ايدمر السيفى ، وعلى على خان بولاية قوص وعلى محمد بن الجبلى بولاية منفلوط عوضا عن بيرم ، الذى أعيد الى ولاية الغربية فى شهر ذى الحجة من السنة نفسها عوضا عن محمد بن طاجار · كما استقر فى نفس الشهر الأمير قادوس فى ولاية الأشمونين ، عوضا عن محمد بن العادلى ، الذى عوض عنها بولاية منوف · كل ذلك بمال يقومون به ، اذا صاروا

الى اعمالهم . وفي هذا يقول المقريزى معلقا « وكان هؤلاء يجبون ذلك من أهالى النواحى ، ويسمون ذلك القدوم ، فيفرض الوالى على كل بلد قدرا من المال ، ثم اذا جبى ذلك ، اخذ فى تحصيل المال من المظالم ، وبينما هو فى ذلك اذا استقر غيره فى عمله بمال التزم به فيقبض عليه ، ويحاط بما له من خيل وخام وثياب وآلات وغير ذلك مما قد استدانه بأضعاف ثمنه ، ويعاقب على بقية ما تأخر عليه ، فعندما يجد وهو فى العقوبة سبيلا الى عودة الى عمله ، او عمل آخر وعد بمال واستمر فيه ، وتسلط على الناس بسفك دمائهم ، وبضرب أبشارهم (٢٧٢) ، ويأخذ مالهم . فأخذ اقليم مصر فى الاختلال بهذا السبب (٢٧٣) » .

وفى سنة ١٣٨٠/٧٨٢ روى المقريزى أيضا بأنه خلع على الركن متولى الفيوم في الثانى من المحرم واستقر فى نيابة الوجه القبلى ، عوضا محمد بن اياز الدواداری بمال كبير التزم به (٢٧٤) .

وترتب على تولى هذه الوظيفة بالبذل منذ أيام الظاهر برقوق أن استقر فيها أوباش الناس وأراذلهم ، ويكفى أن نشير هنا الى ما حدث لوالى دمياط فى سنة ١٤١٨/٨٢٠ ، لنتبين مدى التدهور الذى آلت اليه الولاية . فقد روى أحد المعاصرين بأن رجلا من أتباع المماليك يدعى ناصر الدين محمد السلاخورى سولت له نفسه ولاية دمياط بمال التزم به ، فوليها فى شهر ذى الحجة حيث سار على سياسة ظلم الناس وأخذ أموالهم ونسائهم ، مما دفع ببعض أهلها ممن أنفوا قبائح أعماله الى الايقاع بنائبه وضربه واهانته ، بل وأمسكوا بناصر الدين نفسه وأوقفوه على رجليه مكشوف الرأس ، عارى البدن ، وضربوه حتى هلك ، فسحبوه وأحرقوا جثته بالنار ، ونهبوا داره ، وسلبوا حريمه وأولاده ما عليهم ، وقتلوا ابنا له فى المهد ، وأسروا ابنا . فكانت فتنة لم يدرك مثلها فى معناها (٢٧٥) .

كذلك لم تضن علينا المصادر المعاصرة بمعلوماتها بصدد ولاية القاهرة ومصر ، فقد جاء أن الأمير ناصر الدين المعروف ببكلمش استقر فى شعبان سنة ١٤٢٠/٨٢٣ واليا للقاهرة عوضا عن ابن أمير آخور ، على مال كبير التزم بحمله مما يجبيه من مظالم العباد ، وأنه بعد مباشرته لها ركبته الديون ، وهان أمرها لعدم هيبته وحرمته ، ولتماديه فى السكر والفجور ، ولكونه « بزى النساء أشبه منه بالرجال » (٢٧٦) .

ونعلم أيضا أنه فى جمادى الأولى سنة ١٤٣٥/٨٣٨ شغرت ولاية القاهرة لاستقرار دولات خجا فى ولاية منفلوط ، فخلع السلطان على علاء الدين الطبلاوى فى السابع عشر من هذا الشهر وأعاده الى ولاية القاهرة بعد ان وعد بحمل ألف ومائتى دينار (٢٧٧) ، ومع هذا فلم يعمر فيهـا سوى بضعة أشهر حيث عزل فى الخامس عشر من شوال بالتاج الشويبكى فصدق عليه قول الشاعر :

ركب الأهوال فى زورته ثم ما سلم حتى ودعا (٢٧٨)

ويبدو أن هذا الأخير كان أكثر سوءا من سابقه لأن المقريزى يقول فيه « أنه سار فيها سيرة ما عف فيها عن حرام ، ولا كف عن اثم » . وأنه « أحدث من أخذ الأموال ما لم يعهد قبله » ، بل رماه بأنه كان « عارا على جميع بنى آدم ، لما اشتمل عليه من المخازى التى جمعت سائر القبائح ، وأرست بشاعتها على حميع الفضائل (٢٧٩) » .

ونسمع كذلك عن خير بك القصروى الذى أصبح واليا للقاهرة زمن السلطان الأشرفى اينال ، فبلص وظلم وقتل وسفك الدماء حتى عزل بالعلاء ابن الغيسى ، بيد انه استطاع العودة اليها ثانية ببذل المال بعد أن أقام مدة بطالا (٢٨٠) .

ويذكر المؤرخ ابن اياس ان الامير ألماس المعروف بدوادار سكين استقر فى ولاية القاهرة فى ربيع الأول سنة ١٥١٦/٦٢٢ ببذل قدره واحـد وأربعون ألف دينار ، منها عشرون ألف دينار معجلا ، والعشرون الأخرى يردها على نقدات متفرقة (٢٨١) .

والحق ان هذه الوظيفة صارت مصدر ظلم للناس ، بعد أن كانت مصـدر أمن لهم ، بدليل تلك الصـورة التى رسمها المقريزى عن الولاية فى أوائل القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى التى ذكر فيها ما نصه « وأما والى القاهرة ، ووالى مصر ، وغيرهما من سائر ولاة النواحى ، فان جميع ما يسرق من الناس يأخذونه من السراق ، اذا ظفروا به ، فلا يأتون بسارق معه سرقة الا أخذوها منه ، فان لم تكن السرقة معه ألزموه مالا ، ويتركوه لسبيله . وقد تيقن انه متى عثر عليه صـانع عن نفسـه وتخلص . وصار كل من يقطع من السراق يده ، انما يقطع لأحد أمرين اما لقوة جاه المسروق منه ، أو عجز السـارق عن القيـام للولاة بالمال . ويزيد ولاة البر على والى مصر والقاهرة بأخذ من وجدوا معه غنما أو ابلا أو رقيقا من الفلاحين أو العربان وغيرهم . فاذا صار أحد ممن ذكرنا فى

أيديهم ، قتلوه واستهلكوا ماله · ومع هذا فلأعوان الولاة فى أخذ الأموال من الناس أخبار لم يسمع قط بمثل قبحها وشناعتها ، حتى أنه اذا أخذ شارب خمر غرم المال الكثير · وكذلك من ساقه سوء القضــاء اليهم من المتخاصمين ، فيغرم الشاكي والمشكو المال الكثير ، بقدر جرمه بحيث تبلغ الغرامة آلافا كثيرة · وجميع ما تجمعه الولاة كلهم من هذه الوجوه لا يصرف الا فى أحد وجهين ، اما للسلطنة مصانعة عن اقامتهم فى ولايتهم، أو فيما تهواه أنفسهم من الكبائر الموبقات ، وينعم أعوانهم بما يجمعونه من ذلك ، ويتلفونه اسرافا وبدارا فى سبيل الفساد · ويتعرض الولاة لمقدميهم ويأخذون منهم المال حينا بعد حين (٢٨٢) » ·

والدارس للمصادر المملوكية يلاحظ أن امرة العربان لم تقف أيضا بمعزل عن الرشوة ، خاصة وقد جرت العادة بأن يعين سلاطين المماليك لكل قبيلة من قبائل العربان أميرا منها ، ويكتبون له تقليدا سلطانيا بذلك ، وكان الأمير المعين يلبس تشريفا أطلس أســـوة باقرانه فى الترتيب الاقطاعى (٢٨٣) · وعلى هذا فقد أقبل هؤلاء الأمراء على البذل لسلاطين هذه الدولة بهدف قضاء مصالحهم الشخصية ، ومن ذلك ما رواه المقريزى فى حوادث سنة ١٤٤٠/٨٤٤ من أن السلطان جقمق خلع فى شهر صفر على الأمير عيسى بن يوسف الهوارى أمير هواره بالصعيد ورسم باحضار أخيه من سجنه بمدينة الكرك ، ليستقر على عادته فى امرة هوارة ، على أن يحمل سبعين ألف دينار ، ويعجل منها أربعين ألف دينار (٢٨٤) ، وما ذكره ابن اياس من أن الســلطان قانصوه الغورى أخلع فى رمضــان سنة ١٥١٢/٩١٨ على خليل بن اسماعيل بن شبانة ، شيخ عربان جبل نابلس ، وقرره على عادته فى امرة جبل نابلس بمال له صورة (٢٨٥) ·

بقى أن نشير ونحن بصدد الحديث عن الرشوة والوظائف العسكرية الى أن البرطلة لعبت دورا كبيرا فى علاقة الدولة المملوكية ببلاد الحجاز بصفة عامة وبامرة مكة بصفة خاصة (٢٨٦) ، فبها حصل شاهين الجمال على شــادية بنــدر جدة سنة ١٤٧٢/٨٧٦ ، بعــد ان بذل عشرين ألف دينار (٢٨٧) ، وعن طريقها حصل الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر الحســينى على امارة المدينة · بعد أن التزم بحمل خمســة آلاف دينــار للسلطنة ، الا انه لم يستطع الوفاء ، فأمر السلطان الأشرف برسباى بالقبض عليه ، وأقام بدلا منه مانع بن على (٢٨٨) ·

اما امارة مكة فقد صارت الرشوة عاملا هاما من عوامل العــزل

والتولية ، بعد أن كان قبول الهدية من أميرمكة يعتبر تفضلا من السلطان المملوكي وتنازلا . فصارت الأموال في أيام المماليك الشراكسة شرطا هاما من شروط التولية ، وسببا هاما من أسباب العزل (٢٨٩) . وقد ترتب على ذلك أن تولى الامارة أثرياء الأشراف (٢٩٠) ، الذين عملوا على ارضاء السلاطين ببذل المال لوفير وتقديم الهدايا ، دون أن يعلم السلاطين من أى طريق جاءت هذه الاموال وتلك الهدايا (٢٩١) . كذلك سرت الرشوة فى داخل الامارة نفسها ، عندما عمد بعض الأشراف الأثرياء الى بذل المال فى مقابل التنازل عن الامارة أو المطالبة بها (٢٩٢) .

ففى سنة ١٤٠٨/٨١١ استطاع حسن بن عجلان عن طريق البذل أن يحصل على مرسوم سلطانى بمشاركة ابنه أحمد لأخيه بركات فى الحكم وأن يلقب بنائب السلطنة بالأقطار الحجازية ، وهذا لم يحدث لأى من امراء مكة قبله (٢٩٣) .

غير أن محاولة حسن بن عجلان غزو اليمن فى السنة التالية ١٤٠٩/٨١٢ ، وما تبع هذا من اضطراب الأمن والتجارة أدت الى غضب السلطان الناصر فرج ، وأمر بالقبض على حسن وولديه ، الا أنه لم يستطع أن ينفذ قراره هذا بسبب رشوة حسن لأمراء مصر وارساله هدية للسلطان بيعت بخمسين ألف مثقال (٢٩٤) . وتشير المصادر المملوكية الى حدوث أزمة أخرى بين الشريف حسن والسلطان المؤيد شيخ بسبب بعض المسائل المالية ، أراد السلطان من حسن أن يحققها ، فلما لم يفعل لم يجد أمامه من بد سوى عزله ، وعزل ابنيه فى سنة ١٤١٦/٨١٩ حيث استقر مكانه رميثة بن محمد بن عجلان حتى هدأ الحال فعاد حسن وابناه الى الامارة من جديد مقابل مال تعهد بدفعه (٢٩٥) . ثم كانت أزمة ثالثة فى سنة ١٤٢٤/٨٢٧ زمن السلطان برسباى ، أخرج على أثرها حسن بن عجلان من مكة ، عاد بعدها فى العام التالى ، حيث قدم الى القاهرة فى سنة ١٤٢٦/٨٢٩ ، والتزم للسلطان بحمل مبلغ ضخم مقداره ثلاثون ألف دينار فى مقابل أن يخلع عليه بخلعة الاستمرار فى امارة مكة ، فاستقر بها على عادته فى السابع والعشرين من المحرم ، غير أن السلطان أبقاه بالقاهرة رهينة حتى سدد مبلغ خمسة آلاف دينار مما التزم به . وتذكر المصادر المعاصرة أنه اقترضها من التجار بالربا ، كما تشير الى وفاته فى نفس العام قبل سداد باقى المبلغ ، فبعث السلطان برسباى فى استدعاء ابنه الشريف بركات ، وخلع عليه بأمر مكة ، مكان أبيه فى الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة بعد أن تعهد له بأن يقوم بما تأخر على

أبيه ، كما التزم بحمل عشرة آلاف دينار فى كل سنة ، وأيضا بألا يعترض لما يؤخذ بجدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيرها. وبالفعل نراه يرسل فى صفر من السنة التالية ، ثلاثة عشر ألف دينار بصحبة الطواشى افتخار الدين ياقوت (٢٩٦) .

ويفهم أيضا من كتابات المعاصرين أنه بعد وفاة الشريف بركات هذا أقر السلطان الاشرف اينال محمد فى امارة مكة فى سنة ١٤٥٥/٨٥٩ ببذل قدره خمسون ألف دينار ، عجل منها بعشرين ألف دينار ، وتعهد بدفع الباقى على نقدات متفرقة ، عدا ما غرمه لأرباب الدولة المصرية ، ولولد السلطان ، وزوجته ، اللذين صارا على حد تعبير المؤرخ المملوكى ابن تغرى بردى « لهما نصيب وافر مع السلطان فى كل هدية ورشوة (٢٩٧) » .

والواقع ان مدى السوء الذى آلت اليه الوظائف العسكرية زمن المماليك الشراكسة ، نتيجة للبذل والرشوة وما ترتب عليهما من فساد وفوضى بالجهاز الحكومى ، لا يمكننا أن نبرزه الا بالقصة الطريفة التى ترويها المصادر المعاصرة فى أحداث سنة ١٤٢٧/٨٣٠ ، ففى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر رجب وقع حادث فظيع ، وهو أن بعض المماليك السلطانية الجراكسة انكشف رأسه بين يدى السلطان ، فاذا هو أقرع ، فسخر منه من هناك من الجراكسة ، على حين اغتنم هو الفرصة وسأل السلطان أن يجعله كبير القرعان ، ويوليه عليهم ، فأجابه الى ذلك ورسم أن يكتب له به مرسوم سلطانى ، وخلع عليه ، فنزل وشق القاهرة بالخلعة، بعد أن عقد النية على القيام باستغلال وظيفته هذه فى تنمية دخله الشخصى ، فصار يأمر كل واحد بكشف رأسه حتى ينظر ان كان أقرع الرأس أولا ، وجعل على ذلك فرائض من المال ، فعلى اليهودى مبلغ عينه ، وعلى النصرانى مبلغ ، وعلى المسلم مبلغ ، بحسب حاله ورتبته . ولم يتحاش من فعل ذلك مع أحد ، حتى وصل به الحال أن فرض على الأمير الأقرع عشرة دنانير وتجاوز حتى جعل الأصلع والأجلح (٢٩٨) فى حكم الأقرع ليجبيه مالا . فكان هذا على حد تعبير أحد المعاصرين « من شنائع القبائح ، وقبائح الشنائع » ، ولما طال أمره وفحش ، أحس السلطان بمدى فداحة الخطأ الذى وقع فيه ، فأمر بالكف عن هذه المهزلة ، ونودى بالقاهرة « معاشر القرعان لكم الامان (٢٢٩) » .

الفصل الرابع

البذل والبرطلة والوظائف الديوانية

تعرضت الوظائف الديوانية لموجة البذل والبرطلة التى سادت عصر سلاطين المماليك ، والتى شاهدنا بعض صـــــورها فى مجال الوظائف العسكرية ، فكيف حدث هذا ؟

للاجابة على هذا السؤال ينبغى علينا أن نتعرف أولا على الوظائف التى مستها الرشوة ، حيث يأتى على رأسها جميعا منصب الوزراء أو الوزارة • والمتأمل لهذه الوظيفة سوف يلاحظ مسبقا مدى التدهور الذى آلت اليه زمن سلاطين المماليك • فبعد أن كانت فى العصور الأولى من أجل الوظائف وأرفعها رتبة (٣٠٠) ، ضعفت وكاد أن يتلاشى أمرها لعدة أسباب منها استحداث نيابة السلطنة ، التى قللت من قيمتها ، وأضعفت من شانها ، « فصار المتحدث فيها لا يتسع له فى التصرف مجال ، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل » • لطبيعة سلاطين المماليك الاستبدادية ، ولتطلعهم دائما الى تركيز السلطة فى أيديهم ، مما أدى الى عدم استقرار الوزارة ، فكان الوزراء يغيرون بسرعة مذهلة ، لا سيما فى زمن الجراكسة • لدرجة أن ذاكرة المؤرخين أصبحت لا تعى اسماءهم وأوقات حكمهم (٣٠١) • وقد ترتب على هذا أن أصبحت هذه الوظيفة مهنة يعود اليها من صرف عنها ، ليتولاها عدة مرات (٣٠٢) • كذلك أصبح أغلب الوزراء مطعونا فى كفاءتهم ، ولا تحمد طريقتهم ، خاصـــة بعد أن سيطر عليها الأقباط الذين اتخذوا من الاسلام وسيلة للوصول اليها ، وفى هذا يقول أحـــد المعاصرين « وكان هذا أول شـــؤم الأتراك فى مملكتهم ، أن عدلوا عن وزارة العلماء الى الأقباط والمسالمة (٣٠٣) » •

ووصل الأمر ببعض السلاطين في العصر المملوكي الأول الى ابطالها وتعطيلها ، كما حدث في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وفي أيام ابنه السلطان حسن ، وفي أيام الأشرف شعبان (٣٠٤) . بل وتوزيع اختصاصات الوزير على كل من ناظر المال ، الذى اختص بتحصيل المال وصرف النفقات ، وناظر الخاص ، الذى عهد اليه بتدبير الأمور العامة ، وتعيين المباشرين ، وكاتب السر ، الذى اختص بالتوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورة واستقلالا (٣٠٥) .

كذلك عمل السلطان الظاهر برقوق على زيادة ضعفها بانشائه لديوان المفرد ، الذى جعل فيه ناظرا وشادين وكتابا ، وعهد به الى الاستادار وقرر أن يصرف ما يتحصل منه في جوامك مماليكه المشتروات، ثم أضاف الى هذا الديوان كثيرا من أعمال مصر ، وبذلك قوى جانب الأستادار على حساب الوزير (٣٠٦) ، الذى اقتصرت اختصاصاته على التحدث في أمر المكوس ، فيحصلها من جهاتها ويصرفها في شراء اللحم وحاجات المطبخ وغير ذلك من حاجات انفاق القصر السلطاني . وبلغ من ضعف شأن الوزارة آنئذ أن وصفها سعد الدين نصر الله بن البقرى الذى تولاها في سنة ٧٩٢/١٣٩٠ ، بقوله « الوزارة اليوم عبارة عن حوايج كاش عفش ، يشترى الوزير اللحم والحطب وحوايج الطعام ، وناظر الخاص غلام صلف يشتري الحرير والصوف والنصافي والسنجاب ، وأما ما كان للوزراء ونظار الخاص في القديم فقد بطل (٣٠٧) » .

وجاءت الرشوة لتزيد الطين بلة ، فعمد أوباش الناس الى البذل على الوزارة ، فتولوها ثم سعوا الى تحصيل ما سبق لهم أن بذلوه ، فأخذوه أضعافا مضاعفة من أموال الناس بالظلم والمصادرة وحسبنا أن نشير هنا إلى ما ذكره أحد المعاصرين بصدد هبة الله بن صاعد وزير عز الدين أيبك ، اذ يقول : « وكان نصرانيا فأسلم ، وأحدث مكوسا ومظالم كثيرة على نحو ما كانت في أيام العبيديين ووزرائهم النصارى والرافضة حتى قيل فيه :

لعن الله صـــــاعدا وأباه فصـــــاعدا
وبنيــــه فنـــــازلا واحدا ثم واحدا (٣٠٨) »

كما اتهمت المصـــادر بدر الدين السنجارى الذى وزر لسيف الدين قطز ، رابع سلاطين المماليك ، بالظلم وتناول الرشوة (٣٠٩) .

ونعرف أيضا أن ناصر الدين والى القاهرة تولى الوزارة بالسعى فى شوال سنة ١٣٠٤/٧٠٣ ، زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، وأن مهادته لهذا السلطان بألفى دينار ، كانت سببا فى القبض عليه والقائه بالسجن حتى وفاته فى ذى القعدة سنة ١٣٠٥/٧٠٤ (٣١٠) .

ويحدثنا المؤرخ ابن حجر عن مغلطاى الجمالى ، الذى ولى الوزارة مضافة الى الأستادارية فى رمضان سنة ١٣٢٤/٧٢٤ ، فيصفه بالجود والصبر ، فى نفس الوقت الذى يرميه بأخذ البراطيل على الولاية والعزل (٣١١) شأنه شأن الوزير منجك اليوسفى ، الذى تقلد الوزارة مرتين زمن السلطان الناصر حسن (٣١٢) ، ففتح باب الأخذ على الولايات ، والنزول على الاقطاعات ، وقدم عليه كثير من أهل دمشق للسعى من بابه فى المباشرات ، مما اضطر السلطان الى المناداة فى ذى الحجة سنة ١٣٤٨/٧٤٨ بأن « من طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام أرغون شاه ، شنق وأخذ ماله (٣١٣) » ، ومع ذلك فقد استمر سعى أطراف الناس بالأموال على الوظائف ، حيث تؤكد المصادر أنه لم يرد أحد ، رغم كثرة طعن الامراء فيه لوصول الكثير من الأوباش الى المراتب ، واستقرار آحاد الباعة فى الجندية (٣١٤) .

والواقع أن مدى السوء الذى بلغته الوزارة زمن سلاطين المماليك يمكن أن يلاحظ أيضا من خلال ما كان يتعرض له بعض وزراء هذا العصر من السجن والمصادرة ، وأيضا من خلال الأموال الضخمة التى كانت تقرر عليهم فى مقابل اطلاق سراحهم ، حتى وصل الأمر ببعضهم الى بيع أثاثه وخيله ، والاستدانة أحيانا من أجل شراء حريته ، على حين كان البعض الآخر يضطر الى الاختفاء لعدم مقدرته على السداد ، ومن ذلك ما يرويه المقريزى بصدد الوزير كريم الدين بن الغنام الذى ولى الوزارة فى الخامس والعشرين من رجب سنة ١٣٧٤/٧٧٦ ، ولكنه لم يعمر فيها سوى بضعة أشهر ، حيث قبض عليه فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة ، وأبطلت الوزارة (٣١٥) ، وأمر السلطان شعبان باغلاق شباكها بقاعة الصاحب من قلعه الجبل . ومع هذا فقد استطاع ابن الغنام أن يقنع السلطان باطلاق سراحه بعد ثلاثة أيام ، على مال التزم به ، ونزل على حمار وأخذ فى بيع اثاثه وخيوله (٣١٦) . ولكن هل استطاع الوفاء بما التزم به ؟

من الصعب الإجابة على هذا السؤال ، خاصة وقد أشار المقريزى الى إعادة القبض عليه من جديد فى منتصف شهر جمادى الآخرة من العام التالى ، والى الافراج عنه بعد مضى بضعة أيام ، على مال يحمله للسلطان ، لاننا نجهل فى الواقع ما اذا كان المقصود به المبلغ امقديم ، أم هو مبلغ جديد تعهد بدفعه للسلطان الأشرف ! على أية حال فمن المعروف أنه لم يستطع الوفاء بما تعهد به ، واضطر الى الاختفاء ، عندئذ أمر التاج الملكى ، الذى ولى الوزارة فى ربيع الأول سنة ١٣٧٥/٧٧٧ (٣١٧) بايقاع الحوطة على داره ، والقبض على أتباعه ومعارفه ومصادرتهم ، بل والمناداة عليه بالقاهرة ومصر ، وتهديد من أخفاه ، ووصل الأمر الى التفكير فى هدم داره لولا العثور بها على محراب ، فحولت الى مدرسة (٣١٨) • ورغم هذا فقد سجلت لنا المصادر المعاصرة عودته ثانية الى الوزارة فى العام التالى ، حيث صرف فى السنة نفسها بتاج الدين عبد الوهاب المعروف بالنشو (٣١٩) •

ويتحدث المقريزى أيضا عن حالة كريم الدين بن الرويهب الذى ولى الوزارة فى سنة ١٣٧٦/٧٧٨ ، وعن التزامه بحمل مائة ألف درهم ، بعد صرفه فى شوال من السنة التالية بالأمير صلاح الدين خليل بن عرام(٣٢٠) وان كان قد أغفل الحديث عن مدى وفائه بالسداد • كما أشار كذلك الى ما تعرض له كل من الصاحب أبى الفرج ، والصاحب سن ابرة ، والصاحب سعد الدين بن البقرى فى أوائل سنة ١٣٩٠/٧٩٣ من القبض عليهم والزامهم بحمل مائة وخمسين ألف درهم (٣٢١) •

ويبدو أن نهم السلاطين المستمر فى المال ، جعل الطامعون فى الوزارة يتسابقون فى بذل المال عليها ، بدليل اقدام كمال الدين سبط صلاح الدين الخروبى على السعى فيها سنة ١٣٧٩/٧٨١ رغم ما عرف به من قلة العقل والمال (٣٢٢) ، وبدليل عودة فخر الدين بن غراب اليها فى شهر ذى القعدة سنة ١٤٠٥/٨٠٨ ، مضافا الى ما بيده من الوظائف ، بعد أن قام للسلطان بعشرين ألف دينار (٣٢٣) ، غير أنه لم يعمر فيها طويلا ، حيث عزل فى شعبان من السنة التالية بجمال الدين البيرى الأستادار بسبب قطعة للحم المرتب على الدولة للمماليك السلطانية والأمراء وأهل الدولة ، وصرفه عن كل رطل لحم درهما ، فى الوقت الذى كان سعره يصل الى ثمانية دراهم ، وذلك تخفيفا على الوزراء ، وراحة لهم ، بعد ما كان سعر اللحم يصل يوميا الى أكثر من خمسين ألف درهم ، كان الوزير يتعرض بسببها لكثير من المفاوضات والاهانات من القباض ، مما يضطره

الى مصادرة الناس وأخد أموالهم بالباطل وأنواع الظلم . وتطلق المصادر على ثمن اللحم هذا اسم النقدة وعلى الذين يتولون قبضه اسم المعاملون وكان الوزير اذا أحالهم على أحد استخلصوه منه بأيديهم ، أو عن طريق نهب داره وحانوته . واذا فرض أن الوزير عجز عن سداد النقدة ، وعن ايجاد من يحيلهم عليه ، كان المعاملون يسمعونه ما يكره ويمدون أيديهم الى ما يجدونه تحته من فراش أو أى شيء ذي قيمة ، ولذا كان بعض الوزراء يضطر الى الاختفاء ، على حين كان البعض الآخر يضطر الى الاستعفاء من منصب الوزارة بسبب حاجتهم الى النقدة فى كل ليله ، ولعدم مقدرتهم على النوم قبل دفعها الى المعاملين او احالتهم على من يدفعها عنهم ، ويكون بذلك قد زال عن الناس بلاء عظيم ، خاصة وقد أصبح الوزير لا يصرف ثمن اللحم لأربابه الا من الشهر الى الشهر ، فضلا عن أنه كان يعطى فى الدرهم سدسه أو سبعه فقط (٣٢٤) .

وتروى المصادر المملوكية أيضا بأن السلطان المؤيد شـــيخ خلع فى جمادى الاولى سنة ١٤١٩/٨٢٢ على كل من بدر الدين حسن بن نصر الله بالوزارة وسيدى أبو بكر ، صـــــهر الأمير فخر الدين بن أبى الفرج بالأستادارية بعدما التزما أن يحملا مائة ألف دينار والحق أن هذا المبلغ الضخم يجعلنا نتساءل من أين استطاعا الحصول عليه ، بيد أن أحد المعاصرين يعفينا من مشقة الاجابة اذ يقول : « فلما نزلا ، وزعا ذلك على من تحت أيديهما فعمت هذه البلية جماعة كثيرة بالقاهرة والأرياف (٣٢٥) .

ويذكر الصيرفى أن تقدمة تاج الدين عبد الرزاق الشهير بابن كاتب المناخات على الوزارة فى المحرم سنه ١٤٢١/٨٢٤ ، بلغت نحو من ستين ألف دينار (٣٢٦) ، ومع ذلك فلم يمكث فيها أكثر من عام ، اذ صرف عنها فى ذى الحجة من السنة التالية (٣٢٧) . كما حدثنا المؤرخ ابن تغرى بردى الذى أعطى عنايه خاصة للعصر الشركسى ، أنه عندما دخل عليه ابنه كريم الدين بخلعة الوزارة فى شوال سنة ١٤٢٣/٨٢٦ ، أصابته الدهشة وسأله متعجبا « أنا وليت هذه الوظيفة ومعى خمسون ألف دينار ذهبت فيها ولم أسد ، أتسد أنت من أين ؟ فقال له من أضلاع المسلمين (٣٢٨) » . وأجابه كريم الدين هذه تعكس لنا مدى ما أصاب الناس من الظلم نتيجة البذل على الوظائف زمن سلاطين المماليك حيث كان الراشون يعمدون الى استجلاصها منهم أضعافا مضاعفة .

ولا يسعنا ونحن بصدد انهاء دراستنا للوزارة والبذل عليها زمن سلاطين المماليك سوى الاشارة الى ما فعله الدوادار الكبير المقر الزيني ابن مزهر من وزن عشرين ألف دينار فى مقابل عودة قاسم الفرافى الى منصب الوزارة نكاية فى خصمه ابن غريب ، فكان له ما أراد وخلع على قاسم بالوزارة فى جمادى الأولى سنه ١٤٧٠/٨٧٥ ، على أن يقوم فى مدة مباشرته للخزائن الشريفة بأربعة آلاف دينار (٣٢٩) لتكتمل الصورة عن مدى الشره فى الاموال الذى أصاب سلاطين هذه الفترة .

ومن الوزارة ننتقل الى كتابة السر ، الوظيفة الثانية فى سلك الرتب الديوانيه (٣٣٠) ، التى احتلت مكانا مرموقا بينها ، بعد أن شارك كاتب السر كلا من الأستادار وناظر الخاص بعض اختصاصات الوزير ، ومنهـا التوقيع على التصص بالولايات والعزل ونحو ذلك فى دار العدل وفى داره كما سبق أن نوهنا من قبل .

والدارس لهذه الوظيفة سيلاحظ كثرة كتاب السر زمن سـلاطين الجراكسة ، فقد أمكن للمستشرق فيت أن يحصى فى الفترة الواقعة بين سنتى ٧٨٤ – ١٣٨٢/٩٢٢ – ١٥١٧ ، سبعة وثلاثين كاتبا من بينهم سبعة عشرة لم يمكثوا فى هذه الوظيفة سوى بضعة أشهر (٣٣١) ، ولا نجد تفسيرا لهذا سوى شره سلاطين المماليك فى المال ، بعد أن أصبحت هذه الوظيفة لا تمنح الا بالبذل والبرطلة .

ويسجل المؤرخ ابن حجر أول اشارة بذل على هذه الوظيفة فى احداث سنة ١٣٨٢/٧٨٣ عند حديثه عن هروب ابن نبهان من كتابة السر فى شهر ربيع الآخر بسبب عدم مقدرته على الوفاء بما التزم به من مال ، ويشير الى استقرار ابن مزهر بدلا منه (٣٣٢) .

وفى شعبان سنة ١٣٩٤/٧٩٦ ، خلع السلطان الظاهر برقوق بهذه الوظيفة على بدر الدين محمود الكلستانى ، وكان قد سبق له أن اكتشف كفاءته وجدارته بعد أن ترجم له رسالة من تيمورلنك باللغة الفارسية ، عجز عنها بدر الدين محمد بن فضل الله . ورغم اصرار المؤرخ ابن تغرى بردى على أن ولاية الكلستانى كانت بغير بذل لكونه « فقيرا مملقا » ، ولرغبة السلطان فى أن يكون متوليها صاحب لسـان وقلم (٣٣٣) ، فان جميع المصادر قد أجمعت على توليته بعد أن قام أحد المحسنين بدفع المطلوب عنه ، على أن يبقى دين عليه الى حين ميسرة (٣٣٤) . ويبدو انه لم يدخر

وسعا فى سبيل الثراء السريع وبشتى الطرق غير المشروعة ، اذ يقول السخاوى فى ترجمته : « فما أمسى الا وعنده من الخيل والبغال والجمال والمماليك والملابس والآلات ما لا يوصف (٣٣٥) » .

يتضح مما سبق أن هذه الوظيفة باتت مربحة للغاية ، وهذا يفسر لنا تزايد الطلب عليها ، وبذل الأموال الطائلة فى سبيل الحصول عليها ومن ذلك ما قام به شرف الدين محمد الدمامينى (٣٣٦) من السعى عليها بعد موت الكلستانى بقنطار من الذهب قدره عشرة آلاف دينار فلم يتمكن (٣٣٧) ، وخلع السلطان بكتابه السر على فتح الله بن معتصم الداودى بعد دفع المعلوم ، الذى اغفلت المصادر الاشارة اليه (٣٣٨) ، وبقى فى وظيفته الى أوائل سنة ١٤٠٥/٨٠٨ حيث عزله السلطان فرج بن برقوق فى ربيع الأول بسعد الدين بن غراب ، الذى يعتبر أول من خلع عليه بطراز ذهب من بين كتاب سر عصر سلاطين المماليك (٣٣٩) . بيد أن بريق هذه الوظيفة . جعل فتح الله بن معتصم يواصل السعى عليها ، حتى نجح فى العودة اليها ثانية قبيل نهاية هذا العام فى شهر ذى القعدة ، وذلك بسفارة الأمير جمال الدين الأستادار (٣٤٠) . ويلاحظ هنا صمت المصادر المعاصرة بصدد المبالغ التى بذلت على هذه الوظيفة منذ ولاية فتح الله الثانية حيث دام هذا الصمت الى شوال سنة ١٤٢٠/٨٢٣ عندما استقر كمال الدين ابن البارزى فى كتابة السر خلفا لأبيه ناصر الدين على بذل قدره أربعون ألف دينار (٣٤١) ، حقيقة أن السخاوى قد رمى هذا الأخير بتناول الرشوة على الوظائف أثناء ولايته ، وبشدة العصبية لأصحابه الا أنه لم يذكر صراحة أنه ولى بالبذل (٣٤٢) .

ورغم ضخامة هذا المبلغ الذى بذله كمال الدين ، فانه لم يستمر فى وظيفته أكثر من شهرين عزل بعدهما بسبب تلك الحملة التى شنها ضده ، صهره علم الدين بن الكويز ، الذى لم يستول على ثروته فقط ، بل أيضا على وظيفته ، اذا استقر فى كتابه السر فى سلخ المحرم سنة ١٤٢١/٨٢٤ ، مع عدم أهليته لها ، بدليل قول المقريزى : « فتسلم القوس غير باريها ، ووسدت الأمور الى غير أهلها » ، وبدليل نقد ابن تغرى بردى له بأن متولى هذه الوظيفة كان يجب أن يتمتع « باليد الطولى فى الفقه

والنحو والنظم والنثر والترسل والمكاتبات ، والباع الواسع فى التاريخ وأيام الناس وأفعال السيف » • وهذا لا معرفة لابن الكويز به ، فقد صحف فى أحد المجالس اسم ابن جماز الى ابن الحمار ، مما أضحك الجميع (٣٤٣) •

وبعد موت ابن الكويز ، خلفه جمال الدين يوسف الكركى فى العاشر من شوال سنة ١٤٢٣/٨٢٦ ، على مال كثير وعد به ، فكانت ولايته من أقبح الحوادث ، لكون أبيه من نصارى الكرك ، الذين تظاهروا بالاسلام، مما يتنافي مع الشروط الواجب توافرها فيمن يلى هذه الوظيفة ؛ لذلك عاب كتاب هذا العصر على السلطان الأشرف برسباى ولايته لهذا الجاهل ، واتهموه بعدم التريث فى الاختيار مناقضا بذلك سنة السلاطين العظام ، بل ورموه بعدم الشهامة وعلو الهمة ، لاتباعه سياسة « سد بمن شئت ، وول من كان ــ بالبذل ــ ولو كان حارس مقات ، ولهذا المقتضى ذهبت الفنون ، واضمحلت الفضائل ، وسعى الناس فى جمع المال حيث علموا أن الرتب صارت معذوقة بالباذل لا الفاضل ، وصدق القائل حين قال :

المال يستر كل عيب فى الفتى
والمال يرفع كل وغد ساقط

فعليك بالاموال فاقصد جمعها
واضرب بكتب الفضل بطن الحائط (٣٤٤)

وبعد مرور سبعة أشهر على ولايته ، عزله السلطان الأشرف ، ليفسح الطريق أمام مرشح جديد هو شمس الدين محمد الهروى ، الذى كان قد سعى فيها سعيا شديدا ، ووعد ببذل مال كبير ، فاستقر بها فى ربيع الآخر سنة ١٤٢٤/٨٢٧ ، ولبس تشريفا كله حرير أبيض ، وطرحة حرير ، وركب حجرة بسرج ذهب وكنبوش مزركش ، وباشرها بتعاظم زائد ، مع طمع شديد ، وجهل بما وسد اليه • ونظرا لعدم اجادته قراءة القصص والكتب الواردة ، فقد عهد بذلك الى بدر الدين محمد بن مزهر نائب كاتب السر ، الذى صار يتولى القراءة على السلطان ، بينما يظل هو واقفا على قدميه (٣٤٥) • ولذلك فلم يعمر طويلا ، وصرف بعد شهرين من أجل عشرة آلاف دينار وعد ببذلها نجم الدين عمر بن حجى ، فاستقر كاتبا للسر فى جمادى الآخر من السنة المذكورة ، كما عهد اليه بما كان جاريا فى اقطاع ابن السلطان مقابل تعهده بألف وخمسمائة دينار سنويا • لكن

المسكين لم يستطع الوفاء الا بخمسة آلاف دينار دفعها فى العام التالى على دفعات متفرقة ، واضطر أمام عجزه هذا أن يسأل السلطان مشافهة أن يعفيه من الألف وخمسمائة دينار المقررة من الحسابات والمستأجرات لقلة متحصلها ، فلم يجبه الأشرف ، بل شدد عليه بضرورة سداد ما التزم به ، فلم يسعه حينئذ سوى أن يبعث اليه برسالة شارحا فيها أنه غرم منذ توليه لكتابة السر حتى تاريخه اثنى عشر ألف دينار منها خمسة آلاف للخزانة الشريفة ، وأربعة آلاف للامراء ، والفين لمن لا يسمى ، ورمز الى جانبك الدوادار ، وهو شاب حاد الخلق قوى النفس كثير الادلال على السلطان ، فحقد عليه ، والتمس من مخدومه أن يمكنه منه فأذن له ، فدبر عليه بالاتفاق مع عبد الباسط ناظر الجيش ، الذى كان قد دخل معه فى مشاحنات بسبب كتابته باستدعاء الامير سودون من عبد الرحمن نائب الشام الى القاهرة • دون علمه ، فقبض عليه فى جمادى الآخر سنة ١٤٢٥/٨٢٨ ، وعوق بالبرج بالقلعة ، ثم نفى الى الشام ، ووكل به شرطى معه سلسلة من حديد ، وأهين ، بل وألزم الموكل به ان ينادى عليه فى كل بلد يدخله « أن من كانت له ظلامة فليطلبه » ، وأحيط بداره وحمل جميع ما فيها •

ويضيف المؤرخ ابن حجر سببا ثالثا للقبض عليه وصرفه من كتابه السر هو عدم خبرته باصطلاح الوظيفة وسلوكه مع المصريين طريقته فى حدة الخلق والبادرة الصعبة ، مع الاقبال على اللهو فى الباطن (٣٤٦) » •

وفى محاولة للقضاء على ما تعرض له كتاب السر من حملات تشهيرية أسرع السلطان برسباى بتعيين بدر الدين محمد بن مزهر ، نائب كاتب السر فى هذه الوظيفة فى الثامن عشر من جمادى الآخرة ، فباشرها أربع سنين متوالية (٣٤٧) ، حتى وفاته فى رجب سنة ١٤٢٩/٨٣٢ ، فخلع السلطان بها على ابنه جمال الدين ، وله من العمر دون العشرين ، ولم يطر شاربه » •

وتذكر المصادر المعاصرة أن مرسوم توليته قد اشتمل على اسم شرف الدين الأشقر الذى عين فى وظيفة نائب كاتب السر ، ليقوم بأعباء الديوان عن هذا الشاب ، لعدم خبرته ، ولقلة درايته بهذه الوظيفة ، كما تذكر أيضا أن ولاية جلال الدين المذكور كانت فى مقابل تسعين ألف دينار (٣٤٨) من تركة أبيه • وهنا يحق لنا أن نتساءل من أين لبدر الدين بن مزهر بكل هذه الثروة الضخمة ؟

على هذا السؤال يجيب أحد المعاصرين فى معرض ترجمته له بما نصه : « وكان من الشره فى جمع المال على حالة قبيحة ، ولا يبالى بما أخذ ولا من أين اخذ ، مع الشح والبعد عن جميع العلوم العقلية والنقلية ، رضى من دينه وأمانته بجمع المال (٣٤٩) » .

خلاصة القول أن ولاية السلطان لهذا الشاب الصغير قد أثارت دهشة بعض المعاصرين فكتب يعيب عليه قائلا : « ولم يعهد فى الدولة التركية وظيفة كاتب السر تمتهن هذا الامتهان ، حيث يتولاها شاب صغير ، وتدور بين ثلاثة فى سنة واحدة ، ولم تكن العادة أن لا يتولاها الا من جرب عقله ومعرفته ، ثم لا ينفصل عنها الا بالموت غالبا (٣٥٠) » ، بيد أن الحق يملى علينا أن نقرر هنا ، أن ولاية السلطان لهذا الطفل لم تكن الا بغرض الاستيلاء على تركة أبيه بدر الدين ، بدليل انه لم يمكث فيها سوى بضعة أشهر ، عزل بعدها بشهاب الدين أحمد بن على عدنان الحسنى فى ذى الحجة سنة ١٤٢٩/٨٣٢ ، حيث « عملت له الطرحة خضراء برقمات ذهب ، وركب بين يديه الأمراء والوزراء ، وقضاة القضاء الأربع ، والأعيان (٣٥١) » .

ورغم أن المصادر قد ضنت علينا بمعلوماتها عما اذا كان أحمد بن عدنان قد ولى بالبذل من عدمه ، فاننا نميل الى الترجيح بانه لابد وأن يكون قد قام بالمبلغ المطلوب ؛ خاصة وقد عرف عنه الخبرة فى السعى بالمال على الوظائف ، فقد حدثنا المقريزى فى المحرم من سنة ١٤٢٦/٨٣٠ ، أنه توجه عائدا الى دمشق بعد أن فشل فى الحصول على وظيفة قضاء القضاة ببلدته ، مع بذله عليها سبعة وعشرين ألف دينار ، بسبب استقرار عمر بن حجى فيها بعد أن قام بستين ألف دينار (٣٥٢) ، ومع ذلك فلم ينل منه اليأس ، واستمر على مواصلة السعى عليها ، حتى نجح فى الوصول اليها فى ربيع الأول سنة ١٤٢٧/٨٣١ ، بعد أن التزم بحمل مال كبير (٣٥٣) .

وبقى أحمد بن عدنان فى وظيفته حيث سار فيها أجمل سيرة حتى مات فى طاعون سنة ١٤٣٠/٨٣٣ ، فخلفه أخوه عماد الدين أبو بكر أياما قليلة مات بعدها فى نفس الطاعون (٣٥٤) ، وأصبح ذلك الطريق مفتوحا أمام المتنافسين ، فعهد السلطان بالاشراف عليها الى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر ، ريثما يقع اختياره على مرشح جديد .

وفى رمضان سنة ١٤٣٠/٨٣٣ ، استقر رأيه على تعيين أحمد

ابن صالح بن السفاح ، كاتب سر حلب ، الذى أرســـل فى استدعائه ، على أن يحمل عشرة آلاف دينار ، فباشرها بقلة حرمة وعدم أبهة ، مع حدة مزاج وخفة وجهل بصناعة الانشاء ، على الرغم من مباشرته لمهـام هذه الوظيفة بحلب سنين طويلة ، ومع هذا فلم ينتج أمره لعدم فضيلته ، كما عاب عليه المؤرخ ابن تغرى بردى قراءته بألفاظ عامية ، وركز على أنه كان غير أهل لهذه الوظيفة (٣٥٥) ٠

بيد ان التسابق على هذه الوظيفة سرعان ما خفت وطأته ، ربمـا لمبالغة السلطان فى طلب الاموال ، وربما أيضا لعدم الاستقرار فيها ، مما جعل المزايدين يفكرون مرات قبل التضحية بتلك الاموال الكثيرة ، التى كانوا يبذلونها عليها ، الأمر الذى اضطر السلطان الى فرضها فى النهاية على بعض الأفراد ٠ ففى سنة ١٤٣٢/٨٣٥ أرســـل السلطان الأشرف فى استـدعاء أحمـــد بن الكشك ليتـولى مهام هـذه الوظيفـة عوضا عن أحمد ابن السفاح بعد موته ، على أن يحمل معه عشرة آلاف دينار ، ويبدو أن ابن الكشك الذى كان قد تمرس طويلا فى البلاط السلطانى (٣٥٦) ، قد شعر بما يدبر له الأشرف برسباى ، فاعتذر عن قبول هذا الشرف متعللا بضعف بصره ، وبآلام تعتريه ، وشفع رده هذا بمبلغ خمسة آلاف دينار ، فأسقط فى يد السلطان ولم يجد أمامه سوى الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ فخلع عليه فى الرابع من شوال مضافا الى الوزر ، وفى هذا يقول أحد المؤرخين « ولم يقع ذلك فى الدولة التركية لأحد ، أن الوزر وكتابة السر اجتمعا لواحد معا » ، كما اتهمـه المقريزى بالبعد عن صناعة الانشـــاء ، وبقلة الدربة على قراءة القصص والمطالعات الواردة من الاعمال ، ووصفه ابن تغرى بردى بأنه كان « أجهر العينين ، لا ينظر فى الكتابة الا من قريب ، وفى صوته خشـــونه » ، وكان اذا أمسك الكتاب فى يده ليقرأه على السلطان تنظر أعجايب من تبحره فى الكتاب بعينه ، ثم من توقفه فى القراءة ، ثم من اللحن الفاحش الخارج عن الحد مع أن قراءته للكتب ما كانت الا نادرا ، وفى الغالب لا يقرأها على السلطان الا شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر (٣٥٧) ٠ ومع ذلك فيفهم من كتابات نفس المؤرخين أنه أعاد لكتابة السر بعض من كان من رســـومها لوفور حرمته ، واستبداده ، ربما بسبب انحطاط جانب القضاة والفقهاء واتضاع قدرهم (٣٥٨) .

وبعد عزله عادت المشكلة الى الظهور من جديد ، فرســـم السلطان

لشرف الدين الأشقر نائب كاتب السر ، بالتحدث فيها ريثما يعثر على أحد، فعين له جماعة اختار منهم كمال الدين محمد بن البارزى ، قاضى قضاة دمشق ، وكاتب سرها ، فأرسل فى استدعائه فى الثانى من صفر سنة ١٤٣٢/٨٣٦ ، فقدم فى الشهر التالى ، حيث خلع عليه واستقر فى كتابة سر الديار المصرية فى الثامن من جمادى ، ونزل فى موكب جليل وسر الناس به سرورا كثيرا لحسن سيرته وكفايته ، وجميل طويته وكرمه ، وكثرة حيائه (٣٥٩) ٠

والسؤال الذى يعن لنا فى هذا المجال ، هل كان تعيين ابن البارزى عن طريق البذل ، أم بدونه ؟ ٠

رغم أن مؤرخى هذه الفترة قد ضـــنوا علينا بالاجابة على هذا السؤال ، فمن الواضح ان ابن البارزى لم يخلع عليه الا بعد ســـداد المطلوب ، الذى أصبح شيئا عاديا لم تجد المصادر ضرورة للاشارة اليه، وحسبنا دليلا على ذلك أن مرسوم توليته لم يصـــدر الا بعد شـــهر من وصوله ٠

وفى رجب سنة ١٤٣٦/٣٨٩ صرف من منصبه ، لا بسبب غضب السلطان الأشرف عليه ، بدليل أنه عهد اليه دائما بالعديد من المناصب الهامة (٣٦٠) ، ولكن فيما يبدو لحاجة الأشرف المستمرة الى المزيد من الأموال التى كان يبذلها المرشحون ، فاستقر عوضه شيخ الشيوخ محب الدين الأشقر (٣٦١) ، ورغم صمت المعاصرين ازاء ما بذله عليها ، فان السخاوى يشير الى أنه استعفى منها ببذل المال ٠ وهنا يحق لنا أن نقف قليلا ، لنقرر حقيقة هامة وهى أن عملية البذل لم تعد تقتصر على الحصول على هذه الوظيفة ، بل تعدتها فى هذا العصر للاعفاء منها ٠ وبعد أيام من استعفائه استدعى به الســـلطان فعاتبه ، ثم قرره فى نظر الخانقاة السرياقوسية ، عوضا عن أقبغا التركمانى ، وكذلك جعله ناظر جامعه هناك ولبس كاميلة (٣٦٢) ٠

وفى شهر ذى الحجة سنة ١٤٣٧/٨٤٠ وقع اختيار السلطان على الأمير صلاح الدين محمد بن بدر الدين حسن ، ليشغل وظيفة كتابة السر مضافا لما بيده من حسبة القاهرة (٣٦٣) ونظر دار الضرب ، ونظر الأوقاف، ومنادمة السلطان ، فنزل فى موكب جليل وقد لبس العمـــامة المدورة والفرجية ، هيئه أرباب الأقلام ، وترك زى الجند ، وصار يدعى بالقاضى بعد الأمير ، فسر الناس به ٠

وعلى الرغم من أن السخاوى قد أرجع سبب اختيار السلطان له من دون بقية المرشحين ، الى ما بذله من أموال كثيرة (٣٦٤) ، فان المصادر قد أجمعت على انه لم يسلك من الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره ، « بل عف وكف ، وأفضل وزاد فى الأفضال » ، كما أشارت الى أنه صار يكتب المهمات السلطانية بخطه بين يدى السلطان ، لما هو عليه من قوة الكتابة ، وجودتها ، ومعرفة المصطلح ، والدراية بمباشرة الملوك، وتدبير الدول ومغالبة الاحوال ، مما ميزه عمن تقدمه من كتاب السر ، لكنه بعد مباشرته لها ، استبد بالكتابة وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته وتمام معرفته (٣٦٥) ٠

وبعد وفاته استقر السلطان بأبيه بدر الدين حسن بن نصر الله فى وظيفة كتابة السر ، حيث خلع عليه فى شهر ذى القعدة سنة ١٤٣٨/٨٤١، فنزل فى موكب جليـــل على فرس رائع ، بقماش ذهب ، أخرج له من الاصطبل السلطانى ، بسبب معرفته بأساليب البذل التى شاعت على عصره (٣٦٦) ٠ ومع ذلك فلم يستمر بها طويلا ، ففى العاشر من ربيـع الأول سنة ١٤٣٨/٨٤٢ رسم السلطان جقمق باستدعاء محمد بن البارزى، قاضى القضاة بدمشق ، ليستقر فى هذه الوظيفة ، فحضر وخلع عليه فى السابع عشر من ربيع الآخر من السنة المذكورة ، نظير ما بذله للسلطان من تقدمة سنية ، اشتملت على خيل وثياب ، وفرو ، مما زاد قيمته على ألف وخمس مائة دينار (٣٦٧) ٠

والواقع أن البذل على هذه الوظيفة صار أمرا عاديا ، ولذا فلم تعد المصادر فى حاجة الى الاشارة اليه أو النص عليه ، بل وصل الأمر أنه كلما شعر أحد السلاطين بحاجته الى المال ، ســـارع بالضغط على كاتب السر وتهديده بالعزل من وظيفته حتى يبذل له المزيد من المال حرصا على الاحتفاظ بمنصبه الذى كلفه غاليا ، ومن ذلك ما حدث فى رجب سـنة ١٤٥١/٨٥٥ عندما تغيظ السلطان المذكور على كاتب السر ، فلم يجد المسكين أمامه من وسيلة سوى أن يزن له خمسة الآف دينار ، اســتطاع بها أن يضمن استمراره فى كتابة السر (٣٦٨) حتى وفاته فى المحرم من العام التالى ٠ عندئذ سارع المحب بن الشحنة بتقدم الصفوف ، مجتهدا فى السعى عليها بمال كبير ، الا أن جقمق كان قد عقد العزم على تعيين المحب الأشقر ، الذى سبق له أن وليها فى سنة ١٤٣٦/٨٣٩ فى نفس الوقت الذى رام فيه الاستيلاء على أموال ابن الشحنة ، لذلك نراه يعهد

اليه بنظر جيش حلب ، وبذا فقد ابن الشحنة كتابة سر حلب أيضا التى أخرجت عنه الى الزين عمر بن أحمد بن السفاح (٣٦٩) ٠

ولكن هل يسكت ابن الشحنة ، ويصرف النظر عن كتابة سر الديار المصرية ، ذلك الحلم الذى راوده كثيرا وبذل من أجله الغالى والنفيس ، بالطبع لا ، بل واصل السعى من جديد حتى استقر فيها أخيرا فى الثالث من ذى القعدة سنة ١٤٥٣/٨٥٧ على بذل قدره عشرون ألف دينار ، ثم ما لبث أن عزل بعد ثمانية أشهر بشيخ الشيوخ محب الدين الأشقر فى رجب سنة ١٤٥٤/٨٥٨ ، فأقام بالقاهرة مكروبا ، مشغول الخاطر بما استدانه ، ولم يظفر منه بطائل الى أن أمر السلطان بتوجهه الى القدس منفيا فى شهر ذى القعدة (٣٧٠) ٠

ومع ذلك فيفهم من المصادر المعاصرة أنه عاد الى كتابة السر عدة مرات عن طريق البذل ، لأن السخاوى يشير الى عزله مرة ثانية فى شوال سنة ١٤٦٠/٨٦٦ ببرهان الدين الديرى ، الذى لم يمكث بدوره فى هذه الوظيفة سوى خمسة عشر يوما عزل بعدها فى السادس من ذى القعدة ، بعد ما تكبده عليها من عشرة آلاف دينار (٣٧١) ، اقترض غالبها من عدة أقوام ، وبقى بعدها مكروبا بسبب مطالبتهم بحقوقهم ، بل وضيقوا عليه حتى باع الغالى بالرخيص ٠ ثم استقر بعده الزينى بن مزهر (٣٧٢) ٠

بقى أن نشير الى أن البذل على وظيفة كتابة السر ، لم يقتصر على الديار المصرية فى هذا العصر ، بل وجد أيضا فى نيابات المملكة الشامية، وقد لا نكون مبالغين اذا ذكرنا أنه وجد هناك قبل أن يعرف طريقه الى مركز السلطنة المملوكية ، بدليل ما رواه المؤرخ ابن حجر فى معرض حديثه من شهاب الدين أحمد ، الذى تعرض فى ربيع الآخر سنة ١٣٨٠/٧٨٢ للضرب والاهانة بسبب عدم مقدرته على الوفاء بما التزم به على كتابة سر دمشق ، وكان قد باشرها مدة شهرين على خمسة آلاف دينار ، فعجز عن التكملة فأمر أن ينادى عليه فى البلد « هذا جزاء من يسعى فى الوظائف الكبار بما لا يقدر عليه (٣٧٣) » ٠

كما ذكر السخاوى فى ترجمة محمد بن عبد الرحمن الحسبانى ، أنه استقر فى كتابة سر دمشق فى شوال سنة ١٣٨٩/٧٩١ ببذل كثير ، بيد أنه لم يعمر فيها طويلا وصرف فى جمادى الآخرة من السنة التى تليها ، فاستمر مخمولا بسبب ما اقترضه عليها من الأموال ، التي عادت أضرارها على زوجته المسكينة (٣٧٤) ٠

وتتحدث المصادر المملوكية أيضا عن صدر الدين ابن الآدمي ، الذى ولى كتابة سر دمشق بمال كبير ، رغم ما عرف عنه من قلة العلم وعدم الخير ، وما اشتهر به من ارتكاب المنكرات ، ومن ثم فقد هجاه البعض فى هذه المناسبة بقوله :

كتابة السر عندى وجودها كالعدم
وأصبحت بين الورى مصفوعة بالأدم (٣٧٥)

وتشير كذلك الى علاء الدين بن مفلح ، الذى استقر فى قضاء الحنابلة بدمشق ، وفى كتابة سرها ، فى المحرم سنة ١٤٥٨/٨٦٣ ، بعد عزل القاضي قطب الدين محمد الخضيرى بمال كثير بذله فى الوظيفتين (٣٧٦) ، فدام فيها الى أن سعى عليه برهان الدين بن الخواجا الشمسى ببذل كثير ، فعزل فى ربيع الآخر سنة ١٤٦٤/٨٦٧ (٣٧٧) .

وكما بذلت الأموال على كتابة السر بدمشق ، فقد بذلت أيضا على نظيرتها بحلب ففى رمضان سنة ١٤٤٠/٨٤٣ انتزعت هذه الوظيفة من معين الدين عبد اللطيف الأشقر رغم بذله للسلطان الهدايا والأموال (٣٧٨) ، وأضيفت لابن السفاح مع نظر الجيش فى مقابل ستة آلاف دينار ، تعهد القيام بها (٣٧٩) . ونعلم أيضا أن محب الدين بن الشحنة الذى ولى فيما بعد كتابة السر بالديار المصرية ، استقر فيها ، سنة ١٤٤٤/٨٤٨ ، مضافة الى نظر الجوالى بعناية صهره السفطى ببذل قدره عشر آلاف دينار . بل ونجح أيضا فى عام ١٤٤٦/٨٥٠ عن طريق الأموال الجزيلة ، والهدايا الجليلة أن يجمع بين كتابة سرها ، ونظر جيشها ، ونظر قلعتها ، والجامع النورى ، مما لم يتفق لاحد قط بحلب ، الأمر الذى أثار دهشة العينى فكتب معلقا « ولكن بالرشا يصل المرء فى هذه الازمان الى ما يشاء » . والحق أن ابن الشحنة هذا ، عرف بشدة مبالغته فى البذل من أجل تحقيق أغراضه الدنيوية ، فقد كان متحصله من جهاته يصل الى سبعة آلاف دينار سنويا ، لم تكن تكفيه ، بل كان يستدين عليها بالفوائد الجليلة ، حتى أثقلته الديون ، وصعب عليه الوفاء (٣٨٠) .

ويبدو أن البذل قد سرى أيضا الى نواب كاتب السر ، فقد روى المؤرخ ابن اياس أن السلطان قانصوه الغورى خلع فى رمضان سنة ١٥٠٩/٩١٤ على معين الدين بن شمس ، وقرره نائب كاتب السر ، عوضا عن الشهابى أحمد بن الجيعان ، مضافا الى ما بيده من وكالة بيت المال وغيرها من الوظائف الآخرى ، وذلك على مال له صورة . كما ذكر أيضا

أن معين الدين هذا كان يتميز ببشـاعة المنظر لدرجة أن السلطان كان يقسم كثيرا أنه يستحى من العسكر اذا ما وقف معين الدين أمامهم ليقرأ القصص (٣٨١) ٠

كذلك شاعت الرشـوة بين موظفى كتاب السر ونعنى بهم كتـاب الدست ، وكتاب الدرج (٣٨٢) ، بدليـل تلك الأعـداد المتزايدة التى تطالعنا بها المصادر المملوكية ، فبعد أن كنا نشاهد ثلاثة من كتاب الدست يعملون زمن السلطان الظاهر بيبرس ، أصبحنا نجد عشرة زمن السلطان الأشرف شعبان ، وعشرين زمن السلطان برقوق وابنه فرج ، الذى رأى تقسيمهم نظرا لقلة العمل الى نوبتين ، الأولى تعمل من السبت الى الثلاثاء ، والثانية بقية أيام الأسبوع (٣٨٣) ٠ ومع ذلك فقد اعتبر القلقشندى هذا العدد غير كافيا ، بسبب انغماسه فى الرشوة (٣٨٤) ٠

أما كتاب الدرج فقد فاقت أعدادهم كتاب الدست بكثير اذ وصلوا الى مائة وثلاثين كاتبا ، كان أغلبهم من غير أهل الخبرة والكفاءة ، ولذا أقبل كتاب الدست على معاونتهم فى انجاز أعمالهم (٣٨٥) ، وربما لهـذا السبب أشار اليهم صاحب ديوان الانشاء اشارة عابرة ، رغبة منه فى عدم التعرض لهم بالنقد والتجريح ٠

والحق أن أصدق دليل على ما آلت اليه هذه الوظيفة من تدهور هو ما اتسم به المصطلح من جمود وتصلب طوال قرنين ونصف من الزمان اذ من الملاحظ أنه لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر ٠ حقيقة أن بعض الكتاب حاولوا التغيير على طريقة أهل البلاغة مع مراعاة المناسبة مثل الكلستانى ، وعلاء الدين الكركى (٣٨٦) الا أنها كانت محاولات كتب عليها مسـبقا بالفشل ، وبقى مؤلف شهاب الدين بن فضـل الله ، المتوفى سـنة ١٣٥٣/٧٥٤ ، المثل الأعلى الذى يجب على صاحب هذه الوظيفة أن يلم بما جاء فيه من مصطلحات ، حتى لا يوصف بالجهـل ، ويرمى بعـدم المعرفة (٣٨٧) ٠

أما نظر الخاص التى وضـعها القلقشندى فى المرتبة الثـالثة بين الوظائف الديوانية ، فقد أحدثت زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، حين أبطل الوزارة فى سنة ١٣٢٣/٧٢٣ ، وقسم أعمالها بين ثلاثة موظفين : هم ناظر المال ، وناظر الخاص ، وكاتب السر كما سـبق أن نوهنا من قبل (٣٨٨) ٠

وأصل موضوع هـذه الوظيفة هو التحدث فيما هو خاص بمال السلطان من اقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية ، مما ليس من الأموال العامة . وفي زمن تعطيل الوزارة كان لناظر الخاص حق تدبير جملة الأموال ، بل وتعيين المباشرين ، ولو أنه لم يكن يستطيع أن يستقل بأمر الا بمشاورة السلطان . ولذا فقد كان يعتبر من خاصته ، ويستطيع أن يدخل عليه في مجلسه ، وأيضا في قصوره الجوانية لتصريف الأعمال كلما دعت الحاجة الى ذلك (٣٨٩) .

وكان يشترط في صـاحب هـذه الوظيفة أن يكون عارفا بأمور الحساب ، ذا قدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ، ومعرفة ما يحتاج اليه من أصناف الأقمشـة والطرز وغيرها بل وكان عليه أيضـا أن يحتاط لديوانه ، وأن يأخذ في تحصيل أموال جهاته وتثميرها ، وأن يحترز فيما يرفع اليه من حساباتها ، كما كان عليه العناية بمتاجر السلطان وتثميرها، والاهتمام بالتشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية منها ، وما جرت به العادة من الهدايا المعدة لملوك الاقطار (٣٩٠) .

ويفهم من المصادر المعاصرة أن هذه الوظيفة كثيرا ما أضيفت الى الأستادارية ، وأيضا الى نظر الجيوش كما حدث لابن غراب ، الذى عين ناظر الخاص في شهر ذى الحجة سنة ١٣٩٦/٧٩٨ (٣٩١) . ويستشف من هذه المصادر أيضا أن قيمة هذه الوظيفة قد هبطت منذ عهد السلطان الظاهر برقوق ، بعد أن عهـد الى الأمير جمـال الدين محمود بن على بالأستادارية ، وكلفه بتدبير أمور المملكة ، فصار يتصرف في جميـع ما يرجع الى أمر الوزير ، وناظر الخاص ، بل صار هذان يترددان الى بابه ويمضيان الأمور برأيه (٣٩٢) . ولعل هذا يفسر لنا قلة المعلومات التى احتوتها مصادر العصر المملوكى عن البذل والبرطلة على هذه الوظيفة ، وذلك على النقيض تماما من وظيفة كتابة السر . على أية حال ، فمن الملاحظ ان الرشوة قد سرت الى نظر الخاص بدليل ما ذكرته المصادر عن كريم الدين الكبير الذى كان أول من تسمى بناظر الخاص في أيام السـلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والذى صارت جميع الامور موكلة اليه ، فكاتبه أمراء الأطراف وخطبوا وده ، وبعثوا اليه بالهدايا . بل يكفي أن نشير هنا الى تلك الثروة الضخمة التى وجدت له بعد القبض عليه ، والتى زادت قيمتها على ستة آلاف ألف دينار ، لنتساءل كيف اسـتطاع أن يجمعها خلال تلك الفترة الوجيزة ما لم يكن قد سلك الطرق غير المشروعة مثل تناول الرشوة وقبول الهدايا (٣٩٣) .

وتتحدث المصادر أيضا عن جمال الكفاة ، الذى استطاع فى جمادى الآخرة سنة ١٣٤٢/٧٤٣ أن يحتفظ بوظيفة نظر الخاص ، ونظر الجيش ، نظير مائة ألف دينار التزم بحملها للنائب أقسنقر السلارى بعد أن كان تقرر عزله بموسى بن التاج (٣٩٤) ، كما تشير أيضا الى أن السلطان الصالح عماد الدين اسماعيل رسم له فى المحرم من سنة ١٣٤٤/٧٤٥ أن يكون مشيرا للدولة بالاضافة الى ما بيده من الوظائف ، فعظمت حرمته وارتفعت مكانته ، وتعدى طوره حتى أنه أراد أن ينخلع من زى الكتاب الى هيئة الأمراء ، وأن يصبح أمير مائة مقدم ألف ٠ فشق ذلك على الامراء وعملوا عليه حتى انتهى الأمر بالقبض عليه وأخذ ماله فى صفر من السنة المذكورة ٠ وكان قد عرف عنه أخذ الرشوة والبراطيل (٣٩٥) ٠

ويبدو أن العادة قد جرت بأن يقوم ناظر الخاص ببذل المال من حين لآخر ، نظير الاحتفاظ بوظيفته ، وفى مقابل ان يجدد له السلطان مرسوم تعيينه مثلما حدث فى ذى القعدة سنة ١٣٧٧/٧٧٨ للصاحب شمس الدين عبد الله المقسى ، الذى خلع عليه ، واستقر فى نظر الخاص كعادته بعد أن حمل مالا عظيما (٣٩٦) ، مما جعله فى النهاية يزهد فى هذه الوظيفة وفى غيرها ، ففى شوال ١٣٨٩/٧٩١ استدعى به الأمير منطاش وفوض اليه الوزارة ونظر الخاص ، « فصار يتمنع ويظهر ما به من ضربان المفاصل » ، حتى قبل عذره ، ولم يجد أمامه سوى القاضى موفق الدين أبى الفرج فخلع عليه بنظر الخاص فى مقابل مال التزم له به (٣٩٧) لم يحاول الكتاب تحرى قيمته ٠

ويفهم من كتابات المعاصرين أن فخر الدين بن غراب قد تعرض لنفس المصير ، ففى السابع من ذى القعدة سنة ١٤٠٥/٨٠٨ ، أمر السلطان فرج بن برقوق بالقبض عليه وايقاع الحوطة على موجوده ، غير أنه سرعان ما رضى عنه بعد أن بذل له عشرين ألف دينار ، فخلع عليه ، واستقر مشيرا ، ووزيرا ، وناظر الخاص على عادته (٣٩٨) ، ليقبض عليه مرة ثانية فى شهر شعبان من العام التالى ، ولتصادر جميع أملاكه على يد الأمير جمال الدين ، الذى خلع عليه بوظائفه ، مضافا الى ما بيده من الأستادارية ، غير أن ابن غراب عاد من جديد الى سياسة السعى والبذل ، حتى نجح فى العودة مرة ثالثة الى وظائفه السابقة بعد أن حمل للسلطان عشرين ألف دينار أخرى جعلته يخلع عليه فى السابع من ذى الحجة سنة ١٤٠٦/٨٠٩ بعد أن صرف الأمير جمال الدين عن الوظائف المذكورة (٣٩٩) ٠

ومن نظار الخاص الذين نجحوا فى التوصل الى هذه الوظيفة عن طريق السعى والبذل يتحدث كتاب هذا العصر عن كريم الدين بن سعد المعروف بابن كاتب جكم ، الذى استقر فيها عوضا عن ابيه فى سلخ ربيع الأول سنة ٨٣٣/١٤٣٠ ، بعد أن بذل للسلطان الأشرف ستين ألف دينار (٤٠٠) . وبعد وفاته فى نفس العام استقر ابنه ابراهيم فى وظيفته مضافا الى وكالة السلطان ، بعد أن بذل له أيضا ستين ألف دينار أخرى ، ومع ذلك فسرعان ما تعرض لغضب السلطان بسبب عدم موافقته له على الاستقرار فى الوزر (٤٠١) . ونقرأ أيضا فى مصادر هذا العصر عن عبد الرحمن بن الكويز ، الذى سعى فى نظر هذه الوظيفة زمن السلطان الأشرف قايتباى بنحو اثنى عشر ألف دينار ، حتى استقر فيها عوض التاج بن المقسى ، مما اضطره الى بيع جميع موجوده من صامت وناطق ، ومع ذلك فلم يعمر فيها طويلا ، وصرف منها ليبقى خاملا الى أن مات وهو فى غاية الفقر والمهانة (٤٠٢) .

ولم يقتصر البذل على نظار الخاص وحدهم ، بل شمل أيضا بعض كتاب هذا الديوان ، مثل مستوفى الخاص ، فقد حدثنا أحد مؤرخى هذه الفترة ان تاج الدين بن أبى الحسن بن الهيصم استقر فى استيفاء الخاص فى جمادى الأولى سنة ٨٧٤/١٣٦٩ ، عوضا عن أبيه بحكم وفاته ، بعد أن وزن للسلطان من الذهب ألف دينار ، ومع ذلك فلم يكن له من هذه الوظيفة سوى الاسم فقط (٤٠٣) .

واذا تركنا نظر الخاص جانبا وانتقلنا الى نظر الجيش ؛ رابع الوظائف الديوانية الرفعية ، التى كان يعين شاغلها من قبل السلطان ، ويختار عادة من بين خاصته ، نجد أن مهمة ناظر الجيش لم تقتصر على النظر فى أمر الجيوش وضبطها والنظر فى أموالها ، وانما تعدتها الى النظر فى أمر الاقطاعات بمصر والشام ، والكتابة بالكشف عنها ، وأيضا أخذ موافقة السلطان على الأوامر التى تتعلق بالجند وتجهيزهم وتجريدهم واقطاعاتهم (٤٠٤) . ولذلك اشترط عليه أن يكون عارفا بأمور الجيش وترتيبها ، وأصناف الأمراء والجند المستخدمين ، وترتيب مقاماتهم (٤٠٥)، وما أشبه ذلك ، وكان عليه أيضا أن يوصى بالاحتياط فى أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وأن يكون ملما بتحرير الكشوفات والمحاسبات واستيضاح أمر من يموت من أرباب الاقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والنقباء ، وأن يحترز فى أمر المربعات (٤٠٦) ، وما يترتب عليها من المناشير ، وكذا النظر فى أمر المقطعين من الجند والعرب

والتركمان والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك (٤٠٧) ٠

ومع هذه المهام التى كانت ملقاة على عاتق ناظر الجيش نلاحظ أن هذه الوظيفة كثيرا ما جمعت مع بعض الوظائف الأخرى وأضيفت لشخص واحد مثلما حدث للقاضى جمال الدين محمود الحلبى القيسرى ، المعروف بالعجمى، الذى جمع على عصر الظاهر برقوق بين قضاء القضاة ومشيخة الشيخونية ونظر الجيش (٤٠٨) ، وسعد الدين بن غراب ، الذى شغل كلا من نظر الجيوش ، ونظر الخاص ، وكتابة السر والاستادارية زمن السلطان فرج ابن برقوق (٤٠٩) ، وذلك عن طريق البذل والبرطلة ٠

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ، هو متى بذل على هذه الوظيفة ؟ لم نعثر فى بطون المصادر التى تحت أيدينا على اشارة صريحة تؤكد البذل على نظر الجيوش قبل سنة ١٣٩٢/٧٩٤ ، اذ يشير المؤرخ ابن حجر الى استقرار جمال الدين المذكور فى نظر الجيوش مضافا الى ماكان بيده من القضاء ومشيخة الشيخونية فى العشرين من شوال ، بعد أن بذل للسلطان فى ذلك ما يفوق الوصف (٤١٠) ٠ ويفهم أيضا مما أورده المفريزى أنه استمر شاغلا لها حتى وفاته فى سنة ١٣٩٧/٧٩٩ (٤١١) حيث خلفه شرف الدين محمود الدمامينى فى الثامن من ربيع الأول ، على وعد منه بحمل أربعمائه ألف درهم فضه (٤١٢) ، اتضح حين استعفائه من نظر الجيوش فى سلخ شوال سنة ١٤٠٣/٨٠٥ ، أنه لم يسدد منها سوى مائة وخمسين ألفا فقط (٤١٣) ، ومع ذلك فقد أعفاه السلطان فرج بسفارة الأمير يشبك الدوادار ، وان كنا نجهل فى الواقع عما اذا كان هذا العفو قد شمل بقيمة المبلغ الذى سبق له أن التزم بحمله لصمت المصادر بصدد هذه النقطة ، رغم علمنا بمدى حرص سلاطين المماليك الجراكسة على تحصيل كل درهم التزم به المزايدون على الوظائف الديوانية ، والدليل على ذلك ما فعله الظاهر ططر حين عوق فى ربيع الأول سنة ١٤٢١/٨٢٤ ، كمال الدين بن البارزى ناظر الجيوش بقلعة الجبل حتى يورد ما سبق له أن التزم به على هذه الوظيفة ، بل ولم يفرج عنه ، ولم يخلع عليه بخلعة الاستمرار ، الا بعد أن استجاب لجميع مطالبه (٤١٤) ٠

وفى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة عزل وحل محله القاضى زين الدين عبد الباسط ، الذى سار على سياسة التقرب الى السلاطين ببذل الهدايا والتقادم والتحف حتى استطاع ان يجمع بين نظر الجيش ، والوزارة ، والاستادارية الى أوائل سلطنة الظاهر جقمق سنة ١٤٣٨/٨٤٢، ثم سرعان ما تبدلت الأحوال وقبض عليه ، والزم بحمل ألف ألف دينار ،

واستمر مقيما بالترسيم فى قلعة الجبل قرابة العام حتى توسط له القاضى كمال الدين بن البارزى ، وكاتب السر ، فخلع عليه فى ربيع الآخر سنة ١٤٣٩/٨٤٣ ، وأمر بالتوجه مع أهله وعياله الى الحجاز ، بعد أن كان قد حمل الى الخزانة السلطانية مائتي وخمسين ألف دينار ذهبا ، سوى ما أخذ له من الخيول والجمال ، والتحف الجليلة التي قدمها للسلطان وغيره من الآمراء (٤١٥) • فسافر الى مكة وأقام بها نحو عام ثم عاد مع الركب الشامي الى دمشق امتثالا لأوامر الظاهر جقمق ، حيث بقى هناك فترة طويلة بعث خلالها ، بهديتين الى السلطان، احداهما في شهر ذى القعدة سنة ١٤٤٥/٨٤٩ ، اشتملت على شيء كثير ، عدا مبلغ من الذهب (٤١٦)، مما يدفعنا الى الاعتقاد بأنه عاد ثانية الى سياسة المهادة ، طمعا فى كسب ولاء السلطان وشراء وده ، ربما بهدف العودة ثانية الى ما كان بيده من الوظائف !

وبعد عزل الزينى عبد الباسط ، استقر عوضه فى نظر الجيوش شيخ الشيوخ محب الدين الأشقر ، فأقام فيها الى أن عزل فى ذى القعدة سنة ١٤٤٢/٨٤٦ بالقاضى بهاء الدين بن حجى ، وكان قد قدم من الشام ، وسعى فيها ببذل مال كبير لم تحدد قيمته المصادر المعاصرة • غير أنه لم يعمر فيها طويلا ، وصرف بالبهاء الأشقر فى ثانى عشر شوال من العام التالى (٤١٧) ، الذى جمع بينها وبين نظر المارستان المنصورى حتى شهر ربيع الآخر من سنة ١٤٤٧/٨٥١ ، ثم عزل بالولوى السفطى ، الذى استقر فى وظائفه ببذل ثمانية آلاف دينار ، بعد أن أرجف بخروج نظر الجيوش عنه الى البرهان بن الديرى (٤١٨) •

ولم يقتصر البذل على وظيفة ناظر الجيش بالديار المصرية ، بل وجد أيضا فى الممالك التابعة لدولة سلاطين المماليك فى الشام • فقد روى أحد المعاصرين بأن ابن منصور الحلبى استقر فى كتابة سر حلب ، ونظر جيشها في غضون سنة ١٣٨٨/٧٩٠ ببذل نحو ألفين دنيار ، ثم « صرف عن ذلك بعد اهانة شديدة ، ووضع فى الحديد (٤١٩) » • كما ذكر أيضا أن نظر جيش حلب قد أعيد فى جمادى الآخر سنة ١٤٥١/٨٥٤ الى محب الدين بن الشحنة مضافا الى ما بيده من القضاء بعد أن بذل أشياء كثيرة بالاضافة الى تعهده بالقيام بعليق الخيول السلطانية المسافرة الى البلاد الحلبية (٤٢٠) •

ويشير كتاب هذا العصر أيضا الى موسى بن جمال الدين يوسف

الكركى ، الذى ولى نظر جيش دمشق عوضا عن بهاء الدين حجى بمال بذله في ذلك ، غير أنه سرعان ما صرف لسوء سلوكه ، ومع ذلك فقد عاود سياسة البذل حتى نجح فى العودة ثانية الى وظيفته الأولى وهى نظر جيش طرابلس حيث دام فيها حتى مات فى شــــهر رجب ســــنه ١٤٥٨/٨٦٢ ، ولذا فلم يسلم من نقد مؤرخى عصره الذين اتهموه بأنه « كان من قبائح الزمان وبقربه من دين النصرانية ، عدا قبح شكله وسوء خلقه (٤٢١) » ٠

كذلك شاع البذل على الوظائف الصـــغرى التابعة لديوان نظر الجيش مثل كاتب المماليك ، بدليل ما رواه المؤرخ ابن اياس فى حوادث سنة ١٥٠٦/٩١٢ من أن السلطان قانصوه الغورى خلع فى جمادى الأولى على القاضى فخر الدين كاتب المماليك وأعاده الى وظيفته بعد أن أورد نحوا من ألفين دينار وكسور (٤٢٢) ٠

ومن الوظائف الديوانية التى امتدت اليها الرشوة ، يحدثنا كتاب هذا العصر عن وظيفة نظر الاسطبلات السلطانية التى استحدثت زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون للاشراف على الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية وكل ما يتعلق بها (٤٢٣) ٠ حقيقة أن المعلومـــات التى وصلتنا عنها تعتبر قليلة بالنسبة لغيرهـــا من الوظـائف المماثلة الا أنها تقوم دليلا على أن البذل قد سرى اليها ، ومن ذلك ما يرويه هؤلاء الكتاب بصدد زين الدين يحيى المعروف بالأشقر ، الذى استقر فى جمادى الأولى سنة ١٤٣٨/٨٤٢ فى نظر الاسطبلات السلطانية على مال بذله فى ذلك ، بعد سعى شديد (٤٢٤) ، ولكنه لم يعمر فيها طويلا ، اذ عزل فى ربيع الأول سنة ١٤٤٠/٨٤٤ بأبى المنصور القبطى المعروف بابن كاتب الورشة ، بعد أن بذل للسلطان جقمق سبعمائة دينار ، غير أنه لم يمكث فيها بدوره سوى شهر واحد وصرف بالتاج بن القلاقسى الفوى على مال التزم به (٤٢٥) ، يبدو أنه كان من القلة لدرجة أن مؤرخى هـــذا العصر لم يعنوا باثباته وتسجيله ٠

كما أمدتنا المصادر المملوكية بحالة بذل أخرى على نظر مدينـــة الأسكندرية ، تتعلق بالأمير خليل بن شاهين ، الذى استقر فيها بالاضافة الى ما بيده من حجوبيتها فى شهر ربيع الآخر سنة ١٤٣٣/٨٣٧ بعد أن بذل للسلطان الأشرف برسباى خمسة الآف دينار ذهبا ، عدا أقمشة وغيرها قدرت بألف دينار أخرى (٤٢٦) ٠

كذلك عثرنا فى بطون المصادر المعاصرة على حالة اخرى تشير الى أبى عبد الله بن الشيخ ، الذى يذل على نظر جـــدة زيادة على عشرة آلاف دينار ، لدرجة أن حاله تضعضع بسبب هذا المبلغ (٤٢٧) ٠ ومن المعروف أن هذه الوظيفة قد أنشئت في أيام الأشرف برسباى سنة ١٤٢٤/٨٢٧ بهدف تحصيل المكوس والضرائب على المتاجر القادمة من الهند واليمن ، بعد أن ظهرت أهميتها كمنطقة تبادل تجارى ، وكنقطة تمر بها التجـــارة القادمة من الهند في غضون سنة ١٤٢٢/٨٢٥ ، حين حلت جدة محل عدن فى هذه المهمة ، ولذا فقد دفعت هذه الظروف السلطان برسباى الى وضع جدة تحت الادارة المصرية ، وكان يختار ناظرها من بين كبار الموظفين المدنيين كالوزراء ، وكان تحته موظف عسكرى يعين من بين أمراء الطبلخاناة أو العشرات ، ولكن منذ أن ولى جانى بك نيابة جدة ، صار ناظرها من التابعين له ، وبذا قـل شأنه وأصـــبح يختار من بين أرباب الأقلام (٤٢٨) ٠

ونقرأ أيضا فى كتابات المعاصرين عن البذل على نظر الحرم المكى ، ففى صفر سنة ١٤٣٤/٨٣٨ ، بذل داود الكيلانى ، أحد تجار العجم المجاورين بمكة مالا للسلطان الاشرف حتى ولاه نظر الحرم عوضا عن أبى السعادات جلال الدين محمد بن ظهيرة ، مما أثار دهشة أحد المؤرخين بسبب أن نظر الحرم كان يعهد به الى قاضى مكة الشافعى (٤٢٩) ، ولكنها الرشوة تفعل الاعاجيب !

من وظائف النظر التى بذل عليها زمن المماليك الجراكســـة نذكر نظر الجوالى (٤٣٠) ، ففى المحرم من سنة ١٤٢٢/٨٢٦ ، استقر زين الدين قاسم بن البلقينى فى نظر الجـــوالى ، عوضا عن صـــدر الدين محمود العجمى (٤٣١) ، على مال التزم به (٤٣٢) ٠ وروى السخاوى أيضا أن أبى الفتح الطيبى خلع عليه فى شهر صفر سنة ١٤٥٠/٨٥٤ بكاملية صوف أخضر بمقلب سمور ، واستقر فى نظر جوالى دمشق بالاضافة الى وكالة بيت المال (٤٢٣) ، بعد أن صرف القاضى قطب الدين الخضيرى ، نظير خمسين ألف دينار يقوم بها سنويا للخزانة السلطانية (٤٣٤) ٠

وعن نظر حلب يحدثنا أحد المعاصرين بأن ابن قرناص سعى فيها بألفى دينار حتى رسم له بها فى شوال سنة ١٣٤٦/٧٤٦ ، عوضـــا عن ابن الموصلى ، بيد أن الأخير لم يكن ليقبل خروج وظيفته عنه بهذه السهولة ، فسارع بارسال هدية سنية للسلطانالكامل شعبان تشتمل على جوارى حسان ، وزوج بسط حرير ، يبدو أنه كان لها مفعول السحر عليه ، فأمر

بصرف ابن قرناص بعد مضى عشرين يوما على ولايته ، وعودة ابن الموصلى ، وبذا يكون اليوم الواحد قد كلف ابن قرناص فى هذه الوظيفة ، ألف دينار كاملة (٤٣٥) ٠

وتحتوى المصادر المعاصرة أيضا على بعض النصوص التى تشير الى البـذل على نظر القدس والخليـل ، التى عرفت أيضـا باسم الحرمين الشريفين (٤٣٦) ، فقد ذكر السخاوى فى حوادث سنة ١٤٤٣/٨٤٧ ، أن أمين الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة شـمس الدين بن الديرى ، استقر فى نرظ القدس والخليل فى شهر جمادى الأولى ، بعد وفاة القاضى عز الدين خليل السخاوى بمال كبير التزم به (٤٣٧) ٠ كما أشار أيضا الى استقرار الشمس محمد الحموى الموقع فيها ، عوضا عن ابن الديرى فى ربيع الآخر سنة ١٤٤٨/٨٥٢ ببذل مال كثير لم تعرف قيمته (٤٣٨) ٠

نخرج من هـذا بأن البذل على الوظائف الديوانية ، وجـد أيضا مثلما وجد على الوظائف العسكرية ، بل لعله قد فاقه بكثير ، بعد أن وجد سلاطين المماليك فيه مصدرا للربح الوفير ، وقد ترتب على هذا أن صار أصحاب هذه الوظائف يعملون تحت وطأة الخوف من العزل أو الطرد وأحيانا من السجن فى حالة عجزهم عن تلبية رغبات السلاطين من الهدايا والأموال التى كان لابد من بذلها من حين لآخر لضمان بقائهم ، واستمرارهم فى مناصبهم ، كما جعلهم من جهة أخرى يبذلون قصـارى جهدهم من أجـل تعويض ما بذلوه من أضلاع المسلمين وأقواتهم متخذين فى ذلك شتى الطرق ومنها السلب والنهب والمصادرة أحيانا ، مما جعل الظلم أيضا من أهـم السمات المميزة لهذا العصر ، بعد أن ارتبط ارتبـاطا وثيقا بالبذل والبرطلة ٠

الفصل الخامس

الوظائف الدينية والبذل والبرطلة

الوظائف الدينية والبذل والبرطله

لا جدال فى أن البذل قد سرى وشاع فى الوظائف الدينية ، ولاشك أيضا ان المتتبع لأخبار هذه الوظائف فى المصادر المعاصرة سوف يلاحظ بوضوح مدى التدهور الذى آلت اليه هذه الوظائف وبخاصة القضاء ، ووكالة بيت المال والحسبة نتيجة للبذل عليها ، بعد أن انعدمت الكفاءة والجدارة ، حيث حل محلهما المال وسلطانه ، فأقبل أصــحاب النفوس الضعيفة يزايدون على هذه الوظائف الجليلة اما طمعا فى تحقيق كسب غير مشروع ، أو حرصا على الاحتفاظ بأحد المناصب الهامة أو المتوارثة ، أو نكاية فى بعض الأفراد • ولاثبات ذلك سنحاول أن نتتبع فى هذا الفصل أخبار هذه الوظائف كل على حدة للتعرف على كيفية تفاقم الرشوة فى مجال هذه الوظائف الجليلة زمن سلاطين المماليك •

تأتى وظيفه قاضى القضاة على رأس هذه الوظائف الدينية جميعا (٤٣٩) حيث كان لصــاحبها حق الجلوس بالحضرة الســلطانية بدار العــدل الشريف ، والتحدث فى الاحكام الشرعية ، وتنفيذ قضاياها ، والقيــام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، وتعيين النواب من القضــاة للتحدث فيما عثر عليه مباشرته بنفسه • كما كان يعهد اليه بالأشراف على أموال الأيتام والأوقاف والتحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقــاهرة والفســطاط ، واجلاس الشهود (٤٤٠) ، فضلا عن خطابة جامع القلعة بالديار المصرية •

وشهدت دولة سلاطين المماليك منذ أيام السلطان الظاهر بيبرس

البندقدارى تعيين اربعة قضاة للمذاهب الأربعة بعد أن تذمر المماليك فى عهده من تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز الشافعى ، قاضى القضاة ، لتشدده معهم ، فاوعزوا الى السلطان بأن يعين لكل مذهب من المذاهب الأربعة قاضى قضاة ، فأقر ابن بنت الأعز فى قضاء الشافعية ، وولى الشيخ الدين أبا حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكى قضـــاء المالكية ، والقاضى بدر الدين بن سليمان قضاء الحنفية ، والقاضى شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين ابراهيم القدسى قضاء الحنابلة (٤٤١) ، فى سنة ١٢٦٥/٦٦٣ ٠

لهذا كله كان من الطبيعى ان يكثر البذل والبرطلة على هذه الوظيفة الهامة ، والسؤال الذى يعن لنا هنا ،هو متى بذل عليها للمرة الأولى زمن سلاطين المماليك ؟

يفهم من دراســة هذه الوظيفة أن أجل قضاء القضاة زمن ســلاطين المماليك كان قاضى القضاة الشافعى ، ويليه قاضى القضاة الحنفى ، ثم المالكى ثم الحنبلى ، وكان لكل منهم نواب يحكمون بالديار المصرية ، وجمهـــرة الشهود العدول (٤٤٢) ٠ وعلى نمط هؤلاء ، وجد قضاء قضاة أربعة فى كل من دمشق وحلب وحماه وطرابلس وغيرها من النيابات الشامية ٠ كانوا يعينون أيضا من قبل الأبواب السلطانية (٤٤٣) ، وكان لكل منهم سلطة تماثل سلطة زميله فى الديار المصرية ٠

وعلى هذا ينبغى لنا أن نفرق بين قضاة كل مذهب على حدة ، وأيضا بين قضاة الديار المصرية ، وغيرهم من قضاة النيابات الشامية ، حتى نتبين بوضوح مدى الدور الذى لعبه كل من البذل والبرطلة على هــذه الوظيفة الجليلة .

والمتتبع لمنصب قضاء الشافعية بالديار المصرية سوف يلاحظ أنه على الرغم من شيوع الرشوة لدى بعض قضاة هذا المنصب من أمثـــال بدر الدين الكردى (٤٤٤) ، وعبد الله بن جلال الدين القزوينى (٤٤٥) ، فان المصادر المملوكية لم تمدنا بنص واحد يؤكد البذل على هذه الوظيفة قبل سنة ١٣٧٧/٧٧٩ ٠ ففى شعبان منها ، عزل قاضى القضاة برهان الدين نفســه من وظيفة قضاة قضاء الشافعية ، وخرج الى تربة كوكاى بنية العودة الى القدس تورعا واحتياطا لدينه ، لما دهم الناس من تغير الأحوال وحدوث ما لم يعهد وتهاون القائمين بالدولة بالأمور الدينية ،فرغب الأمير طشتمر العلائى فى اقامة سراج الدين عمر البلقينى ، قاضى العسكر ، فى هذا المنصب ، الا أن عدم محبة بعض الأمراء له ، جعلته يصرف النظر عنه

الى بدر الدين محمد بن أبى البقاء على مال يقوم به (٤٤٧) . بيد أن سوء سلوكه جعل برقوق يصرفه فى ربيع الآخر من العام التالى ، ويستدعى سراج الدين بن الملقن ليوليه قضاء الشافعية عوضا عنه ، رغم الأموال الجزيلة التى سارع ابن أبى البقاء ببذلها للبقاء فى منصبه .

وفى نفس الوقت حاول ابن الملقن كسب رضاء الأمير بركة ، منافس برقوق على السلطة ، فكتب له ورقة بأربعة آلاف دينار فى حالة استقراره بقضاء الشافعية ، فلم يكن من هذا الأخير الا أن بعث بها الى الأمير برقوق ، الذى تروى المصادر أنه كان قد عقد العزم على تولية ابن الملقن دون مقابل ، فثارت ثائرته واستدعى به فى جمع من القضاة والفقهاء وأهانه اهانة شديدة ، ثم أمر به فى النهاية فسلم الى الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة ليستخلص منه الأربعة آلاف دينار ، بعد أن رسم بهذه الوظيفة للقاضى برهان الدين بن جماعة (٤٤٨) .

ومع هذا فيفهم من كتابات المعاصرين أن القاضى ابن أبى البقاء قد عاد ثانية الى قضاء القضاة الشافعية وذلك فى ربيع الآخر سنة ١٣٩٤/٧٩٦ عوضا عن صدر الدين المناوى ، الذى رفض أن يقرض السلطان الظاهر برقوق ما فى المودع من أموال الأيتام ، فاستغل ابن أبى البقاء الفرصة وبذل الأموال الجزيلة للسلطان وتعهد بأن يقرضه خمسمائة وستين ألف درهم من مال الأيتام ، حملها بالفعل الى الوزير ناصر الدين محمد بن رجب قبيل تقليده (٤٤٩) ، لكن ولايته لم تستمر سوى بضعة أشهر عزل بعدها فى شهر شعبان بصدر الدين المناوى بعد أن تعصب له برهان الدين المحلى كبير التجار ، وسعى له لدى السلطان ، بل والتزم عنه بمال جزيل (٤٥٠) .

ثم عزل صدر الدين المناوى ثانية بعد أن استحسن السلطان اللعبة ، وبعد عثوره على ضحية جديدة مستعدة لبذل المزيد ، هى تقى الدين الزبيرى الذى سار سيرة طيبة فى قضاء الشافعية ، ومع ذلك فقد عاد السلطان من جديد الى المناورة ، فأمر بعزله فى رجب سنة ١٣٩٩/٨٠١ ، ليستقر محله صدر الدين المناوى للمرة الثالثة ، بعد أن سعى له من جديد برهان الدين المحلى ، ولرغبة السلطان ، على حد تعبير أحد المؤرخين ، فى أخذ مال المناوى (٤٥١) ، الذى استمر شاغلا لهذه الوظيفة حتى وثب عليها ناصر الدين الصالحى فى شعبان سنة ١٤٠١/٨٠٣ ببذل المال ، فأقام بها عشرة أشهر ، ثم عزل فى جمادى الآخرة من العام التالى بجلال الدين البلقيني بمال كبير بذله بسفارة الأمير سودون طاز (٤٥٢) .

غير ان مواصلة الصالحى فى السعى للعودة الى قضاء الشافعية ، كانت سببا فى عزله فى موسم حج سنة ١٤٠٣/٨٠٥ ، واستقر الصالحى عوضا عنه بعد أن التزم بحمل ما يزيد على ستة آلاف دينار (٤٥٣) . وفيه يقول العينى « وكان عاريا من العلوم ، ومن الفقه أيضا ، بلغ المنصب بجاه الخليفة وبالبذل ، ولقد كانت القضاة من قبله ما يرضونه بالنيابة ، فضلا عن القضاء المستقل ، ولكن هذا الزمان لا يقدم الا غير أهله (٤٥٤) » .

وتتحدث المصادر المعاصرة أيضا عن شمس الدين الاخنائى ، الذى ولى قضاء الشافعية بالديار المصرية عدة مرات ، فترميه بحب جمع المال، وبكثرة البذل على الوظائف ، وبمداراته للأكابر ، وأيضا بقلة البضاعة فى الفقه ، وبمحاولته ستر ذلك بالبذل والاحسان (٤٥٥) .

وفى رجب سنة ١٤٢٢/٨٢٥ وصل شمس الدين الهروى الى القاهرة للسعى فى قضاء القضاة الشافعية بعد موت جلال الدين البلقينى ، وحمل معه للسلطان الأشرف هدية قيمت بنحو خمسمائة دينار ، سوى ما أهداه للأمراء ، فكاد أمره أن يتم خاصة بعد أن تعهد بأن يقوم فى كل سنة بثمانين ألف دينار ، وأن يعجل منها بخمسة آلاف ، كما تعهد بأن يثبت فى جهة البلقينى ثمانين ألف دينار أخرى . وازاء هذه الوعود المدهشة ألزم بأن يكتب خطه بذلك ، فأنكر أن يكون قد وعد بمثل ذلك ، فانحل أمره، ورده الله خائبا الى القدس ، بعد أن خلع على ولى الدين العراقى (٤٥٦) ، الذى عرف بنزاهته ، وبتعففه عن الأموال (٤٥٧) . غير ان استقالة العراقى فى شهر ذى الحجة سنة ١٤٢٢/٨٢٥ ، جعلت هذه الوظيفة تنتقل عن طريق البذل الى علم الدين صالح بن سراج البلقينى ، فأظهر من التهور ما لا يليق ، وتناول المال من أى جهة كانت حلالا أم حراما ، مناقضا بذلك سنة من سبقوه فى رئاسة هذه الوظيفة الجليله (٤٥٨) . ورغم هذا فقد بقى فيها الى أن عزل فى المحرم سنة ١٤٢٣/٨٢٧ بشيخ الاسلام الحافظ ابن حجر (٤٥٩) ، الذى عزل قبل نهاية هذا العام بشمس الدين محمد الهروى ، الذى يعيب عليه أحد المؤرخين خلعه زى الكتاب ، وارتداء زى القضاة حتى بدا أشبه « بالصفاعنة من المخايلين ، الذين يضحكون أهل المجانة والهزو (٤٦٠) » . غير انه لم يستطع أن يحتفظ بهذا المنصب أكثر من ثمانية أشهر عزل بعدها ، وأعيد ابن حجر فى رجب سنة ١٤٢٤/٨٢٧ بسبب « سوء سيرته ، وقبح سريرته ، وفساد طويته ، وبعده عن كل خير ، واشتماله على جملة الشر (٤٦١) » . فرحل عن القاهرة خفية من شدة مطالبات الناس له (٤٦٢) .

وفى صفر سنة ١٤٢٩/٨٣٣ عزل ابن حجر ، واستقر مكانه علم الدين صالح البلقينى (٤٦٣) الذى بقى فى قضاء الشافعية حتى جمادى الأولى من السنة التالية ثم عاد ابن حجر (٤٦٤) ليظل فيه حتى شوال سنة ١٤٣٧/٨٤٠ ، حيث صرف بعلم الدين صالح (٤٦٥) ، الذى استطاع أن يحتفظ به فى هذه المرة مدة عام كامل ، عزل بعده بابن حجر ، على أن يقوم الأخير له بما سبق أن حمله الى الخزانة السلطانية ، سيما بعد أن أظهر الأشرف برسباى انه لا يولى أحدا من القضاة بمال (٤٦٦) .

والحق ان هـذا الصراع ، وذلك التنافس الذى دار بين كل من ابن حجر ، وعلم الدين صالح البلقينى ، ليعطينا صورة واضحة عما آلت اليه هذه الوظيفة الهامة من تدهور زمن المماليك الجراكسة ، وحسبنا دليلا على ذلك ان الأول قد وليها فى الفترة الواقعة بين سنتى ٨٢٧ ـ ٨٥٢/ ١٤٢٤ ـ ١٤٤٨ خمس مرات زهد بعدها فى القضاء زهدا تاما لكثرة ماتوالى عليه من الانكاد والمحن (٤٦٧) ، على حين وليها الثانى سبع مرات فى الفترة الممتدة بين سنتى ٨٢٦ ـ ٤٢٣/٨٦٨ ـ ١٤٦٣ (٤٦٨) ، بذل على الأخيرة منها ثمانية آلاف دينار ، ومكث فيها ثمانية أشهر ، فوقف عليه كل شهر بألف دينار فكان هذا منه على حـد تعبير المؤرخ ابن اياس « غاية فى الخفة (٤٦٩) » .

ويبدو ان علم الدين هذا قد جابه عدة منافسين آخرين منهم ولى الدين السفطى ، الذى استقر فى قضاء القضاة الشافعية فى ربيع الآخر سنة ١٤٤٧/٨٥١ ، مضافا الى ما بيده من تدريس الشافعى ، ونظر البيمارستان ونظر الكسوة ، ووكالة بيت المال ومشيخة الجمالية ، وغير ذلك من الوظائف ببذل قدره أربعة آلاف دينار ، « فسار فيه أقبح سيرة ، وسلك مع الناس طريقا غير محمودة ، من الحط على الفقهاء ، والترسيم عليهم ، والافحاش فى أمرهم (٤٧٠) » .

والقاضى شرف الدين أبو زكريا ، الذى شغل هذه الوظيفة ثلاث مرات ، آخرها فى صفر سنة ١٤٦٥/٨٧٠ ، قاسى خلالها من كثرة الديون بسبب ما تكبده عليها من البذل والبرطلة ، رغم ما عـرف به من النزاهـة وعدم الرشوة (٤٧١) .

ويشير السخاوى أيضا الى صالح بن عمر العسقلانى ، الذى أعيد الى قضاء الشافعية فى العشرين من شوال سنة ١٤٦٣/٨٦٧ ، ببذل مال كثير ، قيل انه تجاوز الثمانية آلاف دينار ، غير انه لم ينعم به سوى عشـرة أشهر مات قبل أن يستكملها (٤٧٢) .

ونقرأ كذلك عن صلاح الدين المكيني (٤٧٣) ، الذى استقر فى هذه الوظيفة فى جمادى الآخرة سنة ١٤٦٦/٨٧٠ ، بكلفة تزيد على أربعة آلاف دينار ، فلم يلبث أن عزل بعد مضى سبعة أشهر ببدر الدين أبو السعادات البلقينى (٤٧٤) ، الذى سعى على هذا المنصب بسبعة آلاف دينار ، دفعها ثمنا لأربعة شهور فقط قضاها فى هذه الوظيفة ، حيث صرف بعدها فى جمادى الأولى سنه ١٤٦٧/٨٧١ ، ليعانى من الديون والدائنين (٤٧٥) .

كذلك شاع البذل على هذه الوظيفة فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، حيث تنافس على قضاء القضاة الشافعية أربعة قضاة هم : محيى الدين عبد القــادر بن النقيب ، وبرهان الدين القلقشندى ، وبدر الدين بن صلاح الدين المكينى ، وكمال الدين الطويل .

وتشير المصادر المعاصرة الى ان الأول ، وليها ست مرات فى مدة نحو عامين ، بذل خلالهما فوق الثلاثين ألف دينار (٤٧٦) ، اذ كان يدخر ما يتحصل عليه من وظائف وهــو أشرفين (٤٧٧) فى كل يوم من خبز وجوامك ، ليسعى به فى هذه الوظيفة حتى يليها فلا يمكث فيها غير أشهر ويعزل (٤٧٨) .

ويفهم من كتابات هذا العصر انه كان غير محمود السيرة بدليل ماذكره عنه المؤرخ ابن ايا س فى حوادث سنة ١٥٠٦/٩١١ :

يا أيهــا الناس قفوا واسمعوا صــفات قاضــينا التى تطرب
يلوط يزنى ينتش يرتشى ينم يقضى بالهوى يكذب (٤٧٩)

كما أنشد فيه عند وفاته فى ربيع الأول سنة ١٥١٦/٩٢٢ :

منصب الحكم فى القضا قال لما كشف الله ما به من همــــوم
زال عنى ابن النقيب وانى كنت معه فى قبضة الترسيم(٤٨٠)

أما الثانى ، برهان الدين القلقشندى فقد بذل على قضاء الشافعية ثلاثة آلاف دينار ، ومع ذلك لم يمكث فيها سوى ستة أشهر عزل بعدهــا فى ذى القعدة سنة ١٥٠٦/٩١١ بسبب سعى ابن النقيب عليه (٤٨١) . ويتحدث ابن اياس أيضا عن بدر الدين بن صلاح الدين المكينى ، الذى استطاع أن يجمع فى شهر ذى الحجة سنة ١٥١٠/٩١٥ بين قضــــاء الشافعية ومشيخة الخشابية والشريفية ، بعد أن بذل للسلطان الغورى ثلاثة آلاف دينار ، فأقام بها شهرين ، عزل بعدها فى ربيع الأول سنة

١٥١٠/٩١٦ ، بسبب سعى ابن النقيب عليه ، والناس غير راضية عنه فكان كما قيل فى المعنى :

تولاها وليس له عـــــدو وفارقها وليس له صديق (٤٨٢)

ونعلم كذلك ان كمال الدين الطويل ولى هذه الوظيفة أربع مرات آخرها فى رجب سنة ١٥١٥/٩٢١ ، وان مجموع ما بذله عليها تجاوز الثلاثة عشر ألف دينار (٤٨٣) .

وهكذا لم نعد بحاجة الى التأييد على مدى التدهور والانهيار الذى تعرضت له وظيفه القضاء الأولى بالديار المصرية ، بعد أن نجح سلاطين المماليك فى اثارة روح الحماس بين خطاب هذا المنصب الجليل ، ســـعيا وراء الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من أموالهم ، دون مراعاة لمتطلبات هذه الوظيفة الهامة ، بدليل انه ورد عليها فى مدى قرنين ونصف من الزمان ما يربو على تسعين قاضيا (٤٨٤) ، انساق أغلبهم وراء تيارات ملوثـــة يندى لها الجبين ولا تتفق اطلاقا مع مهام هذه الوظيفة الجليلة (٤٨٥) .

وعن قضاء القضاة المالكية ، نجد أول اشارة الى البذل عليه فى حوادث صفر سنة ١٣٨٠/٧٨٢ ، عندما خلع على كل من برهان الدين ابن جماعة الشافعى ، وجلال الدين جار الله الحنفى ، وناصر الدين نصر الله الحنبلى لسعيهم فى الصلح بين الأميرين برقوق وبركة ، من دون علم الدين ســـليمان البســـاطى المالكى ، الذى أرجف بعزله ، فوعد على حد تعبير المقريزى ، بمال نظير استقراره ، فخلع عليه بخلعة الاستمرار فى أوائل الشهر التالى (٤٨٦) .

كذلك تكشف لنا حالة ابن خلدون عن مدى ما أصاب قضاة هـــذا المذهب من انحطاط نتيجة لتكالبهم على هذه الوظيفة بالبذل والبرطلة ، فقد عمد بعد استقراره فيها للمرة الأولى سنة ١٣٨٦/٧٨٦ الى شن حملة نكراء على بعض قضـــاة لسعيهم وراء الوظائف بالمال ، ولانغماســـهم فى الرشوة مما يتنافى مع مهام وظائفهم ، الأمر الذى جلب عليه فى النهاية كراهيتهم له ، وتحزبهم ضده ، فعملوا فى التدبير عليه حتى نجحوا فى ابعاده عن منصبه فى العام نفسه (٤٨٧) . ومع ذلك فقد استدعاه برقوق فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٩/٨٠١ ، وخلع عليه بقضاء المالكية بعد وفاة ناصر الدين محمد بن التنسى ، نظرا لذيوع صيته ولما عـــرف به من الأمانة ، على الرغم من سعى شرف الدين محمد بن الدمامينى (٤٨٨)

فيا بسبعين الف دينار ردها السلطان ثانية (٤٨٩) ، ربما رغبة منه في أن يعيد ابن خلدون الى هذه الوظيفة بعض ما كان لها من الهيبة ٠

ولكنه لم يستمر طويلا ، فقد عمل عليه نور الدين على بن مكى حتى نجح في عزله في المحرم سنة ٨٠٣/١٤٠٠ ، واستقر مكانه في قضاء المالكية ، على مال وعد به (٤٩٠) ، وتضيف المصادر سببا آخر لعزله واستبعاده ، هو تعرضه لمكيدة دبرها له أعوانه من الشهود وغيرهم بسبب ما قام به من التقليل من أعدادهم ، واغلاق عدة حوانيت لهم استحدثت بعد ولايته الأولى (٤٩١) ٠

ويعيب كتاب هذا العصر على نور الدين ، اقتراضه المال بفائدةليرشو على ابن خلدون لكنه الحقد اذا سرى في النفس قاد صاحبها الى التهلكة ، فمكث في المنصب دون النصف سنة ، عزل بعدها ليعانى من ذل الدين والدائنين ٠

ونشير المصادر المملوكية الى قاضيين آخرين نجحا في الوصول الى قضاء المالكية عن طريق البذل : الأول هو أحمد عبد الله الأموى ، حيث استقر فيه سنة ٨١٦/١٤١٣ ، رغم شهرته بسوء السيرة ، ومزيد الجهل ، والتجاهر بأخذ الرشوة حتى استطاع أن يكون ثروة طائلة تمزقت بعد وفاته سنة ٨٣٦/١٤٣٢ (٤٩٢) ٠ والثاني هو شرف الدين يحيى الدميرى، الذى خلع عليه للمرة الثانية في رمضان سنة ٩٢١/١٥١٥ ، عوضا عن جلال الدين بن قاسم بحكم انفصاله عن قضاء المالكية ، بعد أن سعى فيه بألفى دينار (٤٩٣) ٠

والحق أن قلة الأمثلة التى تضمنتها المصادر المعاصرة بصدد البذل على القضاء المالكى ، ليقوم دليلا على أن هذا المنصب لم يكن بنفس أهمية منصب القضاء الشافعى ، وبالتالى فمن المؤكد أنه كان أكثر استقرارا منه، بدليل أن عدد الذين شغلوا هذا المنصب طوال عصر المماليك ، كانوا أقل بكثير من قضاة المذهب الشافعى الذى اتسم بعدم الاستقرار على مدىقرنين ونصف من الزمان (٤٩٤) ٠

كذلك ضنت علينا كتابات المعاصرين بأخبار البذل والبرطلة على وظيفة قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية ، حقيقة أن هذه الكتابات ، تضمنت بعض الاشارات القليلة التى يفهم منها مدى السعى على هذه الوظيفة ، مثلما فعل شمس الدين الطرابلسى ، الذى استقر فيها سنة ٧٨٦/١٣٨٤ بسفارة أوحد الدين كاتب السر (٤٩٥) ، ومثلما حدث

لمجد الدين أبو الفداء اسماعيل ، الذى حل محله فى شعبان سنة ١٣٩٠/٧٩٢ ، بعد ان سعى له الأمير شيخ الصفوى (٤٩٦) • كما يفهم منهم ايضا انغماس بعض قضاة الحنفية فى الرشى والبراطيل مثل زين الدين التفهنى ، الذى قال عنه العينى أنه لم يكن اهلا لها (٤٩٧) • الا أن هذه الكتابات لم تنص صراحة على أن هؤلاء ولوا بطريق بذل الأموال •

على أنه من الخطأ أن نعتقد بأن المصادر المملوكية التى تحت ايدينا الآن قد خلت تماما من اشارات البذل على قضاء الحنفية ، فقد روى أحد المؤرخين فى ترجمة ناصر الدين بن العديم أن أباه قد أوصاه قبيل وفاته بألا يترك منصب القضاء ، ولو ذهب فيه جميع ما خلفه • وأن ناصر الدين عمل بالوصية ورشا على المنصب حتى وليه ، كما أنه صار يرشي أهل الدولة بأوقاف الحنفية عن طريق تأجيرها لمن يطلبها بأبخس الأجور ، ليكون عونا على مقاصده حتى كاد أن يخربها ، كما أتهمه بأنه كان أثناء ولايته « كثير الوقيعة فى العلماء قليل المبالاة بأمر الدين ، كثير التظاهر بالمعاصى ، ولا سيما الربا ، سيء المعاملة ، أحمق ، أهوج متهورا (٤٩٨) »•

ونقرأ أيضا فى ترجمة بدر الدين بن الصواف ، أنه سعى فى قضاء هذا المذهب بسفارة الأمير جنبك الجداوى ، حتى استقر فيه فى شهر رجب سنة ١٤٦٣/٨٦٧ ، عوضا عن محب الدين بن الشحنة ، ببذل عشرة آلاف دينار ، كتب خطه بها ، وأورد جزءا منها حين الاستقرار • أما الباقى فقد الحوا فى طلبه حتى تنغص عيشه وتعلل ومات بعد مدة من ولايته تزيد على خمسة اشهر بأيام (٤٩٩) •

كما أشار المؤرخ ابن اياس الى أن السلطان الغورى أخلع على حسام الدين محمود بن الشحنة فى رمضان سنة ١٥١٥/٩٢١ بقضاء الحنفية بدلا من نديمه وامامه ، شمس الدين السمديسى ، بعد أن سعى فيها بثلاثة آلاف دينار (٥٠٠) •

أما عن قضاء الحنابلة فلم نعثر فى المصادر المعاصرة الا على ثلاث حالات فقط ، الأولى تتعلق بنور الدين على بن خليل الحكرى الذى وليه فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠/٨٠٢ ، بعد صرف موفق الدين أحمد ابن نصر الله ، على خمسين ألف درهم (٥٠١) ، رغم ما عرف به من جهالة وقلة بهجة (٥٠٢) •

والثانية تختص بشهاب الدين أحمد بن الرزاز ، الذى كان حنفيا

وتحنبل من أجل الوظيفة ، مما جعل العينى يقول فيه « أنه عار من المذاهب غير متلبس بالعفة والديانة (٥٠٣) » .

أما الحالة الثالثة والاخيرة فهى تشير الى عز الدين الشيشينى الذى استقر فى هذا المنصب فى ربيع الأول سنة ٩١٩/١٥١٣ عوضا عن أبيه ، بعد أن أورد ألف دينار للسلطان قانصوه الغورى (٥٠٤) .

والحديث عن قضاء الديار المصرية والبذل عليه زمن سلاطين المماليك يحتم علينا الاشارة الى قضاء الأقاليم ، فقد شهدت مدينة الاسكندرية أحداثا مشابهة لما كان يدور فى العاصمة ، حيث احتل قاضى القضاة المالكية مكان الصدارة بين قضاة بقية المذاهب الأخرى (٥٠٥) ، لما كان بيده من النظر على الأوقاف ، وأموال الأيتام ، والخزائن الشريفة ، ومن ثم فقد كان نفوذه يمتد الى جميع أعمال الثغر (٥٠٦) .

ولهذا السبب أيضا أصبحت هذه الوظيفة موضوع صراع بين المتنافسين عليها بدليل أن فخر الدين بن مسكين قاضى دمنهور بذل عليها زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون خمسة وعشرين ألف درهم ، صرفها من دنانير الذهب حينذاك ألف دينار (٥٠٧) ، كما بذل عليها أحد تجار الاسكندرية وهو أحمد بن عواض ، فى أثناء القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى ثلاثة آلاف دينار ، عجل بثلثها (٥٠٨) .

ونقرأ أيضا فى المصادر التى تحت أيدينا عن شرف الدين بن الدمامينى الذى باشر قضائها فى جمادى الأولى سنة ٨٠٢/١٤٠٠ ، عوضا عن أخيه تاج الدين على نفس المبلغ المذكور عاليا (٥٠٩) .

كذلك يتحدث أحد المعاصرين عن سرور المغربى ، الذى استقر فى جمادى الآخرة سنه ٨٣٩/١٤٣٦ فى قضائها ونظرها بعد أن تعهد للسلطان الأشرف برسباى كتابة بتكفية جند الثغر المحروس ، وأرباب المرتبين ، وكذا قيامه بالكسوة السلطانية .

بيد أن المسكين لم يستطع القيام بأعباء وظيفته سوى ثلاثة أيام فقط ، ركب بعدها الى القلعة وسأل السلطان أن يعفيه من وظيفة النظر ، على أن يستمر فى القضاء ، فلم يسع برسباى الا أن أمر بضربه ضربا مبرحا ، كما رسم باخراجه منفيا من القاهرة ، فكان هذا على حد تعبير أحد المؤرخين « جـــزاء من يتكلمون فيما لا يعينهم ، بل ولا يغنيهم ، وانما يتعسهم ويشقيهم (٥١٠) »

وتعتبر حالة جمال الدين عبد الله بن محمد الدمايني أيضا أصدق مثال على مدى تدهور هذه الوظيفة ، فقد استطاع عن طريق البذل ان يحتفظ بهذا المنصب أكثر من ثلاثين سنة ، عرف خلالها بقلة العلم ، ونقص الدين، الا أن كثرة بذله ، ومزيد سخائه جعلا السلطان برسباى يتغاضى عن عدم جدارته مما أدى في النهاية الى خراب جميع الجهات التي كان يشرف عليها ، والتى باتت من بعده محملة بديون باهظة (٥١١) ٠

وكما وجد البذل على قضاء الاسكندرية ، وجد أيضا على قضاء الصعيد، فقد ورد في ترجمة شمس الدين أحمد بن السديد الاسنائي ، قاضي قوص، المتوفى سنة ٧٠٤/١٣٠٤ ، أنه بذل على قضائها مائتى ألف درهم (٥١٢) ٠

وفي محاولة لتغطية تلك المصاريف الباهظه ، لجأت فئة من القضاة الى تأجير وظائفها الى مجموعة من نواب الحكم ، الذين تزايدت أعدادهم بصورة صارخة زمن سلاطين المماليك خروجا على القاعدة العامة (٥١٣) ، والذين رمتهم المصادر بالجهل وسوء السيرة(٥١٤)، كما شبهتهم بالضباع الضارية، وبالذئاب الجائعة ، والصقور الجارحة (٥١٤) ، ولذا فقد حاول بعض السلاطين الحد من هذه الأعداد الكبيرة عن طريق بعض المراسيم التي احتفظت المصادر المملوكية ببعضها ، والتى أمكن أن نحصر من بينها ثلاثة زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٠ الأول يرجع الى شوال ٧٣١/ ١٣٣١ ، ويقضي بعزل نواب قضاء القضاة الأربعة بمصر والقاهرة ، التي بلغت عدتهم نحو الخمسين نائبا (٥١٦) ٠ أما الثاني والثالث فيرجعان الى سنة ٧٣٨/١٣٣٧ ويختصان بعزل نواب الحكم الذين ولوا ببذل المال زمن القاضي جلال الدين القزويني (٥١٧) ٠

وواحد في ربيع الأول سنة ٧٩٤/١٣٩٢ في أيام السلطان الظاهر برقوق ، الذى أنكر على قضاة القضاة كثرة نوابهم وأشار بعزلهم ، فعزل الشافعي جميع نواب الحوانيت والشوارع ولم يترك منهم سوى نواب المدرسة الصالحية وهم خمس نواب فقط ، كذلك فعل بقية قضاة المذاهب الأخرى (٥١٨) ٠

وتشير المصادر الى محاولتين جديدتين على عهد السلطان المؤيد شيخ، الأولى منهما ترجع الى صفر سنة ٨١٩/١٤١٦ ، حيث أمر السلطان بعزل جميع نواب القضاة الأربعة ، وكانوا قد قاربوا ، على حد زعم ابن حجر ، على المائتى نفس ، فمنعوا من الحكم ، حتى سعى لديه أرباب الدولة من البلاصية ، ووعدوا بمال كثير ، فرسم بأن يكون للشافعي عشرة

نواب ، ومثلهم للحنفي ، وخمسة للمالكي ، وأربعة للحنبلي ، ثم سعى كثير ممن منع عند كاتب السر بالمال الى أن عادوا شيئا فشيئا (٥١٩) ، بدليل ما يرويه المقريزى فى أحداث السنة التالية من أن النواب يبلغون نحو المائتين « وما منهم الا من يحتشم من أخذ الرشوة على الحكم ، مع ما يأتون ـ هم وكتابهم وأعوانهم ـ من المنكرات بما لم يسمع بمثله فيما سلف ، وينفقون ما يجمعونه من ذلك فيما تهوى أنفسهم ، ولا يغرم أحد منهم شيئا للسلطنة ، بل يتوفر عليهم ، فلا يتخولون فى مال الله تعالى بغير حق ، ويحسبون أنهم على شيء ، بل يصرحون بأنهم اهل الله وخاصته ، افتراء على الله سبحانه (٥٢٠) » .

والمحاولة الأخرى كانت فى ربيع الآخر سنة ١٤١٨/٨٢١ ، عندما تنكر المؤيد شيخ على قاضى القضاة الشافعية جلال الدين بن البلقيني لاستكثاره من النواب ، مما اضطره ازاء غضب السلطان الى عزل طائفة منهم ، واقتصر على اربعة عشر فقط (٥٢١) !

ومع ذلك فيبدو أن هذا المنع لم يستمر طويلا ، لان المؤرخ ابن حجر يشير فى جمادى الآخرة من نفس العام الى زيادة عددهم الى عشرين (٥٢٢) . كما أشار المقريزى فى شوال سنة ١٤٢٠/٨٢٣ الى أن شمس الدين البساطى المالكى ، أعاد نواب الحكم الذين كانوا يلون قبله ، بل واستناب زيادة عليهم عدة من ألزامه (٥٢٣) .

كذلك شهد عصر السلطان الأشرف برسباى ست محاولات أخرى للحد من أعداد هؤلاء النواب ، الأولى منها فى رجب سنة ١٤٢٣/٨٢٦ ، حيث حدد السلطان أعدادهم على النحو التالى : عشرة نواب للشافعى ، وثمانية للحنفى ، وستة للمالكى ، وأربعة للحنبلى فعمل ذلك مدة ، ثم أعيد من عزل ، بل وزيد عليه حتى « ساءت قالة العامة فيهم ، وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان فى أبوابهم ... حتى انحطت أقدارهم عند أهل الدولة وجهروا بالسوء من القول فيهم (٥٢٤) » .

والثانية كانت فى المحرم سنة ١٤٢٥/٨٢٩ ، حيث أمر السلطان بألا يزيد الشافعى على عشرة نواب ، والحنفى ثمانية ، والمالكى على ستة ، والحنبلى على أربعة ، بيد أن هذا المرسوم لم يحترم سوى بضعة أيام ، عاد بعدها القضاة الى ما كانوا عليه من الاستكثار من النواب ، ضاربين بأمر السلطان عرض الحائط (٥٢٥) .

أما المحاولة الثالثة فتؤرخ فى شعبان من العام التالى ، حيث رسم برسباى بأن يقتصر الشافعى على عشرة ، والحنفى والمالكى على ثمانية لكل منهما ، والحنبلى على ثلاثة (٥٢٦) .

ومع ذلك فمن الواضح أن الأمور قد عادت الى سيرتها الأولى بدليل اضطرار السلطان الى اصدار مرسوم رابع فى شعبان سنة ١٤٣٠/٨٣٣ رسم فيه بأن يقتصر الشافعى على اربعة نواب ، والحنفى على ثلاثة ، والمالكى والحنبلى على نائبين لكل منهما (٥٢٧) .

وازاء حالة عدم المبالاة هذه ، اضطر السلطان الى استدعاء القضاة فى شهر ذى القعدة سنة ١٤٣٢/٨٣٥ الى القلعة وشدد عليهم بأن يقتصر الشافعى على خمسة عشر نائبا ، والحنفى على عشرة ، والمالكى على سبعة، والحنبلى على خمسة (٥٢٨) .

والحق ان هذا المنع لم يستمر طويلا وعاد بعده الحال الى ما كان عليه من قبل بدليل اشارة المصادر نفسها الى محاولة سادسة فى جمادى الأولى سنة ١٤٣٦/٨٤٠ ، اضطر السلطان بعدها الى الاستغناء عن حضور القضاة الى مجلس الحكم فى يومى السبت والثلاثاء حسبما جرت به العادة فى هذا العصر (٥٢٩) .

وتسجل كتابات المعاصرين محاولتين جديدتين زمن السلطان جقمق، الأولى فى شهر رجب سنة ١٤٣٩/٨٤٢ ، وتنص على أن يقتصر الشافعى على خمسة عشر نائبا ، والحنفى على عشرة ، والمالكى والحنبلى على أربعة لكل منهما (٥٣٠) .

والثانية فى ربيع الآخر سنة ١٤٣٩/٨٤٣ ، حيث رسم جقمق بعزل نواب القضاة الأربع باجمعهم ، وشدد بألا يستنيب الشافعى سوى أربعة، وكل من الحنفى والمالكى والحنبلى اثنين لا غير (٥٣١) . الا أنها كانت محاولات يائسة ، وغير مجدية ، خاصة بعد أن تغلغلت الرشوة فى النفوس، وبعد أن تطلع السلاطين الى ما فى أيدى الرعية من أموال ، والدليل على ذلك أن عدد هؤلاء النواب بلغ فى سنة ١٥١٤/٩١٩ نحوا من ثلاثمائة نائب ، مما اضطر السلطان الغورى بأن يلزم القضاة فى شهر ذى القعدة بالتخفيف منهم ، فاستقر الرأى على الاكتفاء بمائة نائب فقط ، أربعين

للشافعي وثلاثين للحنفى ، وعشرين للمالكى ، وعشرة نواب للحنبلى ، كما اشترط عليهم الا يولوا أحدا من النواب الا باذنه (٥٣٢) ٠

والحق أننا لا نستطيع أن نمضى فى دراستنا للبذل على قضاء الديار المصرية دون أن نشير الى قصة ولى الدين بن قاسم المحلاوى ، الذى تطلق عليه المصادر لقب مهرج السلطان برسباى ونديمه فقد استطاع بفضل مكانته لدى السلطان أن يلى نيابة الحكم فى دمياط بالاضافة الى ما بيده من الوظائف الدينية الأخرى ، حيث استناب فيها أحد أعوانه وجعل عليه ما لا يحمله اليه فى أول كل سنة ، سوى ما يتبع ذلك من هدايا وغيره ٠

وبعد أن استقر فى نظر الحرم الشريف وفى مشيخة الخدام الطواشية بالمسجد النبوى فى ربيع الآخر سنة ١٤٣٥/٨٣٩ : عوضا عن بشير التنمى (٥٣٣) ، اضطر الى التنازل عن قضاء دمياط لكاتب السر كمال الدين محمد بن البارزى مقابل خمسين ألف درهم ، فسار فيها على سياسة ابن قاسم من الاستنابة حتى خلع عليه بقضاء دمشق فتنازل عنها فى جمادى الآخرة سنة ١٤٣٦/٨٤٠ للطواشى صفى الدين جوهر الخازندار ، الذى أناب فيها بدوره أحد الأعوان وصار يكتب اليه « الداعى جوهر الحنفى » تشبها بقاضى القضاة (٥٣٤) ٠

وتبرز لنا هذه القصة العديد من عيوب النظام القضائى زمن سلاطين المماليك من رشوة وتنازل ، واستنابة ، فضلا عن تعيين أحد الطواشية فى هذه الوظيفة الجليلة ، وهذا ما لم نعهده من قبل !

وعلى نمط قضاة القضاة الاربعة بالديار المصريه ، وجد قضاة قضاة أربعة فى كل من دمشق وحلب وحماة وطرابلس وغيرها من النيابات الشامية ٠ وكانوا يعينون أيضا من قبل الأبواب السلطانية (٥٣٥) ، وكان لكل منهم سلطة تماثل سلطة زميله فى الديار المصرية ٠

وكان بدمشق أربعة قضاة للمذاهب الأربعة حسب المتبع فى الديار المصرية ، وكان أعلاهم قاضى القضاة الشافعى ، الذى كان يتحدث على الموازع الحكمية والأوقاف ، كما يختص بتولية النواب والأعمال بجميع أعمال دمشق حتى غزة ، ويليه في الرتبة الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ٠

ومن المعروف أن هذه الوظائف وجدت فى دمشق بعد وجودها فى الديار المصرية ، غير انها لم تنشأ دفعة واحدة ، وانما وجدت على التدريج وكان أقدمهم الشافعى (٥٣٦) ، الذى أمدتنا المصادر المملوكية بالعديد من أمثلة البذل على منصبه ، أقدمها يرجع الى أيام القاضى محيى الدين ابن الزكى فى سنة ١٢٦٠/٦٠٨ ، حيث ولى قضاء دمشق مرتين كلاهما بالبذل ومع ذلك فلم تطل أيامه وعزل أخيرا بنجم الدين بن سنى الدولة (٥٣٧) .

واذا كانت حالة ابن الزكى هذه تكاد تكون الحالة الوحيدة التى أمدتنا بها المصادر المملوكية عن البذل على قضاء الشافعية بدمشق ، أثناء القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى ، فان المصادر نفسها قد امدتنا بالعديد من حالات البذل عليه طوال القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى .

ففى شعبان سنة ١٣٩٩/٨٠١ خلع السلطان برقوق على أصيل الدين الدين الاسليمى بقضاء الشافعية بدمشق ، عوضا عن شمس الدين الاخنائى ، فسافر اليها فى الشهر التالى بعد أن أورد نحو المائة ألف درهم ، تذكر المصادر أنه تداين أغلبها ، فلم تحمد سيرته ، فعزل بعد وفاة برقوف لسعى الاخنائى عليه ، وعاد الى مصر ، حيث نالته المحن بسبب الديون التى تحملها ، حتى توفى فى أواخر ذى الحجة سنة ١٤٠٢/٨٠٤ (٣٥٨) .

ونقرأ أيضا عن حالة علاء الدين بن أبى البقاء السبكى الذى ولى هذا المنصب ست مرات ، آخرها فى جمادى الأولى سنة ١٤٠٤/٨٠٧ ، على مائتى الف درهم ، وهى التى جرت عادة قضاء دمشق ببذلها للسلطان (٥٣٩) .

ونسمع كذلك عن ناصر الدبن بن خطيب نقرين الذى ولى قضاء الشافعية بدمشق مرتين ، الأولى فى ذى القعدة سنة ١٤٠٣/٨٠٥ ،والثانية فى شوال سنة ١٤١٠/٨١٢ ، بكثرة البذل ، رغم ما عرف به من قلة العلم، وتعانى التزوير بالوظائف ، وسرقة الدور من أهلها (٥٤٠) ، حيث خلفه شهاب الدين الحمصى ، الذى اشتهر أيضا بقبح السيرة وبتناول الرشوة (٥٤١) .

وتعتبر حالة القاضى نجم الدين بن حجى ، أصدق ماثل على ما آل اليه قضاء الشافعية بدمشق من تدهور نتيجة للبذل والبرطلة ، فقد استطاع أن يلى هذا المنصب سبع مرات بلغت مدتها احدى عشرة سنة وكسور ، وذلك فى الفترة الواقعة بين سنتى ٨٠٩ - ٨٣٠/١٤٠٦ - ١٤٢٧ ، بذل عليها ستين ألف دينار (٥٤٢) ، وسعى عليه خلالها عدة قضاة نذكر منهم شمس الدين الاخنائى ، الذى استقر فيه فى شعبان سنة ٨١١/١٤٠٩ (٥٤٣) ، وشمس الدين بن زيد ، الذى خلع عليه فى رجب سنة ٨١٩/ ١٤١٦ ، بعد أن برطل كلاهما بثلاثمائة ثوب بعلبكى (٥٤٤) ، وشهاب الدين أحمد بن على بن عدنان الحسنى بن نقيب الأشراف ، الذى وليه فى جمادى الآخرة سنة ٨٢٧/١٤٢٤ على مال كبير (٥٤٥) .

وبعد وفاته استقر ابنه بهاء الدين محمد عوضه فى قضاء الشافعية فى دمشق ، حيث خلع عليه فى سلخ ذى القعدة سنة ٨٣٠/١٣٢٧ ، على ثلاثين ألف دينار ، رغم حداثته فهو شاب صغير لم يستتر عذاريه بالشعر ، ولكن المال جعل السلطان برسباى لا يلتفت لصغر سنه ولا لكونه ما قرأ ولا درى ، الأمر الذى أثار العينى فكتب يقول : « وهذه ثلمة فى الاسلام وما ذاك الا من أشراط الساعة ، وقد لعن صاحب الشرع الرشاة فى الأمور الدينية (٥٤٦) » .

ومع ذلك فيفهم من المصادر المعاصرة أنه ولى قضاء الشافعية بدمشق مرتين آخرهما فى صفر سنة ٨٣٦/١٤٣٢ ، حيث عزل بعدها سراج الدين عمر بن موسى قاضى طرابلس (٥٤٧) فى صفر سنة ٨٣٨/١٤٣٤ ، بعد أن كتب خطه للسلطان برسباى بأربعة آلاف دينار (٥٤٨) ، فاشتهر فيه بسوء السيرة بين الخاص والعام (٥٤٩) ، ورغم هذا فقد استدعاه السلطان الظاهر جقمق وعهد اليه بقضاء دمشق ثانية فى أوائل سنة ٨٨٤/١٤٤٠ ، دون أن يأخذ منه الدرهم الفرد ، وشرط عليه ألا يرتشى فى الأحكام ، بيد أنه لم يستطع أن يخالف طبيعته ، فعزل فى رجب من السنة نفسها ، بعد ان وشى به أحد خواصه ، واتهمه بتناول مبلغا من المال على قضية عينها للسلطان ، واستقر بعده شمس الدين محمد الونائى (٥٥٠) .

وتتحدث المصادر المملوكية أيضا عن ولى الدين البلقينى ، الذى سعى على هذا المنصب بعد صرف جمال الدين الباعونى ، وكيف أنه بذل عليه النفيس والغالى ، بل وصل الأمر به أن باع من أجله قاعته ووظائفه ، حتى

أجيب فى جمادى الأولى سنة ٨٦٤/١٤٦٠ ، ثم لم يلبث أن استعفى منه فى ذى القعدة من العام التالى (٥٥١) ٠

بقى ان نشير الى صورة أخرى من صور تدهور قضاء الشافعية بدمشق نتيجة لتناول الرشوة علبه وهى أن معظم هؤلاء القضاة كانوا يعمدون الى مباشرة مهام منصبهم من الديار المصرية عن طريق الاستنابة فيه(٥٥٢) ٠ فقد اكتشفت فجأة فى شوال سنة ٨٧٢/١٤٦٨ ، أن القاضى نور الدين الصابونى ، الذى ولى هذا المنصب بالجاه والبذل ، بالاضافة الى نظر الجيش ظل يباشرهما وهو مقيم بالقاهرة ، فقبض علبه ، وضرب ضربا مبرحا بين يدى السلطان قايتباى ، ثم أقام فى الترسيم اشهرا ، صرف بعدها فى ربيع الآخر من العام التالى بعد أن الزم بحمل مائة الف دينار (٥٥٣) ٠

أما عن قضاء الحنفية بدمشق ، فلم تبخل علينا كتابات المعاصرين ببعض معلوماتها بصدد البذل عليه ، ففى أوائل سنة ٨١٥/١٤١٢ استقر فيه ثلاثة قضاة فى مدة عشرة أيام ، ولوا وعزلوا بالبذل (٥٥٤) ، منهم شهاب الدين أحمد بن الكشك ، الذى ولى هذا المنصب ست مرات ، كلفته سبعين ألف دينار (٥٥٥) ، منها عشرة آلاف بذلها للعودة الى هذه الوظيفة فى جمادى الآخرة سنة ٨٢٧/١٤٢٤ (٥٥٦) ٠

وتطنب المصادر أيضا فى الحديث عن قاضى طرابلس شمس الدين محمد بن عمر الصفدى ، الذى قدم الى القاهرة فى سنة ٨٣٩/١٤٣٦ للسعى لدى السلطان برسباى حتى يخفف عنه المبلغ الذى التزم به عند توليه لقضاء الحنفية بدمشق فى شهر ذى القعدة ، بيد أن المسكين عاد الى دمشق بعد أن زيد عليه (٥٥٧) ٠ ويفهم من هذه المصادر أن شمس الدين هذا باشر هذا المنصب أربع مرات أولها فى جمادى الآخرة سنة ٨٣٢/١٤٢٩ بعد أن كتب خطه للسلطان بالفى دينار (٥٥٨) ٠ ومن قضاة هذا المذهب الذين استقروا فى هذه الوظيفة بواسطة البذل ، يشير السخاوى الى كل من تاج الدين بن عربشاه ، الذى استقر فيها سنة ٨٨٤/١٤٧٩ ، عوضا عن شرف الدين بن عيد (٥٥٩) ، وعبد الرحمن الحسبانى ، الذى وليها فى ذى القعدة سنة ٨٩١/١٤٨٦ ، ببذل زائد ، بعد صرف اسماعيل الناصرى ، وكلاهما من كبار الجهال (٥٦٠) ٠

ومع أن المصادر قد أفاضت فى الحديث عن البذل على قضاء الشافعية والحنفية بدمشق الا أنها قد ضنت علينا بمعلوماتها بصدد هذا

الموضوع بالنسبة لكل من قضاة المالكية والحنبلية ، حقيقة أن هذا الصمت لا يمكن أن يفسر بعدم ذيوع الرشوة على هاتين الوظيفتين ، الا أنه يقوم دليلا على عدم اهميتها فى تلك الفترة • ومع ذلك فقد أمدتنا بعض المصادر باشارات بسيطة يمكن أن تتخذ دليلا على ذيوع البذل على هذين المنصبين فقد ورد فى ترجمة شهاب الدين الأموى ، الذى شغل قضاة المالكية بدمشق فى أوائل سنة ١٤٣٢/٨٣٦ ، أنه كان سيىء السيرة ، متجاهرا بأخذ الرشوة ، حتى أمكنه أن يجمع ثروة طائلة (٥٦١) •

كما جاء فى ترجمة شهاب الدين التلمسانى ، أنه أعيد الى هذه الوظيفة فى السابع من ذى الحجة سنة ١٤٥٦/٨٦٠ ، بعد ان بذل عليها نحو خمسمائة دينار (٥٦٢) •

ويستشف أيضا من ترجمة شمس الدين بن عبادة أن قضاء الحنابلة بدمشق ظل نوبا بينه وبين عز الدين بن الخطيب حتى اصطلحا بأن ينفرد به الأول ، بعد أن بذل للثانى خمسة آلاف درهم ، حصل بمقتضاها على تعهد منه بعد السعى فيه ، وأنه كلما وليه فهو معزول ،كما تعهد له أيضا بدفع عشرة آلاف درهم اذا استقر فيه ، وقد شهد على هذا الالتزام كل من القاضيين المالكى والحنفى ، اللذان حكما بصحته (٥٦٣) •

وعن قضاء حلب ، أمدتنا المصادر المملوكية ببضعة اشارات تؤكد البذل عليه ، يرجع اقدمها الى سنة ١٣٤٢/٧٤٢ ، ويتحدث عن ولاية علاء الدين الزرعى المعروف بالقرع للقضاء الشافعى بها فى شهر رمضان عن طريق البذل ، بيد أن سوء سيرته جعلت أهلها يتضررون من ولايته ويطالبون بعزله ، حتى نجحوا فى ذلك ، فعاد الى القاهرة (٥٦٤) •

ونعلم أيضا أن جمال الدين بن الوردى ، المتوفى فى ذى القعدة سنة ١٣٤٩/٧٤٩ ، شغل هذا المنصب ببذل المال ، وحسبنا دليلا على ذلك تلك الأبيات التى رثاه فيها أخوه زين الدين حيث يقول :

أخى أبقى ببذل المال ذكرا وان لاموه فيه ووبخوه

أزال فراقه لذات ذكرى وكل أخ مفارقه أخوه (٥٦٥) •

كذلك أشار كتاب هذا العصر الى بعض الحالات التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى ، منها حالة سراج الدين عمر بن

موسى ، الذى عين فى قضاء حلب نقلا من طرابلس ، بعد أن بذل فيه ثلاثة آلاف دينار ، فى شهر شعبان سنة ١٤٣٥/٨٣٨ (٥٦٧) ٠

كما أشار ابن تغرى بردى الى حالة :علاء الدين بن خطيب الناصرية، الذى تولى قضاء الشافعية بها بالبذل ، واتهمه بالاقبال على خدمة أرباب الدولة بالأموال الكثيرة ، سترا لسوء سيرته (٥٦٨) ٠

ويضيف السخاوى حالة ثالثه تتعلق بابن العديم ، حيث استقر فى قضاء حلب فى سنة ١٤٧٨/٨٨٢ ، ببذل المال (٥٦٩) ٠

أما عن قضاء الحنفية بها فقد أشارت كتابات هذا العصر الى حالتين الأولى منهما تتعلق بالنور الشمسى الواعظ ، الذى استقر فيه بعد صرف ابن المحلاوى ببذل كثير (٥٧٠) ، والثانية تختص بمحب الدين بن الشحنة، الذى أعيد اليه فى شهر ذى القعدة سنة ١٤٤٤/٨٤٨ مضافا الى ما بيده من كتابه السر ونظر الجيش وغيرها من الوظائف ، بعد أن قام للسلطنة بعشرة آلاف دينار (٥٧١) ٠

كذلك أمدتنا المصادر التى وضعت زمن سلاطين المماليك ببعض الأمثلة للبذل على قضاء المالكية بحلب ، فقد جاء فى ترجمة أبى جعفر التلمسانى ، أنه سعى فيه سعيا شديدا ، حتى وليه فى سنة ١٣٥١/٧٥٢ ، رغم افراطه فى الجهل ، على حد تعبير أحد المؤرخين ، بل وبقى فيه الى وفاته فى عام ١٣٥٥/٧٥٦ (٥٧٢) ٠

كما ورد فى ترجمة علاء الدين ابن جنغل ، أنه استقر فيه بالبذل، وأن هذا المنصب قد ظل نوبا بينه وبين جمال الدبن موسى ، حتى وفاته فى صفر سنة ١٣٩٤/٧٩٧ ، فخلفه ابنه الشمس محمد ليس فقط عن طريق البذل ، ولكن أيضا بمصالحة السلطان برقوق على تركة أبيه (٥٧٣)٠

ونعرف أيضا أن قضاء حماة لم يقف بمعزل عن هذه الظاهرة ، التى تفشت فى مجتمع القضاء بصورة خطيرة ، فقد روى أحد المعاصرين أن بدر الدين بن الصواف استقر بالبذل فى قضاء حماة فى أوائل سنة ١٤٢٧/٨٣١ ، حيث دام فيه سنين طويلة لكثرة هداياه وخدمه ، ولمزيد بذله لأرباب الحل والعقد بالدولة المملوكية ، ولمبالغته فى استضافة القادمين عليه من ذوى الوجاهات والمناصب (٥٧٤) ٠

ولم تخل كتابات عصر سلاطين المماليك من عدة اشارات للبذل على قضاء طرابلس ، اذ نقرأ في أحد المصادر أن السلطان فرج بن برقوق استدعى فى جمادى الأولى سنة ١٤٠٦/٨٠٩ بقضاة طرابلس وحلب ، حيث خلع عليهم بخلعة الاستمرار بعد أن أخذ منهم مالا ، لا يسعنا تفسيره الا أنه كان ثمنا لبقائهم فى ما بأيديهم من المناصب (٥٧٥) ٠

ونعرف أيضا أن صدر الدين محمد النويرى استقر فى قضاء طرابلس فى صفر سنة ١٤٣٤/٨٣٨ ، عوضا عن تاج الدين عمر بن موسى على ألف وثلاثمائة دينار (٥٧٦) ٠

كما روى المقريزى فى حوادث سنة ١٤٣٩/٨٤٣ أن جمال الدين يوسف بن الباعونى شغل هذا المنصب فى شهر جمادى الآخرة ، بعد صرف ابن الزهرى ، وأن كلاهما تكلف مالا كثيرا (٥٧٧) ٠

وسجل السخاوى أيضا عزل البرهان السوسى فى ربيع الأول سنة ١٤٥٠/٨٥٤ عن قضاء طرابلس ، واعادة تقى الدين عبد الرحمن بن حجى ببذل المال (٥٧٨) ٠

وعن قضاء القدس والبذل عليه ، حدثنا المؤرخ مجير الدين بأن جمال الدين الديرى ظل يسعى فيه حتى وليه فى ربيع الآخر سنة ١٤٧٣/٨٧٨ ، ومع ذلك لم يمكث فيها سوى أربعة عشر يوما مات بعدها قبل أن يحكم فيها حكما واحدا، بعد مال كبير بذله عليه (٥٧٩) ، الأمر الذى يشير الى أن هذا القضاء لم يقف بمعزل عن البذل والبرطلة ، كذلك يفهم من المصادر أن قضاته لم يكونوا بمعزل عن تناول الرشوة ، اذ جاء فى ترجمة الكمال بن البدر الجعفرى ، أحد قضاة القدس زمن المماليك الجراكسة ، أنه نسب اليه مزيد من الرشا (٥٨٠) ، شأنه فى هذا شأن شرف الدين يحيى المغربى ، قاضى القدس المالكى سنة ١٤٨٧/٨٩٢ ، الذى عزل بسبب تعاطيه الرشوة على الأحكام (٥٨١) ٠

وهكذا سرت الرشوة فى مجتمع القضاة زمن سلاطين المماليك ، سريان الدم فى جسم الانسان ، وحسبنا دليلا على ذلك تلك المراسيم المنقوشة على جدران بعض العمائر الآثرية ببلاد الشام ، التى صدرت لتضع حدا لفساد وسوء خلق هؤلاء القضاة الأفاضل ، ولتدينهم أمام ذرياتهم أبد الدهر (٥٨٢) ٠

ومن الوظائف الدينية التى بذل عليها زمن سلاطين المماليك نذكر وكالة بيت المال ، رابع الوظائف الدينية بالحضرة السلطانية (٥٨٣) ، فقد روى المقريزى فى حوادث سنة ٧٨٣/١٣٨١ أن شرف الدين بن عرب (٥٨٤) استقر فى وكالة بيت المال ، بعد صرف نجم الدين محمد الطنبدى (٥٨٥)٠ بمال التزم به (٥٨٦) ويفهم من هذا المؤرخ أيضا أن هذه الوظيفة قد أضيفت مرارا الى الحسبة ، وأنها ظلت نوبا بينهما طوال العام التالى ، اما بسبب سعى أحدهما على الآخر ، أو لعجز أحدهما عن الوفاء بما التزم به عليها من أموال (٥٨٧) ٠

كما أشار المؤرخ ابن اياس الى أن السلطان الغورى أخلع فى أوائل سنة ٩١٨/١٥١٢ بهذا المنصب على شرف الدين بن روق ، كما جعله مستوفيا على اولاد بن الجيعان نظير خمسة آلاف دينار ، حتى استخف الناس عقله لبذله المال فيما لا طائل منه (٥٨٨) ٠

ويستشف من هذه العبارة الأخيرة أن هذه الوظيفة لم تكن مربحة لصاحبها ، بدليل أن الناس قد استخفوا عقل شرف الدين هذا لبذله مثل هذا المبلغ الضخم عليها ٠

ومع ذلك فقد شاع البذل عليها أيضا فى بلاد الشام ، اذ يذكر الصفدى أن الصاحب تقي الدين بن هلال توجه الى مصر فى أيام سلطنة الكامل وبذل له ثمانين ألف درهم حتى رتبه فى وكالة بيت المال والحسبة بالشام ، الا أنه لم يعمر فيها طويلا ، فقد صرفه المظفر حاجى بعد توليه السلطنة ، وافتاء دار العدل ، وقضاء العسكر ، بعد أن بذل عليها ألف دينار (٥٩٠) ٠

كما روى ابن حجر أن تاج الدين محمد الحسبانى استقر فى هذه الوظيفة فى ذى القعدة سنة ٨١٢/١٤١٠ ، مضافة الى ما بيده من الحسبة، وافتاء دار العدل ، وقضاء العسكر ، بعد أن بذل عليها ألف دينار (٥٩٠)٠

ويسجل لنا السخاوى حالة ثالثة عند ذكره لترجمة السيد برهان الدين بن الخواجا الشمسى ، فيشير بأنه ولى وكالة بيت المال وكتابة سر دمشق فى ربيع الآخر سنة ٨٦٧/١٤٦٣ ببذل المال ، فدام فيها دون السنة، ثم صرف بالخضيرى (٥٩١) ٠

أما الحسبة خامس الوظائف الدينية الرفيعه التى كان لصاحبها مجلس بالحضرة السلطانية ، وبدار العدل الشريف (٥٩٢) ، فقد فسد أيضا أمرها نتيجة للبذل عليها طوال عصر سلاطين المماليك ، وفى هذا المعنى يقول

أحد كتاب القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، « وأما أمر الحسبة فاعلموا – رحمكم الله – أن أمرها قد فسد ،واستحكم فساده ، وكثر الطمع فى أموال الناس بسببها ، وقد بقيت سيئة فلا يحل للسلطان أن يوليها أحدا ، ولا حاجة للناس بها » (٥٩٣) .

والحق أن البذل على هذه الوظيفة يعتبر أحد الأسباب الرئيسية ، التى عجلت بتدهورها وانهيارها (٥٩٤) ، خاصه وان الأمر لم يعد يقتصر على توليها بالرشوة والبراطيل ، وانما استقر الحال على توليها حسب مصطلح العصر عن طريق البذل ، مما أدى الى كثرة الطامعين فيها والى المزايدة عليها فيما بينهم ، وبالتالى لم يعد المحتسب بحاجة الى مجرد تناول رشوة مقنعه أو خفية ، وانما وصل به الحال الى فرض مقررات شهرية على الباعة والتجار وأصحاب الحرف والصنائع (٥٩٥) .

ولهذا لم يكن عجيبا أن تسير الحسبة بخطى سريعة الى الهاوية ، بسبب تلاعب الجهلة بهذا المنصب الجليل . ففى سنة ٨٠٩/١٤٠٦ والتى بعدها وليها فى الشهر الواحد ثلاثة أو أربعة ، « وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالا مقررا ، فكان من قام فى نفسه أن يليه يزن المبلغ ويخلع عليه ، ثم يقوم آخر ويزن ويصرف الذى قبله (٥٩٦) » .

وتفيض المصادر المعاصرة بالعديد من الأمثلة ، أمكننا أن نميز من بينها سبع حالات من القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى ، يرجع أقدمها الى سنة ٧٨٣/١٣٨١ حيث استقر صلاح الدين خليل بن عبد المعطى فى حسبة مصر فى شهر رمضان ، عوضا عن ابن عرب بمال التزم به ، الا ان سوء سيرته ونذالته جعلت الناس ينكرون ذلك ، كما جعلت الأمير جركس الخليلى ينكر ولايته ويأمر بضربه أيضا (٥٩٧) .

ويفهم من كتابات المعاصرين أنه استمر فيها حتى صفر من العام التالى ، حيث أعيد اليها علاء الدين بن عرب بعد أن تعهد بدفع المطلوب، بيد أنه لم يف بما التزم به فصرف بعد بضعة أيام ، بل ورسم عليه أيضا (٥٩٨) .

وفى رمضان سنة ٧٨٩/١٣٨٧ استقر نجم الدين محمد الطنبدى ، وكيل بيت المال فى حسبة القاهرة ، عوضا عن جمال الدين محمود القيصرى بحكم انتقاله الى قضاء العسكر بعد أن سعى فيها بخمسين الف درهم قيمتها يومئذ أكثر من الفى دينار ذهب (٥٩٩) .

ونقرأ أيضا أن بهاء الدين محمد بن البرجي موقع الدست سعى عليها حتى وليها فى رمضان سنة ١٣٩١/٧٩٣ بمال بذله للأمير كمشبغا نائب الغيبة (٦٠٠) ، فلم يمكث فيها سوى بضعة أشهر عزل بعدها من جديد بالنجم الطنبدى (٦٠١) ٠

ويروى كتاب هذا العصر أيضا أن السلطان برقوق خلع بهذه الوظيفة فى صفر سنة ١٩٣٥/٧٩٨ ، على شرف الدين محمد بن الدماميني بعد أن عجز نور الدين القور عن القيام بما التزم بحمله (٦٠٢) ، فبقى فيها الى أن سعى عليه شمس الدين المخانسى فصرف بعد مرور بضعة أشهر(٦٠٣)٠

ويبدو أن بهاء الدين محمد بن البرجي كان دائب السعي على هـذه الوظيفة بدليل أنه عاد اليها فى شهر ربيع الأول سنه ١٣٩٧/٧٩٩ بمال قام به فى ذلك ، اد أنه لم يل قط الا بمال ، فتشاءم الناس من ولايته (٦٠٤) ٠

وفى شعبان من نفس العام استقر زين الدين شعبان الآثارى فى حسبة الفسطاط ، عوضا عن نور الدين على بن عبد الوارث البكرى بمال التزم به (٦٠٥) ، يبدو أنه استدان أغلبه ، لأنه يفهم من المصادر المعاصرة أنه أضطر الى الفرار من هذا المنصب فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٨/٨٠٠، هربا من مطالبة أرباب الديون بمالهم ، فخلع بها على شمس الدين محمد الشاذلى(٦٠٦) ، الذى كان عريا من العلم ، غاية فى الجهل ، حتى ترقى بالبذل والبراطيل (٦٠٧) ٠

وحل القرن التاسع الهجرى لتدخل الحسبة أخطر مراحل تدهورها وانهيارها ، بسبب كثرة البذل والسعى عليها ، مما نتج عنه عدم استقرار هذه الوظيفة البالغة الأهمية بالنسبة للحياة الاقتصادية ، ويكفى للتدليل على ذلك ، أنه وليها على مدى هذا القرن مائة وثلاثة وعشرين محتسبا للقاهرة فقط (٦٠٨) اتهمت المصادر المعاصرة أغلبهم بالسعى عليها بالمـال رغم جهلهم وسوء سلوكهم ٠

ففى العاشر من شعبان سنة ١٣٩٩/٨٠٢ ، استقر فيها جمال الدين الطنبدى ، المعروف بابن عرب ، عوضا عن تقى الدين المقريزى بمال وعد به (٦٠٩) ، بيد أنه عزل في شوال من نفس العام بشمس الدين المخانسى، الذى تتهمه المصادر بولاية هـــذه الوظيفة أكثر من مرة بالســـعى والبذل (٦١٠) ٠

وتتحدث المصادر أيضا فى شىء من السخرية عن استقرار شرف الدين محمد الحيرى فى حسبة الفسطاط فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٦/٨٠٨ ، عوضا عن شمس الدين المنهاجى بمال قام به ، وتعد هذا من أشنع القبائح، وأقبح الشناعات ، لما عرف به من السخف والمجون وسوء السيرة (٦١١)٠

ونعلم أيضا أن تاج الدين محمد بن المكللة ، ولى حسبة القاهرة فى سنة ١٤٠٧/٨٠٩ بعد أن سعى فيها بألف دينار (٦١٢) ، وأن زين الدين الدميرى سعى للاستعفاء من هذا المنصب خوفا من الكلفة بعد أن طلب منه ألفى دينار فى سنة ١٤١١/٨١٣ (٦١٣) ٠ بيد أنه لم ينجح فى التخلص منه الا بعد سعى شمس الدين محمد بن شعبان فيا بمـــال وعـــد به كعادته (٦١٤) ٠

وتشير المصادر المملوكية الى عزل صدر الدين أحمد بن العجمى عن حسبة القاهرة فى آخر ذى الحجة سنة ١٤١٢/٨١٥ ، وعن استقرار شمس الدين محمد بن شعبان عوضـــا عنه بعد أن وعد ببذل خمسمائة دينار ، تعهد بأن يحمل كل شهر مائة دينار منها (٦١٥) ، وتذكر أيضا كيف شدد فى أوائل السنة التالية على صدر الدين بن العجمى فى بقية المال الذى تأخر عليه ، حتى اضطر الى بيع موجوده ، ومع ذلك فلم يستطع أن يورد سوى ثلاثمائة دينار فقط وعجز عن باقى الألف (٦١٦) ٠

كما نذكر أيضا أن شمس الدين بن شعبان قد تعرض كذلك للضرب فى شهر جمادى الأولى من نفس العام ، أكثر من ثلاثمائة عصا بين يدى السلطان المؤيد شيخ ، وأشهد عليه أنه لا يسعى فى الحسبة لســـوء سيرته (٦١٧) ٠

والحق ان كل من ترجم لهذا المحتسب أجمع على سوء سيرته وذكر أنه « كان عريا من الفضائل ، وانه ولى الحسبة زيادة على عشرين مـرة بالبذل ، بحيث كان يتبجح بذلك ويفتخر به (٦١٨) » ٠

ويجمع المعاصرون على أن أضخم مبلغ بذل على هذه الوظيفة خلال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، هو عشرة آلاف دينار بذلها شمس الدين بن يعقوب فى المحرم سنة ١٣١٧/٨٢٠ على هيئة هدايا قدمها للسلطان المؤيد شيخ (٦١٩) ، ومع ذلك فلم يمكث فيها سوى ستة أشـــهر ، حيث عزل فى جمادى الآخرة ، بعد أن سعى عليه عماد الدين

ابن بدر الدين بن الرشيد ، الذى التزم بتعمير البرجين أسفل القلعة ، وقدرت الغرامة عليهما بخمسمائة دينار ، الا انه لم يستطع الوفـــاء بما التزم به ، وساءت حالته فاضطر الى الهرب فى شهر ذى الحجة من نفس العام ، ومع ذلك فقد ألزم بالسداد الى حين وفاته ، ولذا فقد كان طبيعيا أن يعيب عليه كتاب هذا العصر تكالبه على وظيفة الحسبة ، خروجا بذلك على سنة أبيه ، الذى ناب فيها أربعين سنة متوالية دون أن يسعى يوما الى الاستقلال بها (٦٢٠) ٠

وفى سنة ٨٢٣/١٤٢٠ شغرت وظيفة حسبة القـاهرة بعد عزل صدر الدين العجمى ، « فسعى فيها الساعون بالرشا والمواعيد الباطلة » رغم ان السلطان المؤيد كان قد عقد العزم على الاحتفاظ بها لبدر الدين العينى لحين وصوله من بلاد قرمان ، الا انه تراجع عن قراره أمام الألف دينار التى لوح له بها صارم الدين ابراهيم ، بسفارة الكمال بن البارزى كاتب السر ، فخلع عليه بها فى العشرين من شهر رجب (٦٢١) ، فلم تحمد مباشرته وعزل فى المحرم من العام التالى (٦٢٢) ٠

ومع ذلك أضيفت هذه الوظيفة الى بدر الدين العينى فى شهر شعبان سنة ٨٢٥/١٤٢٢ ، وكان يلى الأحباس ، والنظر على الأحكام الشرعية لقربه من السلطان برسباى حيث كان يسامره ليلا ويترجم له ما كتبه فى تاريخه عقد الجمان الى اللغة التركية ، ويشرح له أيضـــا غوامض الفقه والشريعة الاسلامية ٠ والغريب فى ولايته لها ، انها اقترنت ببذل من جانب العينى لسلفه صدر الدين العجمى ، كنوع من الترضية له ، وحتى لا يتطلع الى الحسبة ثانية ، فيذكر ابن حجر ان المحتسب كان يتقاضى دينارين فى اليوم من مال الجوالى نظير القيام بمهام وظيفته ، فتنازل العينى عن دينار منهما لابن العجمى ، واكتفى هو بالدينار الآخر (٦٢٣) ٠

وتروى المصادر المملوكية ايضا ان علاء الدين بن أقبرس استقر فيها ، عوضا عن ديار على الخراسانى نى ذى الحجة سنة ٨٥٢/١٤٤٨ ، بمال بذله فى ذلك ، كما تشرح لنا كيف اتصل ابن أقبرس هذا بالأكابر من رجال الدولة وبالظاهر جقمق أيام امرته ، بعد أن كان عنبريا بسوق العنبر فى حانوت صغير (٦٢٤) ٠

وفى ذى لقعدة سنة ٨٥٧/١٤٥٣ خلع على الشيخ على الخراسانى بخلعة الاستمرار ، وسبب ذلك أن شخصا من الأوباش سعى عليها بثلاثة آلاف

دينار ، ومال السلطان الأشرف اينال الى توليته ، فتحدث معه بعض أرباب الدولة باستمرار على الخراسانى على بذل ألفين (٦٢٥) .

غير انه لم يمض على ذلك سوى ثلاثة أسابيع حتى قبض عليه وحبس عند الخازندار بسبب عدم الوفاء بما تعهد به ، واستقر عوضه علي بن أحمد الكاشف بعد أن يذل نحو ثلاثة آلاف دينار (٦٢٦) .

ويفهم من كتابات هذا العصر ان علي بن نصر الله الخراسانى نجح فى أن يعود الى الحسبة بعد أن يذل مبلغا من المال يفوق ما بذله سلفه لأن المصادر عادت الى الحديث عن عزله من جديد فى جمادى الآخرة سنة ١٤٥٥/٨٥٩ ، كما أشارت الى تولية عبد العزيز بن محمد الصغير بمال بذله فى ذلك (٦٢٧) .

والمتأمل لترجمة على بن نصر الله الخراسانى سوف يلاحظ مدى تهافته على الحسبة وأيضا مدى ما آل اليه أمرها بما استخدمه فيها من مظالم ، اذ يقول عنه المؤرخ ابن تغرى بردى . « فانه لما ولى الحسبه سار فيها أقبح سيرة ، وفتح له أبواب الظلم والأخذ ، فما عف ، ولا كف ، وجدد فى الحسبة مظالم تذكر به ، واثمها واثم من يعمل بها عليه الى يوم القيامة . وصار يأخذ من هذه المظالم ويخدم الملوك بها ، فانظر الى حال هذا المسكين الذى ظلم نفسه وظلم الناس ... » (٦٢٨) .

وفى شهر ذى القعدة سنة ١٤٥٦/٨٦١ استطاع صلاح الدين بن بركوت المكينى أن يلى هذه الوظيفة بعد أن قدم بذلا قدره ثلاثة آلاف دينار ، حيث مكث فيها سبعة أشهر عزل بعدها بالحاج خليل المعروف بقانباى اليوسفى (٦٢٩) .

كما حدثنا المؤرخ المملوكى ابن تغرى بردى ان السلطان الأشرف اينال عهد بمهام هذه الوظيفة الى تنم بن بخشايش المعروف برصاص وذلك فى شهر صفر سنة ١٤٦٠/٨٦٥ ، بعد أن بذل المطلوب ، ويعلق على هذا بقوله : « ان ثنم هذا أول تركى ولى الحسبة يالبذل ، ولم نسمع ذلك قبل تاريخه ، لا قديما ولا حديثا (٦٣٠) » . واتهمه أيضا بالتهاون فى أمر الرعية ، وأخذه من الباعة البراطيل (٦٣١) .

كذلك أشار ابن اياس الى استقرار الأمير ماماى الصغير فى حسبة القاهرة عوضا عن الزينى بركات بن موسى فى شهر ربيع الأول سنة

١٥١٦/٩٢٢ بعد أن سعى فيها بخمسة عشر ألف دينار ، كما روى أيضا ان هذه الأموال كانت تستخلص من أضلاع المسلمين (٦٣٢) .

والحق ان سلاطين هذه الدولة لم يكتفوا بتلك الاموال التى كانت تبذل لهم ثمنا لهذه الوظيفه ، بل درجوا على الزام المحتسب بدفع مبالغ شهرية اخرى ، عرفت فى المصطلح التاريخى باسم المشاهرة ، بلغ مقدارها زمن السلطان قايتباى نحو الألف دينار (٦٣٣) . ثم تصاعدت الى خمسة عشر ألف درهم على عهد السلطان الغورى (٦٣٤) ، ومن ثم فقد اعتبرها ابن اياس احد موارد الدولة الأساسية لما كانت تدره على الخزانة السلطانية من ستة وسبعين ألف دينار سنويا (٦٣٥) .

أما فيما يختص بحسبة الاسكندرية فيهم من المصادر المعاصرة ان المبلغ المقرر على الباعة لجهة الحسبه ، وصل فى سنة ١٤٣٥/٨٣٩ الى ثلاثين ألف درهم شهريا ، كانت تحمل الى ديوان النيابة ، بعد أن أضيفت هذه الوظيفة الى نيابة الثغر منذ أن وليها الأمير غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى (٦٣٦) .

وعلى الرغم من أن هذا الأمير قد أمر بابطال هذا المقرر ونقش المرسوم الخاص بذلك على رخامة تبتها على أبواب البلد (٦٣٧) ، فانه قد ظل معمولا به حتى السنوات الأخيرة لدولة المماليك الجراكسة ، بدليل ان السلطان الغورى أصدر فى سنة ١٥١٦/٩٢٢ مرسوما آخر يقضى بابطال مقرر الحسبة بثغر الاسكندرية ومقداره سبعة آلاف وخمسمائة درهم شهريا (٦٣٨) .

ومرت الحسبة فى بلاد الشام والنيابات التابعة لها بنفس الدور الذى مرت به حسبة الديار المصرية ، فقد سعى فيها الساعون بالرشا والبراطيل ، كما التزم المحتسب بأن يدفع مقررا شهريا طوال مدة ولايته أسوة بمحتسبى الديار المصرية .

ومع ذلك فقد ضنت علينا المصادر المعاصرة بمعلوماتها عن أخبار البذل على هذه الوظيفة اذ لم نعثر فيها الا على حالتين فقط أقدمهما ترجع الى سنة ١٣١٤/٧١٤ وتتحدث عن ولاية القاضى بدر الدين بن الحداد لهذه الوظيفة فى شهر ذى القعدة عوضا عن فخر الدين سليمان البصراوى وعن سفره سريعا الى البرية ليشترى خيلا للسلطان ، يقدمها رشوة له

على المنصب المذكور (٦٣٩) • والأخرى تتعلق بولاية تاج الدين محمد الحسباني لحسبه دمشق في شهر ذي الحجة سنة ١٤١٠/٨١٢ ، بعد أن كتب خطه للأمير شيخ بألف دينار (٦٤٠) •

هذا عدا بضعة مراسيم تتعلق بابطال المشاهرة أو حق الشهر ، الذي كان يجبى لصالح المحتسب من بعض التجار ، وأصحاب الحرف والصنائع كالخبازين ، والطحانين ، وأرباب المعايش ، والصنائعية ، والدباغين ، والمغسلين ، والحمالين لأموات المسلمين ، وعلى سكان وقف الجوامع ، والتجار والمتسببة ، وعلى الأسواق (٦٤١) •

والحق ان ما ورد في هذه المراسيم ، وان كان لا يشمل جميع التجار وأصحاب الحرف والصنائع ، الا أنه يعطينا صورة واضحة عما آل اليه أمر هذه الوظيفة زمن سلاطين المماليك ، وكيف انها صارت قيدا كبيرا على النشاط التجاري ، والصناعي في ذلك الوقت •

ومن الوظائف الدينيه التي مستها الرشوة زمن سلاطين المماليك أشارت المصادر الى نقابة الاشرف (٦٤٢) ، فقد روى انه في شوال سنة ١٣٧٣/٧٧٤ عزل الشريف فخر الدين من هذه الوظيفة بسبب ما رمي به من أخذ الرشوة نظير ادخاله من ليس بثابت النسب في جملة الأشراف ، واستقر عوضا عنه الشريف عاصم • بيد أن هذا الأخير لم يلبث أن صرف عنها في العشرين من ذي الحجة ، وأعيد اليها فخر الدين المذكور ثانية (٦٤٣) •

كذلك أشارت المصادر المملوكية الى مشيخة الشيوخ ، التي اعتبرها القلقشندي تاسع الوظائف الدينية في الدولة لأرباب الأقلام ممن لا مجلس لهم بحضرة السلطان المملوكي ، وكان لا يليها غير فرد واحد في الديار المصرية (٦٤٤) • وكان لشيخ الشيوخ في مصر الرئاسة على جميع شيوخ الخوانق في مصر والشام وسائر الممالك الشامية ، ولو أنه وجد شيخ شيوخ في دمشق أيضا •

ومن المعروف ان هذه الوظيفة ظهرت في عهد صلاح الدين الأيوبي حين أسس الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء (٦٤٥) في سنة ١١٧٣/٥٦٩ وكان لا يولى على هذه الخانقاة الا أعاظم رجال الدولة • بيد أن الحال قد تغير زمن سلاطين المماليك بعد أن سرت الرشوة الى هذه الوظيفة شأن

غيرها من الوظائف الأخرى • ففى سنة ١٣٨٦/٧٨٨ سعى فيها شهاب الدين الأنصارى ، والتزم بتكفيتها وعمارة أوقافها ، وبذل عليها ثلاثين الف درهم ، فأجيب وخلع عليه بها (٦٤٦) •

كما روى السحار أن التقى أبا الفضل بن القطّب القلقشندى تولى مشيخة هذه الخانقاة عقب صرف الزين خالد ببذل قدره أربعمائة دينار (٦٤٧) ، فى الوقت الذى بذل عليها ابن البلقبنى سنة ١٤٦٠/٨٦٤ خمسمائة دينار ، حيث أقام فيها حتى العشر الأوسط من شوال من السنة التى تليها ثم انفصل عنها بالدوادار الثانى جانبك الظريف (٦٤٨) •

ومن الخانقاوات التى شاع البذل على مشيختها وعلى التدريس فيها ، أشارت كتابات المعاصرين الى مشيخة الشيخونية (٦٤٩) ، التى استقر فيها ناصر الدين بن العديم فى رجب سنة ١٤٠٩/٨٦٢ ، بعد أن سعى فيها بالأموال الجزيلة ، الا انه لم يعمر فيها طويلا فسرعان ما خرج الى الحج بعد أن استناب فيها الشهاب بن سفرى ، فانتهز الشرف التبانى الفرصة ووثب علبها وانتزعها منه فى شهر ذى الحجة من العام المذكور (٦٥٠) •

ونقرأ أيضا فى المصادر المعاصرة ان جلال الدين بن أبى البقاء السبكى استقر فى تدريس الشافعى بهذه الخانقاة ، عوضا عن صدر الدين المناوى بعد أن بذل لنوروز ناظرها مالا كثيرا لم تعن المصادر برصد قيمته (٦٥١) •

ولقد صاحب ظاهرة البذل على الوظائف الدينية ظاهرة أخرى هى التنازل على الوظائف مقابل مبلغ معين من المال يدفع للمتنازل ، الأمر الذى جعل سلاطين هذه الدولة يحتجون على شيوع هذه الظاهرة ويحاولون الحد منها بقدر الامكان كما حدث فى سنة ١٤٢٢/٨٢٥ عندما أمر الأشرف برسباى فى شهر رمضان بألا ينزل أحد من الفقهاء عن وظيفته فى وقف من الأوقاف ، وهدد من نزل منهم عن وظيفته • بيد ان هذا المنع لم يستمر طويلا وعاد الفقهاء الى ما كانوا عليه من التنازل عن وظائف التدريس أو التصوف فى الخوانق ، أو القراءة ، أو المباشرة بالمال حتى ولى الوظائف غير أهلها ، وحرم منها مستحقوها ، بعد أن صارت فى أيدى فئة اعتبرتها من الأموال المملوكة لها ، فصارت تتصرف فيها بالبيع تحت اسم التنازل ، بل وتورثها أيضا لصغارها • وقد سرى ذلك الى التداريس الجليلة ،

والأنظار المعتبرة ، وفى ولاية القضاء بالأعمال ، فأصبح يليه الصغير بعد موت أبيه ويستناب عنه ، كما يستناب فى تدريس الفقه والحديث النبوى وفى نظر الجوامع ومشيخة التصوف (٦٥٢) ٠ ولذا فقد عاد الأشرف برسباى الى التشديد فى شهر جمادى الأول سنة ١٤٢٤/٨٢٧ على عدم التنازل عن وظائف التصوف وغيرها مهددا من فعل ذلك بالضرب بالمقارع بسبب ما لجأت اليه جماعة من متصوفى خانقاة سعيد السعداء ، وخانقاة بيبرس ، والظاهريه المستجدة بين القصرين ، وخانقاة شيخو ، وبالجامع المؤيد ، من النزول عما باسمهم من الوظائف بمال ، حتى يسعوا به لدى أصحاب الجاه حتى يعاونهم على النزول فى خانقاة السلطان الأشرف من جملة صوفيتها كما حدث فى أيام السلطان المؤيد شيخ عندما شيد جامعه بجوار باب زويلة وجعل به جملة من الصوفية ، وذلك حرصا من برسباى على أن يستقر فى خانقاته ومن ليس له وظيفة من فقراء أهل العلم (٦٥٣)٠

ومن الوظائف الدينية التى شاع البذل عليها أيضا زمن سلاطين المماليك الجراكسة ، امامة الصلاة التى كانت تتبع السلطان مباشرة ، والتى اشترطت الوثائق المملوكية فى متوليها صفات معينة أهمها أن يكون من أهل العلم ، حافظا لكتاب الله الكريم ، مشهورا بالخير والدين ، حسن الصوت ، فصيح اللسان ، محسن التلاوة ، عالما بأحكام العبادات الشرعية (٦٥٤) فقد سجل لنا المؤرخ ابن اياس حالتين للبذل عليها ، الأولى فى المحرم سنة ١٥١٦/٩٢٢ ، استقر فيها شمس الدين السكندرى ، عوضا عن الشيخ محب الدين الشاذلى بحكم وفاته ، بعد أن سعى فيها بنحو الف ومائتين دينار (٦٥٥) ٠ والثانية فى مستهل شهر صفر من العام المذكور ، عندما خلع بها على شهاب الدين بن الرومى بعد وفاة المذكور اعلاه ، فى مقابل ألف دينار بذلها للسلطان الغورى (٦٥٦)٠

كذلك أشار المؤرخ ابن حجر الى البذل على خطابة القدس الشريف ، فقد روى فى المحرم سنة ١٣٩٩/٨٠٢ ان السائح الرملى استقر فى هذه الوظيفة ، عوضا عن ابن غانم النابلسى ببذل ثمانين ألف درهم (٦٥٧) ٠

هذا ومن المعروف أن الخطيب كان يجمع فى كثير من الأحيان بين وظيفة الخطابة وامامة الصلاة ، كما يستشف من بعض وثائق هذا العصر (٦٥٨)

ولا يسعنا ونحن بصدد انهاء هذا الفصل أن نشير الى أن مشيخة الحرافيش صارت تولى أيضا بطريق البذل ، فقد روى السخاوى فى شعبان سنة ١٤٤٦/٥٨٠ ، ان شخصا اسمه حسن استقر فيها ، بعد عزل آخر اسمه أبو بكر ببذل المال (٦٥٩) · فيا نفس جدى ان دهرك هازل (٦٦٠) ·

الفصل السادس

خاتمة

في ختام دراستنا هذه عن البذل والبرطلة يحق لنا أن نتساءل عما اذا كانت هناك أسعار محددة لكل وظيفة ، واذا كان الوضع كذلك فبماذا نفسر تفاوت المبالغ التى بذلت على الوظيفة الواحدة من شخص لآخـــر ؟

الواقع انه من الصعب أن نجزم بأن سلاطين المماليك قد وضـــعوا أسعارا محددة لكل وظيفة ، لسبب بسيط هو تنوع المبالغ التى بذلت على الوظيفة الواحدة وتفاوتها من شخص لآخر ، ولكن من الواضح ان هذا الموضوع ترك غالبا لتقدير السلطان حسب وجهة نظره فى الشخص المتقدم للحصول على وظيفة بعينها ، كذلك من المؤكد ان تحديد المبلغ المطلوب كان يخضع لسياسة العرض والطلب ، فعندما تكون السوق رائجة وعدد المتقدمين كبيرا ، كان المبلغ المبذول يبدو ضخما جزيلا ، بسبب شدة الزحام وكثرة المزايدة ، وليس بخاف أيضا ان السلطان كان يميل عادة الى كفة من يبذل أكثر ، لحاجته المستمرة الى المال ، بعد أن أصبحت هذه الظاهرة تمثل موردا أساسيا من موارد الدولة •

وعلى العكس من ذلك عندما يقل الطلب على احدى الوظائف ، كان السلاطين يضطرون الى قبول أول مرشح لها ، بل ويكتفون بما يبذله عليها حتى ولو كان مبلغا بسيطا تافها ، وفي هذا تفسير لبساطة المبالغ التى بذلت على نفس الوظائف التى سبق أن بذلت عليها الأموال الجزيلة فى وقت من الأوقات •

كذلك يجب الا يغيب عن الذهن ما لجأ اليه بعض السلاطين من فرض بعض الوظائف بالقوة فى حالة كساد اسواقها وفي حالة بوارها مع الزام أصحابها بدفع ما يطلب منهم من أموال ، وقد نجحوا في سياستهم هذه أحيانا ، وفشلوا أحيانا أخرى ، لعدم مقدرة المرشح على تدبير المبلغ المطلوب . أما عن الأسباب التى أدت الى انتشار هذه الظاهرة ، وعن الدوافع الكامنة وراء أقبال سلاطين المماليك عليها وتشجيعهم اياها ، وكذلك النتائج المرتبة عليها .

فالواقع ان المتتبع لتاريخ هذه الدولة سوف يلاحظ بوضوح مدى أهمية البعد الاقتصادى فى انتشار هذه الظاهرة ، فقد كان لموجات الغلاء والقحط والجدب ،والمجاعات ، والأوبئة التى شهدتها البلاد على مدى قرنين ونصف من الزمان أثر على تدهور الحياة الاقتصادية (٦٦١) ، وسبب فى التجاهر بأخذ الرشا والبراطيل ، كما حدث فى أيام سلطنة العادل كتبغا حين أكثر الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي من المظالم ، وجارت حاشية السلطان ومماليكه على الناس وطمعوا فى أخذ الأموال والبراطيل والحمايات (٦٦٢) .

يضاف اليها سبب آخر هو فساد نظام المماليك أنفسهم حتى غدوا مصدرا للفوضى وعدم الاستقرار فى البلاد ، خاصة بعد أن أهمل شرط صغر السن ، وصار تجار الرقيق يجلبون الى الديار المصرية المماليك الرجال منذ عهد السلطان فرج بن برقوق الذين كانوا فى بلادهم ما بين ملاح سفينة ، ووقاد فى تنور خباز ، ومحول ماء فى غيط أشجار ونحو ذلك ، كما تغاضى سلاطين المماليك الجراكسة عن ضرورة تسليم المماليك الى الفقهاء لتعليمهم وتثقيفهم بعد أن رأى السلطان فرج أن تسليمهم للفقيه يتلفهم وقرر أن يتركهم وشئونهم ،مما ساعد أيضا على تدهور دولة سلاطين المماليك ، فبدلت الأرض غير الأرض ، وصار المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا ، وأشحهم نفسا ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم اعراضا عن الدين ، ما فيهم الا من هو أزنى من قرد ، وألص من فأرة ، وأفسد من ذئب (٦٦٣) . ولذلك فلا عجب أن صار هؤلاء أداة هدم ومعول تخريب فى الدولة بسبب طلبهم المال وزيادة النفقة عليهم بدليل ما حدث فى أيام السلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٩٤/١٤٨٩ ، حتى اضطر فى النهاية الى جمع القضاة وسائر الأمراء وقال لهم ما نصه : « هذه المماليك يررمون منى نفقة ، وقد نفد جميع ما فى الخزائن من المال على التجاريد ولم يبق بها شيء من المال ، ثم أقسم بالله انه نفد منه على التجاريد

من حين ولى السلطنة حتى الآن سبعة آلاف دينار وخمسة وستون ألف دينار ، ثم قال للامراء اختاروا لكم من تسلطنوه غيرى ، ثم قام وقال للقضاة اشهدوا على أنى خلعت نفسى من السلطنة وشرع يفك أزاره ، فتعلق به القضاة ومنعوه (٦٦٤) » .

وفى هذا دليل واضح على ما تكبدته الدولة من أعباء ثقيلة استلزمت من السلاطين تدبير الأموال اللازمة لاشباع نهم المماليك المتزايد وطلبهم للمال فوجدوا فى أخذ البراطيل على الوظائف سبيلا لسد بعض متطلباتهم .

والحديث عن التجاريد العسكرية يحتم علينا الوقوف قليلا لنشير أيضا الى ما عانته الخزانة السلطانية من جراء اعداد تلك الحملات التى كانت توجه اما لقمع بعض حركات التمرد والعصيان الداخلية كما حدث على عهد السلطان فرج بن برقوق ، الذى خرج على رأس ثمانى تجريدات عسكرية الى الشام لقمع عصيان الأمراء الخارجين عليه ، تكلف كل منها زيادة على مليون دينار (٦٦٥) ، أو لصد بعض الأطماع الخارجية فى وقت اشتد فيه طمع الجند وزادت شراهتهم للمال وصاروا لا يتحركون ولا يخرجون فى تجريدة من التجريدات الا بعد أن يتقاضوا الثمن أضعافا مضاعفة ، وفى هذا سبب آخر لاقبال سلاطين المماليك على أخذ الرشوة على الوظائف بدليل ما جاء فى تاريخ ابن اياس من أن السلطان الأشرف قايتباى عندما أخرج تجريدة ضد شاه سوار فى سنة ١٤٦٨/٨٧٢ أنفق على كل مملوك جامكية أربعة شهور معجلا ، وصرف لهم الكسوة ، وأعطى لكل واحد جملا ، ارضى العسكر بكل ما يمكن (٦٦٦) ، على حين بلغت النفقة على الأمراء والجند الذين خرجوا فى سنة ١٤٨٣/٨٨٨ فى حملة ضد على بن دولات بن دلغادر ، زيادة على السبعين ألف دينار (٦٦٧) .

وفى سنة ١٤٨٨/٨٩٣ خرجت حملة أخرى ضد العثمانيين بلغت جملة النفقة على الأمراء والجند نحوا من ألف ألف دينار حتى عد ذلك من النوادر (٦٦٨) .

والحق ان هذه الحروب الدفاعية التى قامت بها الدولة المملوكية جاءت لتلقى أعباء جديدة على خزانة الدولة وبالتالى لتزيد من اقبال السلاطين على تناول البراطيل على الوظائف والولايات فى محاولة منهم لملء خزائن الدولة الفارغة ، خاصة بعد أن كسدت تجارتهم بسبب اغلاق معظم المعابر التجارية الداخلية بين الشرق والغرب نتيجة لظهور التتار على مسرح

الشرق الاوسط من ناحية ، وبسبب اكتشاف طريق رأس الرجـاء الصالح فى سنة ٩٠٤/١٤٩٨ ووصول البرتغاليين الى الهند عن طريق الالتفاف حول افريقية ، كان من ناحية أخرى سببا فى حرمان سلاطين المماليك من مورد هام من مواردهم المالية مما أنزل ضربة قاصمة بوضعهم الاقتصادى (٦٦٩) ، وجعلهم فى الوقت نفسه يبحثون عن مورد آخـر يعوضهم عما افتقدوه من أموال ، حتى وجدوا ضالتهم المنشودة فى تلك السوق الرائجة التى أقاموها للبذل على الوظائف بشتى أنواعها .

أما عن الأسباب الاجتماعية لهذه الظاهرة فتبدو بوضوح من خلال حاجة سلاطين المماليك الى الأموال نتيجة لحياة الترف والدعة التى أقبلوا عليها طوال سنوات حكمهم . وحسبنا أن نلقى نظرة سريعة على المبالغ الباهظة التى اعتادت طبقة المماليك أن تدفعها فى صورة صداق لنساء هذا العصر (٦٧٠) ، والتى حرص كتاب هذه الفترة على اثباتها فى مؤلفاتهم لكى نتعرف على مدى حاجة هؤلاء الى الأموال بصفة دائمة ، فقد روى المؤرخ المملوكى ابن تغرى بردى أن السلطان جقمق عقد قرانه على نفيسة ابنة الأمير ناصر الدين دلغادر بعد أن حمل اليها المهر ألف ألف دينار وعدة أشياء كثيرة من الشـقق الحرير وغيرها (٦٧١) ، كما ذكر المقريزى أن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة عقد قران السلطان الناصر محمد ابن قلاوون على خوند طولوبية على ثلاثين ألف دينار ، الحال منها عشرون ألفا ، والمؤخر عشرة آلاف (٦٧٢) وجاء أيضا فى تاريخ ابن اياس ان ناصر الدين محمد بن السلطان الأشرف قانصوه تزوج بابنة الأمير سيباى نائب الشام على صداق جملته نحو عشرين ألف دينار (٦٧٣) .

كذلك لم تضن علينا المصادر المعاصرة بذكر قيمة تكاليف اعداد الشـوار التى كانت تبلغ فى كثير من الأحيـان بضعة آلاف من الدنانير (٦٧٤) فقد روى أحد المؤرخين ان السلطان الناصر محمد بن قلاوون جهز احدى عشرة ابنة بالجهاز العظيم ، فكانت أقلهن جهـازا بثمانمائة ألف دينار (٦٧٥) ، كما أشارت المصادر الى أن جهاز خوند فاطمة ابنة الأمير منجك بلغ تكاليف اعـداده ثمانمائة الف مثقـال ذهبا (٦٧٦) ، على حين بلغت تكاليف شوار ابنة الأمير سلار مائة وستين ألف دينار (٦٧٧) .

وتفيض كتابات المعاصرين أيضا بأخبار أفراح المماليك وحفلاتهم ، وما تنطق به هذه الاحتفالات من ثروة واسراف ومن ذلك ما يرويه المقريزى

عن فرح احدى بنات الناصر محمد بن قلاوون ، وكيف ان السلطان « عمل المهم مدة ثلاثة ايام حضرته نساء الأمراء بتقادمهم وهي ما بين أربعمائة دينار سوى تعابى القماش ، الى مائتى دينار » ، وكان فيه ثمانى جوق من مغانى القاهرة ، وعشرون جوقة من مغانى السلطان والأمراء ، خص كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسين تفصيلة حرير ، فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها ، وعم جميع الأمراء بالخلع ، وفضل من الشمع بعد ما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار (٦٧٨)

ويحكى المؤرخ ابن اياس ان السلطان الأشرف قايتباى أقام فى سنة ١٤٩٠/٨٩٥ حفل ختان لابنه محمد استمر بالقلعة سبعة أيام متوالية ، « اجتمع فيه سائر مغاني البلد ورسم السلطان بأن تزين القاهرة ، فزينت زينة حافلة ، حتى زينوا داخل الأسواق ... فكانت تلك الأيام مشهورة لم يسمع بمثلها ، ودخل على السلطان من التقادم ما لا ينحصر من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار ، وغير ذلك مما يزيد على خمسين ألف دينار فكان من جملة ما أهداه المقر الشهابى أحمد بن العينى طست وابريق ذهب زنته نحو ستمائة مثقال برسم الختان (٦٧٩) » ، رغم أن هذا السلطان كان قد سبق له أن أشهر افلاسه فى العام السابق .

ويبدو أن تلك الهدايا اعتبرت ضريبة أو دينا لابد من دفعه ، حتى تضايق بعض آمراء المماليك بسبب كثرة الأفراح وقالوا عنها ، كما جاء على لسان كتاب هذا العصر ، « هذه مصادرة (٦٨٠) » .

وهناك سبب آخر لاقبال سلاطين المماليك على أخذ الرشـــــوة على الوظائف والولايات هو حاجتهم الى المال لشراء المماليك (٦٨١) ، بدليل ما جاء فى كتابات بعض المعاصرين عن السلطان المنصور قلاوون الذى بذل الأموال الضخمة فى شرائهم حتى بلغ عددهم اثنى عشر ألفا وهو عدد لم يجمعه احد من سلاطين المماليك قبله (٦٨٢) . كذلك بلغت المبالغ التى أنفقها ابنه الناصر محمد بن قلاوون على شراء المماليك فى الفترة الواقعة بين سنتى ٧٣٢ ــ ١٣٣٢/٧٣٧ ــ ١٣٣٦ أربعة آلاف دينار ، وسبعمائة ألف دينار (٦٨٣) .

ونسمع كذلك عن الأشرف قايتباى ، الذى كان مغرما أيضا باقتناء المماليك ، حتى قيل انه لولا الطواعين التى وقعت فى أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف مملوك (٦٨٤) . أما السلطان الغورى فقـــد تكاملت

خاصكيته سنة ٩٢٢/١٥١٦ نحو ألف ومائتي خاصكي من مشترواته(٦٨٥) وذلك على الرغم من الأزمة الاقتصادية الحادة التى كانت تعانى منها البلاد فى أوائل سلطنته مما اضطره الى الزام الناس بدفع الضرائب مقدما لعدة سنوات ، بل وانقاص وزن العملة أيضا كما سبق أن نوهنا من قبل (٦٨٦) .

لذلك لا عجب أن اعتمد سلاطين المماليك على البراطيل التى كانوا يأخذونها على الوظائف كأحد الموارد الأساسية لخزينة الدولة بدليل ما جاء فى أحداث سنة ٨٢٤/١٤٢١ من استقرار المؤيد شيخ بالأمير يشبك الأستادار كاشفا للكشاف وتفويضه اياه بعزل الولاة بالأعمال وولايتهم عونا له على كلف الديوان بما يأخذه منهم من البراطيل (٦٨٧) .

والى جانب هذه الأسباب التى لعبت دورا هاما فى ذيوع البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك يمكننا أن نضيف أسبابا أخرى تتميز بطابعها الاجتماعى ، منها سعى بعض الفئات للوصول الى الوظائف الهامة بالدولة رغبة منهم فى تحسين اوضاعهم الاجتماعية ومن ذلك ما يرويه أحد المؤرخين عن خير بك النوروزى من انه استقر فى سنة ٨٥٥/١٤٥١ أتابكا لصفد عن طريق انبذل ، لكونه من أطراف الناس ولم تسبق له رئاسة بالديار المصرية (٦٨٨) ، كما ذكر أيضا ان بلاط دودار الحاج اينال استقر فى نيابتها دفعة واحدة من غير تدرج بنفس الأسلوب(٦٨٩).

وذكر الصيرفى أيضا أن سيف الدين الماس ولى نيابة قلعة حلب بالبذل ، وانه لولا ولايته هذه ما كان قد أرخ له سيما وان أستاذه كان « دون القليلون ، فما بالك به » ، كما وصفه بأنه « كان لايصلح للسيف ولا للضيف (٦٩٠) » .

كذلك وجد بعض الناس فى البذل وسيلة لسرعة الترقى والتدرج فى الوظائف ، فأقبلوا على السلاطين وكبار رجال الدولة حاملين الأموال الجزيلة ، مما أدى الى انتشار هذه الظاهرة واضطرادها فى هذه الفترة مثل تنم من عبد الرزاق ، الذى صار بالبذل أحد المقدمين (٦٩١) ، وسودون القصروى ، الذى أصبح عن طريقه أمير مائة مقدم ألف (٦٩٢) ، كذلك كل من مملوك ابن سعيد ، وجمال الدين الحاجب اللذين رقيا الى امرة طبلخاناة بنفس الأسلوب (٦٩٣) . بل وصل الأمر على حد زعم المؤرخ ابن تغرى بردى انه « صار لا يترقى فى الدول الا من يبذل المال ولو كان من أوباش السوقة لشره الملوك فى جمع الأموال (٦٩٤) » .

هذا ويجب ألا يغيب عن الذهن أن الرغبة في قضاء المصالح والحوائج كانت من أكبر العوامل التي ساعدت على ذيوع هذه الظاهرة في مجتمع سلاطين المماليك ، بدليل ما روته المصادر عن طشتمر المعروف بحمص أخضر ، نائب السلطنة ، من أن ارباب الدولة ، وأصحاب الأشغال صاروا كلهم في بابه ، وتقربوا اليه بالهدايا والتحف ، رغبـــة في قضـــاء مصالحهم (٦٩٥) .

وهكذا يبدو لنـــا ان ازدياد هــــذه الظاهرة زمن المماليك لم يكن نتيجة عامل واحد أو سبب بعينه ، وانما جاء في الواقع نتيجة لاســـباب وعوامل متعددة تضافرت جميعها حتى أخذت الرشـــوة هذه الصـــورة الصارخة التي ترتبت عليها عدة نتائج خطيرة على المجتمع المملوكي ، أجمل لنا المقريزي بعضا منها أثناء حديثه عن انتشـــار هذه الظاهرة بقوله : « واصل هذا الفساد ، ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة . كالوزارة والقضاء ، ونيابة الأقاليم ، وولاية الحسبة ، وسائر الأعمـــال ، بحيث لا يمكن التوصل الى شيء منها الا بالمال الجزيل . فتخطى لأجل ذلك كل جاهل ومفسد وظالم وباغ إلى ما لم يكن يؤمله من الأعمال الجليلة والولايات العظيمة ، لتوصله بأحد حواشي السلطان ، ووعده بمـــال للسلطان على ما يريده من الأعمال ، فلم يكن بأسرع من تقلده ذلك العمل وتسليمه اياه وليس معه مما وعد به شيء قل ولاجل ، ولا يجد سبيلا الى أداء ما وعد به الا باستدانته بنحو النصف مما وعد به ، مع ما يحتاج اليه من شارة وزي وخيول وخدم وغيره ، فتضاعف من أجل ذلك عليه الديون ، ويلازمه أربابها . لا جرم أنه يغمض عينيه ولا يبالي بما أخذ من أنواع المال ، ولا عليه بما يتلفه في مقابلة ذلك من الانفس ، ولا بما يريقه من الدماء ، ولا بما يسترقه من الحرائر ، ويحتاج الى أن يقرر على حواشيه وأعوانه ضرائب ، ويتعجل منهم أموالا ، فيمدون هم أيضا أيديهم الى أموال الرعايا . ويشرئبون لأخذها بحيث لا يعفون ولا يكفون . ثم ينساق البائس في جمع الأموال التي استدانها اذا أتته استدعاءات من الأمراء وحواشي السلطان ، أو نزل به أحد منهم ان كان المتولي متقلدا عملا من أعمال الريف ، فيحتاج له الى ضيافات سنية وتقادم جليلة من الخيول والرقيق وغير ذلك بحسب الحال، ولا يشعر مع ذلك الا وغيره قد تقلد ذلك العمل بمال التزم به ، وقد بقيت عليه جملة من الديون ، فيحاط على ما يوجد له من أثاث وحيوان وغيره ، ويشخص في أنحس حال ، وقد أحيط كما ذكرنا بماله ، ويعاقب العقوبات المؤلمة ، فلا يجد بدا من الالتزام بمال آخر ليقلد العمل الأول أو غيره من الأعمال (٦٩٦) » .

كما أشار المقريزى الى نتائج هذه الظاهرة على أهل الريف فقال « فلما دهى أهل الريف بكثرة المغارم وتنوع المظالم اختلت أحوالهم ، وتمزقوا كل ممزق ، وجلوا عن أوطانهم فقلت مجابى البلاد ومتحصلها ، لقلة ما يزرع بها ، ولخلو أهلها ورحيلهم عنها لشدة الوطأة من الولاة عليهم وعلى من بقى منهم ... فاقتضى الحال من أجل ذلك ثورة أهل الريف وانتشار الزعار وقطاع الطريق ، فخيفت السبل ، وتعذر الوصول الى البلاد الا بركوب الخطر العظيم . وتزايدت غباوة أهل الدولة ، وأعرضوا عن مصالح العباد ، وانهمكوا فى اللذات لتحق عليهم كلمة العذاب . واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا (٦٩٧) » .

وعلى هذا فقد بات واضحا أن البذل والبرطلة قد أفضيا فى النهاية الى توصل أوباش الناس الى الرتب العليا والمراتب السنية ، بل والى استقرار العوام وآحاد الباعة فى سلك الجندية ، وأيضا الى وقوع الساعين على الوظائف والمتنافسين عليها تحت وطأة الدين وكاهله ، مما اضطرهم فى النهاية الى الهرب ، خوفا من مطالبة الدائنين لهم (٦٩٨) .

كما أنصرفوا عن مباشرة مهام وظائفهم وأعبائهم الى جمع المال من كل صوب وحدب ، اما لتعويض ما سبق أن بذلوه للحكام على هذه الوظائف ، واما لجمع أكبر قدر ممكن منه (٦٩٩) ، بعد أن أيقنوا أن فترة ولايتهم لن تطول الا بتجديد البذل والبرطلة ، مما جعلهم يعملون على ارضاء السلاطين وكبار رجال الدولة بشتى الطرق ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى فساد هذه الوظائف ونهيارها (٧٠٠) ، خاصة بعد أن وليها ممن ليس أهلا لها .

كذلك أمتدت آثار البذل والبرطلة الى الريف ، فخربت معظم الأراضى الزراعية لهروب أغلب الفلاحين وزراع الأراضى نتيجة لما تعرضوا له من شتى أنواع المغارم والمظالم على أيدى أتباع هؤلاء الموظفين الذين كلفوا بجمع المال بشتى الطرق والوسائل .

حتى الأمن الداخلى بات أيضا مهددا بعد أن تهاون ولاة الامور فى تتبع أصحاب الجرائم ، فانتشر الزعار وقطاع الطرق وامتدت أيديهم الى سلب ما فى أيدى الناس من البضائع والأموال ، كل ذلك والولاة غافلون عنهم بجمع المال وانفاقه فى الشهوات واللذات التى حرمها الشرع .

وترتب على البذل أيضا ظاهرة جديدة هى الجمع بين عدة وظائف فى آن واحد (٧٠١) ، وايضا الى الاستنابة فيها (٧٠٢) ، بل وأحيانا الى التنازل عنها نظير مبلغ من المال (٧٠٣) مما أفضى ليس فقط الى فساد هذه الوظائف وتدهورها ، بل الى تدهور النظام المملوكى برمته ، بعد أن سرى الفساد فى جميع أركان الدولة ، حتى سقطت فى النهاية فريسة سهلة أمام جحافل الغزو العثمانى سنة ١٥١٧/٩٢٣ ، لينتهى بذلك عصر سلاطين المماليك أو بمعنى آخر عصر البذل والبرطلة ·

الحواشى

(١) ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، طبعة بيروت ، جـ ١ ، ص ١٨١ ، محيط المحيط ، جـ ١ ، ص ٧٦ ٠

(٢) الزبيدى ، تاج العروس وشرح القاموس ، بنى غازى ، جـ ١٠ ، ص ١٥٠ ٠

(٣) محيط المحيط ، جـ ١ ، ص ٨٣ ، الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٧٥ ، ابن تيمية ، مجموع فتاوى ، حـ ٢٨ ، ص ٢١٦ ٠

(٤) المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق ١٢٧٠ هـ ، جـ ١ ، ص ١١ ٠

(٥) عثر على لوحة حجرية فى معبد الكرنك عام ١٨٨٢ ، تضمنت بعض القوانين التى أصـــدرها الملك حور محب (١٣٣٤ ـ١٣٠٤ ق ٠ م) ومنهـــا عقوبة الاعـــدام للموظف أو الكاهن الذى يقبل الرشـــوة أثناء تاديته لمهام وظيفته ، وكذا للجنود الذين عمدوا الى اســـتغلال نفوذهم دون وجه حق للاثراء على حساب الآخرين ٠

وهناك أيضا مرسوم آخر أصدره سيتى الأول (١٣٠٣ ـ ١٢٩٠ ق٠م) جـاء فيـه بقطع الف وأذنى الموظف الذى يخل بواجبات وظيفته من أجل مصالحه الشخصية ، انظر مصر الخالدة ، ص ٦٥٩ ، ٧٠٤ ٠

(٦) شادية على قناوى ، ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى ، رسالة ماجستير لم تطبع قدمت لكلية الآداب ـ جامعة عين شمس عام ١٩٧٦ ٠

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٣٢٢ ٠

(٨) ابن قتيبة ، المعارف ، جوتنجن ١٨٥٠ ، ص ٢٧٦ ، ابن الاثير ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٥ هـ ، جـ ٤ ، ص ٤٠٧ ، السيوطى ، الوسائل الى مسامرة الأوائل ، تحقيق سعد أطلس ، بغداد ١٩٥٠ ، ص ١٥٢ ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، القاهرة ١٩٦٠ ، جـ ٢ ، ص ٢٧ ٠

(٩) الكندى ، الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق جوست ، ليدن ١٩١٢ ، ص ٥٩ ،

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ ، ج ١ ، ص ٢١١ •

(١٠) الكندى ، الولاة ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ •

(١١) جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، القاهرة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ج ١ ، ص ٣٨٤ •

(١٢) الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ط من المقدمة •

(١٣) ابن طباطبا ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، بيروت ١٩٦٠ ص ٣١٣ •

(١٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٦٣ ، ابن طباطبا ، الفخرى ص ٣١٣ ـ ٣١٤ •

(١٥) عريب ، صلة تاريخ الطبرى ، ليدن ١٨٩٧ ، ص ٣٩ •

(١٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٢٨ ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى الاول أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ، القاهرة ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٢٠٢ •

(١٧) الكندى ، الولاة ، ص ١٢٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٢ ، ص ٥٤ عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى ، ج ١ ، ص ٢٥١ •

(١٨) الكندى ، الولاة ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ، متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، بيروت ١٩٦٧ ، ج ١ ، ص ٤٣٠ •

(١٩) الكندى ، الولاة ، ص ٤١٤ ـ ٤١٥ •

(٢٠) الكندى ، الولاة ، ص ٤٢٨ ، متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٤١٣ ـ ٤١٤ •

(٢١) الكندى ، الولاة ، ص ٥٤٥ •

(٢٢) الكندى ، الولاة ، ص ٥٦٢ •

(٢٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، الكندى ، الولاة ص ١٩٣ •

(٢٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ •

(٢٥) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ، ج ٩ ، ص ٣٠٥ •

(٢٦) عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى ج ١ ، ص ١١٦ •

(٢٧) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ج ١٠ ، ص ٣٦ •

(٢٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٨٢ ـ ١٨٤ ، متز ، الحضـــارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص ١٦٢ .

(٢٩) الكندى ، الولاة ، ص ٥٦٩ .

(٣٠) الكندى ، الولاة ، ص ٥٧٨ ، ٥٨٣ .

(٣١) الكندى ، الولاة ، ص ٥٧٠ ، ٥٨٣ .

(٣٢) الكندى ، الولاة ، ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ .

(٣٣) الكندى ، الولاة ، ص ٥٧٩ ، متز ، الحضارة الاســلامية ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

(٣٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٥ ، ص ٣١١ .

(٣٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١١١ .

(٣٦) محمد حمدى المناوى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٩٣ ، ١٥٢ .

(٣٧) محمد حمدى المناوى ، الوزارة ، ص ٨٧ .

(٣٨) محمد حمدى المناوى ، الوزارة ، ص ٨٦ .

(٣٩) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٥ ، ص ٨٥ .

(٤٠) محمد حمدى المناوى ، الوزارة ، ص ٩٠ .

(٤١) محمد حمدى المناوى ، الوزارة ، ص ١٧٠ .

(٤٢) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٤ ، ص ١١٦ ، محمد حمدى المنـــاوى ، الوزارة ، ص ٨٦ .

(٤٣) النابلسى ، كتاب لمع القوانين المضيئة فى دواوين الديار المصرية ، تحقيق كلود كاهن ، دمشق ١٩٦١ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ، حسنين ربيع ، النظم الماليـــة فى مصر زمن الايوبين ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٩٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ .

(٤٤) عبد الرحمن الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١١٥ .

(٤٥) المقريزى ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٧٢ ، جـ ١ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، لمزيد من التفاصيل أنظر Butcher, The Story of the Church of Egypt, London, 1897, II, pp. 140-11.

(٤٦) ابن واصل ، مفروج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمـــال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٤٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

(٤٨) شذ ابن تغرى بردى عن بقية المؤرخين فى سرده لهذه الواقعة اذ ذكر أن المبلغ المبذول كان للحصول على قضاء المحلة بدلا من قضاء الاسكندرية ، كما أشار أن

الوسيط كان الملك العادل عم العزيز ، واضاف كذلك الى أن البيسانى قد بذل لكل من أبى بكر الحاجب ألف دينار ومثلها للامير جهاركس ، أنظر النجوم ، حـ ٦ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٤٩) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٨٤ ـ ٨٦ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٥٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٦ ، ص ١٢٩ .

(٥١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١١١ .

(٥٢) أحمد بن حنبل ، المسند ، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ، جـ ١٠ ، ص ٥٥ ، جـ ١١ ، ص ٥٣ ، ٧٥ ، أبى داود ، صحيح سنن المصطفى ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، جـ ٢ ص ١١٤ .

(٥٣) صحيح مسلم ، جـ ١١ ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٢ ، أبى داود ، صحيح سنن المصطفى ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .

(٥٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١١١ ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٨ ـ ٩ .

(٥٥) أبى شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية فى التاريخ ، القاهرة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٢ .

(٥٦) أبى شامة ، تراجم رجال القرنين ، ص ٢٣٤ ، ابن العماد ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩١٢ ـ ١٩٣٣ ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ .

(٥٧) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، فيسبادن ١٩٦٩ ، جـ ٧ ، ص ١٢٥ .

(٥٨) المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٣٧ ، ٧٠ .

(٥٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٩١ ـ ٤٤٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم حـ ٩ ، ص ١٧٥ .

(٦٠) ذكر الشوكانى أنه التزم بحمل ثلثمائة ألف دينار ، أنظر البدر الطالع بمحاسن من بعد ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

(٦١) ابن حجر ، الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٦٢) ابن كثير ، البداية والنهاية فى التاريخ ، القاهرة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ، جـ ١٤ ص ٦٦ .

(٦٣) ابن حجر ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ١٨٨ .

(٦٤) الصفدى ، الوافى بالوفيات ٦ جـ ٣ ، ٢٤٢ ، ابن حجر ، الدرر ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٢ ، الشوكانى ، البدر الطالع ، جـ ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٦٥) ابن حجر ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ ــ ٢٤٠ ٠

(٦٦) ابن حجر ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ٠

(٦٧) ابن بطوطة ، الرحلة ، باريس ١٩٦٨ ، جـ ١ ، ص ٤٩ ــ ٥٠ ، المقريزى ، الخطط ، طبعة فيت ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ حاشية (٢) ٠

(٦٨) أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، القاهرة ١٩٠٧ ــ ١٩٠٨ ، جـ ٤ ، ص ١٤١ ٠

(٦٩) ابن حجر ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨ ٠

(٧٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ ٠

(٧١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٩١ ٠

(٧٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ٧١ ٠

(٧٣) كلمة فارسية أصلها : بدخش وبدخشان والأخيرة أكثر استعمالا وهى لاقليم بين الهند وخراسان يستخرج من جباله الياقوت الأحمر النفيس ذو اللون الجميل وقد سمى باسم الاقليم المستخرج منه ٠

(٧٤) ابن حجر ، الدرر جـ ٥ ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ص ١٨٣ ٠

(٧٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦١٨ ٠

(٧٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٦٣ ٠

(٧٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٢٧ ٠

(٧٨) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١١ ، ص ٢٩٢ ، حامد زيان ، الازمات الاقتصادية ، ص ١٧ ٠

(٧٩) الصفدى الوافى بالوفيات ، جـ ٦ ، ص ٤٠٦ ، جـ ٩ ، ص ٢٩٤ ،

ابن حجر ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤١٧ ــ ٤١٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ص ١٤٠ ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٥ ، ص ٤٠ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ص ٦٩٦ ، أبو الفداء ، المختصر ، جـ ٤ ، ص ١٥٠ ٠

(٨٠) ابن حجر ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ ، المقريزى ، السلوك جـ ٢ ، ص ٨١٩ ٠

(٨١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٧٥٣ ، ٧٦٩ ٠

(٨٢) أبو الفداء ، المختصر ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ ٠

(٨٣) ابن حجر ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ٠

(٨٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ، ابن حجر ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ٣٦ ٠

(٨٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٧٥ ٠

(٨٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٦١٨ • انظر أيضا الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، القاهرة ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ، جـ ١ ، ص ٢١٣ ، السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٢٥ ــ ١٣٥٥ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٢ ، الشوكانى ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ١٦٤ ، حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ١٩٦٦ ــ ص ٧٧ •

(٨٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٢ ، ص ١٠٤ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩٣٧ •

(٨٨) المقريزى السلوك ، جـ ٣ ، ص ٨٠٤ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، القاهرة ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ ، جـ١ ، ص ٤٧٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٢ ، ص ٥٠ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ ، ابن عربشاه ، عجائب المقدور فى أخبار تيمور ، القاهرة ١٣٠٥ هـ ، ص ٦٥ ــ ٦٦ •

(٨٩) ابن تغرى بردى ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٥ ، ص ٥٦٤ ــ ٥٦٥ •

(٩٠) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ •

(٩١) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٣٥٦ •

(٩٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠ •

(٩٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٨٨ ــ ٣٩٤ •

(٩٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٧٤ •

(٩٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٨٤ •

(٩٦) قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٧٥٠ •

(٩٧) العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط باسطنبول تحت رقم ٢٣٩١ ــ ٢٣٩٤ ، ورقة ١٨١ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٥١ ،
Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 116.

(٩٨) سبق أن أرسل السلطان فى استدعائه الى القاهرة عام ١٤٢٨/٨٣١ وفرض عليه عشرة آلاف دينار ، لم يدفع منها سوى ألفى دينار من أجل الحفاظ على وظيفته التى كان يشغلها وهى قاضى قضاة دمشق ، أنظر المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٦٧ ــ ٧٦٨ •

(٩٩) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٧٦ ، المقريزى ، السلوك جـ ٤ ، ص ٨٧٠ ــ ٨٧١

Wiet, Les Secrétaires de la Chancellerie en Egypte sous les Mamlouks circassiens, Extrait des Mélanges René Basset, Paris, 1923, No, XXI; Aḥmad Ḍarrag, Barsbây, p. 126.

(١٠٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٧١ ٠

(١٠١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٦٦

Hautecoeur et Wiet, Mosquées, I, p. 83.

(١٠٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٣٦ ـ ١٠٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٧٦٣

Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 114.

(١٠٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٩٩ ٠

(١٠٤) السخاوى ، الذيل على رفع الاصر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ، التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، بولاق ١٨٩٦ ، ص ١٤٥ ٠

(١٠٥) المقصود به زعيم العرب وشيخهم ٠

(١٠٦) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٧٥ ، السخاوى ، التبر المسبوك ص ١٤٤ ، الذيل ، ص ٢٥٣ ٠

(١٠٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٨٧ ٠

(١٠٨) نعيم زكى فهمى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢١ ٠

(١٠٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ٠

(١١٠) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، بولاق ١٨٩٣ ـ ١٨٩٥ جـ ٢ ، ص ١٨٩ ٠

(١١١) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٢٢٩ ، نزهة الانسان فى ذكر تاريخ السلوك والاعيان ، مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس ـ تحت رقم ٨٦٩ ، ورقة ٧٤ أ ٠

(١١٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٢ ، ص ٥٤ ، أحمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٥١ ٠

(١١٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٩٢ ٠

(١١٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ٠

(١١٥) Ziada, Foreign Relations of Egypt in the 15th Century, p. 30.

(١١٦) السخاوى ، الذيل ، ص ٤٥٥ ٠

(١١٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٢٧٥ ٠

(١١٨) الصيرفى ، أنباء الهصر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، تحقيق حسن حبشى ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ٧٣٩ ٠

(١١٩) Lane, Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London 1936, pp. 341-342; Ziada, Foreign Relations, p. 35.

نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة ، ص ٢٥

(١٢٠) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢١٩ ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ .

(١٢١) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٢ .

(١٢٢) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ٢٣٦ ، ٣٨٣ .

(١٢٣) المقصود به يشبك الجمالى الجركسى الذى ولى حسبة القاهرة فى ربيع الاخر سنة ٨٧٣ / ١٤٦٨ ، وبقى بها الى أن عزل فى شهر ذى القعـــدة سنة ١٤٨٠/٨٨٤ ، انظر ،

Ahmad 'Abd ar-Raziq, La Hisba; AI, XIII, p. 73, No. 162.

(١٢٤) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ٤٣٠ .

(١٢٥) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٧ .

(١٢٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٤٤٨ .

(١٢٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٥٩ ، طبعة بولاق .

(١٢٨) ابن اياس ، بدائع الزهـــــور ، ج ٤ ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ١٨٣ ، ١٨٩ و ١٩٠ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٩٠ و ٣٠٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦٩ ، ٤٧٧ .

(١٢٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .

(١٣٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٢٦ — ٢٧ .

(١٣١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ١٤١ .

(١٣٢) ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ١١٧ .

(١٣٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٥ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ — ١٤٧ ، ابن زنبل ، آخرة المماليك أو وقعة السلطان ســليم خان فى فتوح مصر مع الســلطان الغورى وطومان باى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام ٤٤ م ، ١٢٤ م ، ١٢٩ ، ورقة ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(١٣٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٠٩ — ٣١١ ، زيادة ، نهـاية دولة سلاطين المماليك ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

Lane, Poole, Turkey, London, 1922, pp. 158, 159, 160, 161.

(١٣٥) Tyan, Histoire de l'Organisation Judiciaire en Pays d'Islam, Paris, 1938-1943, II, p. 447.

(١٣٦) عن هذه الوظيفة أنظر القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشــاء ، القاهرة ١٩١٤ — ١٩٢٨ ، ج ٤ ، ص ١٦ — ١٨ ، ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، باريس ١٨٩٤ ، ص ١١٢ ، العمرى ، التعريف بالمصـطلح الشريف ، ص ٦٥ — ٦٦ ، ٩٢ — ٩٣ ، الخالدى ، ديوان الانشاء ، مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ٤٤٣٩ ، ورقة ١٢٤ ، ١٢٥ أ ، ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ١٨٦٧ ، ص ١٩١ ، السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٨٨١ — ١٨٨٢ ج ٢ ، ٨٤ ، حسن الباشا ، الفنـــون والوظائف على الآثار العربية ، القـــاهرة ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، ص ١٢٣٠ — ١٢٣٤ ،

Ayalon, Studies on the Structure of the Mamlûks Amry BSOAS, (1954), pp. 57-58; Encyclopédie de l'Islam, III, p. 895, art. Na'ib.

(١٣٧) عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٦٤ ، جـ ١ ، ص ٤٣ ٠

(١٣٨) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٣٣٢٥ ، ورقة ١٨٧ أ ، ابن أبى الفضائل ، كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ١٩١١ ، ج ٢ ، ص ٤١٨ ـ ٤٢١ ٠

(١٣٩) أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٤ ، ص ٣٤ ، حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٩ ٠

(١٤٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ١٧ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٨٤ ، ١٢٧ ٠

(١٤١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ص ٦٠٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٦٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٤٩٧ ٠ الذى أشار الى تناوله للرشوة ٠

(١٤٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٨١٨ ـ ٨١٩ ٠

(١٤٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٦ ، ص ١٥٣ ٠

(١٤٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ٠

(١٤٥) المقريزى ، السلوك جـ ٣ ، ص ٢٩٢ ٠

(١٤٦) العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط باسطنبول تحت رقم ٢٣٩١ ـ ٢٣٩٤ ، ورقة ١٣ ب ،
Ahmad Darrag, Barsbay, p. 129.

(١٤٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٤٢ ٠

(١٤٨) المقريزى ، لسلوك ، حـ ٤ ، ص ٩١٧ ، ابن حجر ،انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥١٣ ، زيادة المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢٤ ،
Ahmad Darrag, Barsbay, p. 130.

(١٤٩) القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٦ ٠

(١٥٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٤٥٩ ٠

(١٥١) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٥٦ ، الشوكانى ، البدر الطالع ، جـ ١ ص ١٧٠ ، ١٧٢ ٠

(١٥٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ص ٣٤٤ ٠

(١٥٣) الشوكانى ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ١٧٢ ٠

(١٥٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة جـ ٢ ، ص ٦١ ٠

(١٥٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ، حيث ذكر منها مائتان وخمسون فرسا ٠

(١٥٦) ابن صصرى ، الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية ، كاليفورنيا ١٩٦٣ ، نشر وليم برنير ، ص ١٨٨ .

(١٥٧) ابن صصرى ، الدرة المضيئة ، ص ١٨٩ .

(١٥٨) ابن صصرى ، الدرة المضيئة ، ص ١٩٠ ، فى الوقت الذى أشار فيه المقريزى الى توليه فى المحرم من سنة ١٣٨٢/٧٨٤ ، أنظر السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ .

(١٥٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ص ٤٤٧ .

(١٦٠) أشار المقريزى الى أن عددها كان ثلاثة عشر نفط ، أنظر السلوك ، ج ٣ ، ص ٥١٣ .

(١٦١) الجل بالضم والفتح هو ما تلبسه الدابة لتصان به ، أنظر القاموس المحيط .

(١٦٢) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٥١٣ — ٥١٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١١ ، ص ٢٢٨ ، الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان ، ج ١ ، ٩٣ .

(١٦٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، ج ٥ ، ص ٥٦٩ .

(١٦٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ص ٧٣٧ .

(١٦٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٠١ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٤ ، ص ٢٢٦ — ٣٢٧ ، الصيرفى ، نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ١٥٧
Ahmad Darrag, Barsbay, p. 130; Wiet, L'Egypte Arabe de la conquête arabe à la conquête ottomane, IV, Paris, 1937, pp. 569-570.

(١٦٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٩١١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٤٠ ، Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 130.

(١٦٧) المقريزى السلوك ج ٤ ، ص ١٠٦٧ .

(١٦٨) المقريزى السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٤ .

(١٦٩) السخاوى ، التبر المسبوك ص ٤٧ .

(١٧٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٣٥٩ .

(١٧١) السخاوى ، التبر المسبوك ص ٢٠٠ .

(١٧٢) الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

(١٧٣) السخاوى ، الضوء اللامع ج ٣ ، ص ٨ .

(١٧٤) السخاوى الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

(١٧٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٣٨٧ .

(١٧٦) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٢٤ .

(١٧٧) مجير الدين ، الانس الجليل بتأريخ القدس والخليل بيروت ١٩٧٣ ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

(١٧٨) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢١٥ وما بعدها .

(١٧٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(١٨٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

(١٨١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(١٨٢) عن هذه النيابة أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

(١٨٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ٢٤٥ .

(١٨٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١٧ .

(١٨٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ١٦٩ .

(١٨٦) السخاوى الضوء اللامع ، ج ٦ ، ٢٣١ .

(١٨٧) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ١٦٧ .

(١٨٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(١٨٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ص ١٣٨ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ص ٤٥١ ، ٤٨٢ .

(١٩٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٤٠٤ .

(١٩١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٣٣٠ .

(١٩٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ .

(١٩٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٥٠ .

(١٩٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(١٩٥) أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤ ، ص ٥٩ — ٦٠ .

(١٩٦) أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤ ، ص ٦٣ — ٦٤ .

(١٩٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ٣٣٢ ، حيث رماه أيضا بتعاطى لقيمة الفقراء الخضراء أي حشيشتهم .

(١٩٨) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

(١٩٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٨٦ - ٨٨٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٠١ .

(٢٠٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ٢٧٥ .

(٢٠١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٧ .

(٢٠٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ .

(٢٠٣) عن هذه الوظيفة أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ١ ، ص ١٣ ـ ٣٠ ،

Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/I (1954), pp. 58-59.

(٢٠٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ج ١٥ ، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ٢١٠ .

(٢٠٥) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ١٥٠ .

(٢٠٦) ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، كاليفورنيا ١٩٢٠ ـ ١٩٤٢ ، ص ٤٣٧ .

(٢٠٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف، ج ١ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

(٢٠٨) ابن شاهين الظاهرى ، ز بدة كشف الممالك ، ص ٥٨ .

(٢٠٩) ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، ج ٥ ، ص ٥٧٦ ـ ٥٧٨

(٢١٠) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٢١١) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ١١٠ .

(٢١٢) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ .

(٢١٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٤١ .

(٢١٤) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٢١٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٢ ، ص ١٩٦ .

(٢١٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ـ ١٩ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ١ ص ١٧٤ ـ ١٨١ ،

Ayalon, Studies BSOAS, XVI/I (1954), p. 63.

(٢١٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٢١٨) الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٧٥ .

(٢١٩) عن هذه الوظيفة ، أنظر حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ٢ ، ص ٥١٩ ـ ٥٣٥ ،

Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/I (1954), pp. 62-63.

(٢٢٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ .

(٢٢١) الخالدى ، ديوان الانشاء ، ورقة ١١٦ أ .

Van Berchem, CIA, Egypte, I, p. 363.

(٢٢٢) ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٨ .

(٢٢٣) القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ٤٤ ؛

(٢٢٤) Van Berchem, CIA, Egypte, I, p. 363, No. 1.

(٢٢٥) المقريزى ، السلوك ، حـ ٢ ، ص ٣٩١ ٠

(٢٢٦) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ ، جـ ٦ ، ص ٢٩٥ ، الصيرفى نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ ٠

(٢٢٧) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٥٦ ٠

(٢٢٨) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٦ ، ص ١٨٩ ٠

(٢٢٩) ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور ، ص ٤٠٥ ٠

(٢٣٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ١٩ ـ ٢٠ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ ـ ٤٠٣

Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/1 (1954), p. 60.

(٢٣١) ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ٣٨ ، ومع هذا فقد أبدى المقريزى دهشته عندما وصل عدد الحجاب فى سنة ٧٨٣/١٣٨١ الى ثلاثة ، والى خمسة فى السنة التالية بما نصه « ولم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب فى الدولة التركية » ، انظر ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤٤٢ ، ٤٨٠ ٠

(٢٣٢) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ٠

(٢٣٣) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٧٠ ٠

(٢٣٤) السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ ١٠ ص ٢٨٠ ٠

(٢٣٥) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ ١٦ ، ص ٩٢ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٠ ٠

(٢٣٦) السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ ٣ ، ص ٢٩٠ ٠

(٢٣٧) هو أحد عمال الزكاة الذى يأخذ زكاة السوائم ، انظر ابن طولون ، نقد الطالب لزغل المناصب ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥١ مجاميع تيمور ، ورقة ٢٧ ب ، أعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق ، تحقيق عبد العظيم حامد خطاب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٤٠ ، حاشية (٤) ٠

(٢٣٨) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٥٢٨ ٠

(٢٣٩) عن الياسة أنظر :

Poliak, Le caractère colonial de l'Etat mamlouk dans ses rapports avec la Horde d'Or, REI, (1935), pp. 235-236; Ayalon, The Great Yâsa of Chingiz Khân, Studia Islamica, XXXVI (1972), pp. 113-158; XXXVIII (1973), pp. 107-156.

(٢٤٠) حسن الباشا ، الفنون الوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٨٩ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٩ ٠

(٢٤١) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢ ٠

(٢٤٢) القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٣٠ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٩ ـ ٤٨
Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/1 (1954), pp. 61-62.

(٢٤٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ .

(٢٤٤) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٤ .

(٢٤٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ ، على حين ذكر ابن حجر أنها قومت بخمسة وعشرين ألف دينار ، أنظر انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٧ .

(٢٤٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٨٩ .

(٢٤٧) أشار ابن حجر الى أنها خفضت الى مائة ألف دينار فقط ، والى تعينه بكشف الوجه القبلى ، أنظر انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٩٢ .

(٢٤٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ .

(٢٤٩) كانت مهمة هذا الديوان انفاذ قرارات الاستادار وارسالها الى ديوان الانشاء ليكتب المراسيم على مقتضاها . ومن المعروف أن هذا الديوان أنشىء سنة ٧١٥/١٣١٥ ، لصرف مرتبات المماليك السلطانية ونفقتهم من جامكيات وعليق وكسوة ، أنظر حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٤٤ ، القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٧ ، جـ ٦ ، ص ٢١٥ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٩٨ ـ ١١٠ .

(٢٥٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٢٥١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٠٢ .

(٢٥٢) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٢٥٨ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٤٤ ـ ٦٤٥ .

(٢٥٣) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٢١ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٣٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٣٣٧ ، ٧٤٦ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ص ٣١٧ .

(٢٥٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٦٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ص ٤٧١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٣٥٧ .

(٢٥٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٢٥٦) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٨ .

(٢٥٧) ابن طولون ، اعلام الورى ، ص ١٠٢ .

(٢٥٨) فى سنة ٨١٨/١٤١٥ أصدر السلطان المؤيد شيخ عملة جديد من الفضة وزن الدرهم منها ٢٫٦٣ جرام ، كما ضرب نصف درهم زنته ١٫٣ جرام ، عرف فى المصادر باسم نصف أو مؤيدى ، كما أطلق عليه الاوربيون اسم مدين أنظر :

Popper, Egypt and Syria under the Circassian Sultans, Berkeley, Los Angeles, 1957, p. 56; Balog, The coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1964, p. 43; History of the dirham in Egypt from the Fatimid conquest to the collapse of the Mamluk Empire, RN III, (1961), p. 138; Ashtor, Histoire des prix et des salaires dans l'Orient médiéval, Paris, 1969, p. 279.

(٢٥٩) ذكر ابن حجر ، أن لهانة طائفة من العرب ، أنظر أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٢٦٠) المقريزى ، السلوك ج ٤ ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٤ .

(٢٦١) عن هذه الوظيفة أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ ، Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/1 (1953), p. 65; L'esclavage du Mamlouk, Jérusalem, 1951, pp. 14-15.

(٢٦٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٥٣ .

(٢٦٣) عن هذه الوظيفة أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ .

(٢٦٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ١١٥ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ٣٠٨ .

(٢٦٥) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ٨٦ .

(٢٦٦) القلقشندى ، صبح الأعشى . ج ٤ ، ص ٢١ ـ ٢٢ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ٣ ، ص ١٢٩٦ ، Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/1, (1954), p. 64.

(٢٦٧) المقريزى الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٢٦٨) القلقشندى صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ٣ ، ص ١٣٠٨ ـ ١٣١٦ .

(٢٦٩) هى احدى ولايات الوجه البحرى ، وكان واليها هو والى مليبس أيضا ، أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢٧٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ .

(٢٧١) هى احدى ولايات الوجه البحرى وواليها هو والى المحلة ، ورتبته فى الوجه البحرى فى رفعة القدر ، تضاهى رتبة والى قوص فى الوجه القبلى ، أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧ . ب

(٢٧٢) الأبشار ، جمع بشر ، وهو ظاهر جلد الانسان ، أنظر القاموس المحيط .

(٢٧٣) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٢٧٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ .

(٢٧٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

(٢٧٦) ابن حجر ، انباء الغمر ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٢٧٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٩٢٦ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

(٢٧٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٩٤٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٥٩ — ٦٠ .

(٢٧٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٩٨٣ — ٩٨٤ .

(٢٨٠) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٢٨١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢٨٢) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ٣٨٩ — ٣٩٠ .

(٢٨٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٩ ، حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٠٤ .

(٢٨٤) المقريزى السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢٠٤ .

(٢٨٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(٢٨٦) حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٥٩ ، على بن حسين السليمانى ، العلاقات الحجازية المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤٢ — ٤٣ .

(٢٨٧) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ٣٨٣ .

(٢٨٨) على بن حسين السليمانى ، العلاقات الحجازية ، ص ٥٠ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١٧ ، العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ١٤٢٧/٨٣٠ .

(٢٨٩) تاريخ ابن الفرات ، ج١٩ ، ص١٣٢ ، المقريزى ، السلوك ، ج٤ ، ص٢٥١ ، ٥١٠ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٣ ، ١٠٣ ، ابن فهد ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٢٠٤ تيمور ، ورقة ٣٨٥ .

(٢٩٠) ابن حجر أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١١٥ ، الفاسى ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٩٦٦ ، ج ٤ ، ص ١٥٤ .

(٢٩١) الفاسى ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، ج ٦ ، ص ٦٩ ، ٨٨ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٣٧٨ .

(٢٩٢) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٦٩ — ٧٠ ، على بن حسين السليمانى ، العلاقات الحجازية ، ص ٤٣ .

(٢٩٣) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٠٥ ، العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ١٤٠٨/٨١١ ، السمهودى ، خلاصة الوفاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥١٧٧ ، حوادث نفس السنة .

(٢٩٤) الفاسى ، لعقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٠٧ — ١١١ .

(٢٩٥) محيى الدين ، الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٢٠٥ تيمور ، ورقة ٤٩ Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 166.

(٢٩٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ص ٧٠٦ ، ٧٢٣ ، ٧٣٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٦٤، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج ٤ ، ورقة ٣٨٥ .

(٢٩٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(٢٩٨) الجلج هو الحسار الشعر على جانبى الراس ، أنظر القاموس المحيط .

(٢٩٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٧٤٥ ـ ٧٤٦ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ ، Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 132.

(٣٠٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ٣ ، ص ١٣٢٢ ـ ١٣٤٢
Ayalon, Studies, BSOAS, XVI/1 (1954), p. 64.

(٣٠١) انظر حالة محمد الاهناسى الذى وزر عشرة أيام فقط ، وحالة فارس المحمدى ، الذى بقى فى الوزارة يوما واحدا ثم صرف . السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، عبد المنعم ماجد ، نظم سلاطين المماليك ، ج ١ ، ص ٤٧ .

(٣٠٢) مثل الأمير منجك اليوسفى ، وكريم الدين بن الغنام ، وفخر الدين ابن غراب ، وغيرهم الكثير ، أنظر السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٨

(٣٠٣) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٢ .

(٣٠٤) القلقشندى صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ج ٢ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٥ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .

(٣٠٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ، حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١١٨ .

(٣٠٦) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ،
Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon, London, 1939, p. 4.

(٣٠٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٣٠٨) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٣٠٩) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣١٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

(٣١٠) أشار السيوطى الى أنه عزل عنها فى شهر شوال سنة ٧٠٤/١٣٠٥ ، انظر حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٢ ص ١٩٦ ، الشوكانى، البدر الطالع ، ج ١ ص ٢٤٩

(٣١١) ابن حجر ، الدرر ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

(٣١٢) السيوطى حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣١٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٥٣ .

(٣١٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٧٦٩ ، ابن حجر ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣١٥) السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٣١٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ، ٢٤١ .

(٣١٧) السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٣١٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٢٥٣ ، وعن مدرسة ابن الغنام انظر على مبارك ، الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ، بولاق ١٣٠٥ هـ ، جـ ٦ ، ص ١١ .

(٣١٩) السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٣٢٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ ، السيوطى ، حسن المحاضرة، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٣٢١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ص ٧٣٢ .

(٣٢٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ابن حجر ، ابناء الغمر ، جـ ١ ، ص ١٩٥ .

(٣٢٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجـــوم ، جـ ١٣ ، ص ٥٠ .

(٣٢٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٩ ـ ٤٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٣٢٥) المقريزى اسلوك ، جـ ٤ ، ص ٤٩٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ص ٤٤٦ .

(٣٢٦) الصيرفى ، نزهة النفوس جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(٣٢٧) السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٣٢٨) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ ١٤ ، ص ٢٥٦ .

(٣٢٩) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ٢٣٦ .

(٣٣٠) عن هذه الوظيفة أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٠ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٩٢٢ ـ ٩٢٧ .

(٣٣١) Wiet, Les secrétaires, p. 43 ; Ahmad Darrâg Barsbây, p. 120.

(٣٣٢) ابن حجر . ابناء الغمر جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

(٣٣٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٥ ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ، جـ ١٤ ، ص ١٧٥ .

(٣٣٤) تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٥ ، العينى ، عقد الجمان ، ورقة ٢٣ أ ، ٢٤ أ .
Wiet, Les secrétaires, pp. 5-6; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 121.

(٣٣٥) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ص ١٣٦ .

(٣٣٦) عن هذه الشخصية انظر
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII (1977), pp. 146, 147, Nos. 5, 37, 39, 41.

(٣٣٧) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٦٣ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ ٧ ص ٣٧ .

(٣٣٨) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ١٦٥ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٩ .

(٣٣٩) الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

(٣٤٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٩ .

(٣٤١) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٣٨ .

(٣٤٢) السخاوى الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ١٣٨ .

(٣٤٣) ابن حجر ، ابناء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣١٣ ــ ٣١٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XIII.

(٣٤٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٤٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ٣١٨ ، التبر المسبوك ، ص ٤٢٣ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XIV; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 123.

(٣٤٥) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٦٥ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٢٥ ، العينى ، عقد الجمان ، ورقة ١٦١ ب ،
Wiet, Les secrétaires, No. XV.

(٣٤٦) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٦٤ ، ٦٨٥ ، ٧٦١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٦٨ ــ ٢٠٧٣ ، رقم ١٧١٩ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٤٣ ــ ٣٤٤ ، السنى ، عقد الجمان ، ورقة ١٦٥ ب ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ص ٧٨ ــ ٧٩ .
Wiet, Les secrétaires, No. XVI; Ahmad Darrâg, Barsbây, pp. 123-124.

(٣٤٧) ابن حجر انباء الغمر جـ ٣ ، ص ٣٤٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٢٧٤ ، العينى ، عقد الجمان ، ورقة ١٠٥ ب ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٣٩ــ ٤٠ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XVII; Wiet, Les biographies du manhal sâfî, Le Caire, 1932, No, 2332,

(٣٤٨) اشار ابن طولون ، وابن اياس الى أنه بذل مائة ألف دينار ، أنظر بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ، قضاة دمشق ، ص ٢١١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٣٢٦ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٣٢ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ١٩٧ .

(٣٤٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٤٠ .

(٣٥٠) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٢١ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XVIII; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 124.

(٣٥١) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨١٠ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٢١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

(٣٥٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٣٥ ـ ٧٣٦ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ ، ٤٢١ .
Wiet, Les secrétaires, No. XIX.

(٣٥٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٦٧ .

(٣٥٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٣٣ ،

(٣٥٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٣٢ ـ ٨٣٣ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٤٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XX.

(٣٥٦) سبق أن ستدعى الى القاهرة فى سنة ١٤٢٨/٨٣١ ، والزم بحمل عشرة آلاف دينار بيد أنه لم يحمل سوى ألفين فقط من أجل الحفاظ على وظيفته ، أنظر المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٦٧ ـ ٧٦٨ .

(٣٥٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، المقريزى ، السلوك جـ ٤ ، ص ٨٧٠ ـ ٨٧١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٧٦ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XXI; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 126.

(٣٥٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٨٧٣ .

(٣٥٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٦ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ،، ص ٤٧٦ ، ٤٩٠ .

(٣٦٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٩٧٠ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XXII; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 127.

(٣٦١) ابن حجر ، انباء الغمر ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ١٦٠١ ـ ١٦٠٢ ، ورقة ٢١٣ ؟
Wiet, Manhal, No. 2243; Les secrétaires, No. XXIII.

(٣٦٢) السخاوى ، الذيل ، ص ٢٧٤ .

(٣٦٣) شغل هذه الوظيفة في أول رجب سنة ١٤٣٢/٨٣٥ ، وعزل منها في السابع والعشرين من رمضان سنة ١٤٣٨/٨٤١ انظر
Ahmad 'Abd ar-Râziq. La hisba, AI, XIII (1977), pp. 166-167. No. 134.

(٣٦٤) السخاوى ، الذيل ، ص ٢٧٤ .

(٣٦٥) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠١١ – ١٠١٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم، جـ ١٥ ، ص ٢١٨ – ٢١٩ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ ،
Ahmad Darrâg, Barsbây, pp. 127-128.

(٣٦٦) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٤٦ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XXV; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 128.

(٣٦٧) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٨٤ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، ورقة ٢٣٣ أ ،
Wiet, Les secrétaires, No. XXVI.

(٣٦٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٥١ .

(٣٦٩) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٣٧٠) السخاوى الذيل ، ص ٣٦٩ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، جـ ٢، ص ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
Salibi, Les Cadis d'Egypte, REI (1957), p. 106, No. 41.

(٣٧١) اختلفت المصادر فيما بينها بصدد المبلغ الذى بذل فقد اشار كل من الصيرفى وابن اياس الى أنه كان ثمانية آلاف فقط ، انظر أنباء الهصر ، ص ٤٤٧ ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ص ٣٩٨ ، على حين ذكر السخاوى انه كان عشرة آلاف ، الذيل ، ص ٩ .

(٣٧٢) السخاوى الذيل ، ص ٨ ، ٩ ، ٣٧٦ .

(٣٧٣) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

(٣٧٤) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٢٨٦ .

(٣٧٥) على الرغم مما ذكره ابن حجر بصدد عدم توليه لهذه الوظيفة ، فيفهم من بقية المصادر المعاصرة أنه وليها بالفعل ، أنظر انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، ١١٠ ، الصيرفى، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٣٨ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢٠٧ حيث أشار أنه كان لا يتعفف ، العينى ، عقد الجمان ، حوادث سنة ١٤١٣/٨١٦ .

(٣٧٦) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٦ ، ص ١٢٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ .

(٣٧٧) السخاوى ، الضوء اللامع جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٣٧٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٥٧ .

(٣٧٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٨١ .

(٣٨٠) السخاوى ، الذيل ، ص٣٦٧ ٣٦٨ ، ٣٨٥ ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص٢٩٨ ـ ٣٠١ .

(٣٨١) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ ٤ ، ص ١٤٤ .

(٣٨٢) Gaudefroy-Demombynes, La Syrie à l'époque des Mamlouks, Paris, 1946, pp. LXX-LXXI; Ahmad Darrâg, Marsbây, p. 120.

الخالدى ، ديوان الانشاء ، ورقة ١١٦ أ .

(٣٨٣) Gaudefroy-Demombynes, La Syrie, p. LXX; Björkmann, Beiträge zur geschichte der staatshauzlee in islamischen Aegypten, Hamburg, 1928, p. 39.

(٣٨٤) Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 122.

(٣٨٥) Gaudefroy-Demombynes, La Syrie, p. LXXI.

(٣٨٦) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ١٣٧ ،
Wiet, Les secrétaires, No. IV.

(٣٨٧) ابن اياس ، بدائع الزهور طبعة بولاق ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

(٣٨٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٨ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف جـ ٣ ، ص ١٢٠٧ ـ ١٢١٠ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣٨٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٤٥ .

(٣٩٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١١ ، ص ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٣٩١) Mayer, Saracenic Heraldry, Oxford 1933, pp. 121-122.

(٣٩٢) المقريزى خطط ، طبعة النيل ، جـ ٣ ، ص ٣٦١ .

(٣٩٣) ابن حجر ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

(٣٩٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٢٧ .

(٣٩٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٣٩٦) المقريزى السلوك ، جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٣٩٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٦٦٠ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ١ ص ٢٥٤ .

(٣٩٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٩ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ .

(٣٩٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٩ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٣ ، ص ٥١ .

(٤٠٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٢٠ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٤٧ .

(٤٠١) السخاوى الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٦٩ .

(٤٠٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٧٧ .

(٤٠٣) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٢ .

(٤٠٤) القلقشندى صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٣١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، جـ ٥ ، ص ٤٦٥ ، جـ ١٢ ، ص ٦ ، ٢٨١ ، محمد مصطفى ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور لابن اياس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٥٢ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٩٣ ـ ١١٩٨ .

(٤٠٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١١ ، ص ٨٩ .

(٤٠٦) واحدها مربعة ، وهى ورقة مربعة الشكل كان يدون فيها اسم الشخص المقطع حيث كانت ترسل بعد ذلك الى ديوان الانشاء ليكتب بها توقيع أنظر حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٣٩٤ ، حاشية (٣) .

(٤٠٧) السبكى ، معيد النعم ومبيد النقم ، لندن ١٩٠٨ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ، القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ١١ ، ص ٩٣ .

(٤٠٨) حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٤١٠ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٩٥ ، العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٧٥ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٦ ، ص ٧ ، ٦١ ، ٦٩ ، ١٠٣ ، حيث يشير الى القاب هاتين الوظيفتين .

(٤٠٩) المقريزى ، خطط ، جـ ٢ ، ص ٤٢٠ ، Mayer, Saracenic, pp. 121-122.

(٤١٠) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٤٣٨ .

(٤١١) يفهم من المصادر المملوكية أنه شغل أيضا وظيفة محتسب القاهرة أربع مرات انظر Ahmad ʿAbd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII (1977), Nos. 24, 26, 28, 30.

(٤١٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٨٧٢ .

(٤١٣) الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤١٤) المقريزي ، السلوك ، جـ ٤ ص ٥٧٣ .

(٤١٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٥١ ، ٣٣٤ ، الشوكانى ، البدر الطالع جـ ١ ، ص ٣١٥ ، ٣١٧ .

(٤١٦) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٦٧ .

(٤١٧) السخاوى ، الذيل ، ص ١٧٥ .

(٤١٨) السخاوى ، التبر المسبوك ص ١٤٤ .

(٤١٩) السخاوى ، الضوء اللامع جـ ٩ ، ص ١٤٦ ـ ١٦٥ .

(٤٢٠) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٧ ، ٣٨٣ .

(٤٢١) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ١٩٢ ، هذا وقد سبق لمؤرخى هذا العصر أن رموا أبيه عند ولايته لكتابة السر بكل نقيصه ، أنظر ابن تغرى بردى ، النجوم جـ ١٤ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٤٣ .

(٤٢٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩٩ .

(٤٢٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٢ ، المقريزى ، خطط ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٨٢ ـ ١١٨٣ .

(٤٢٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٩٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٢٧٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(٤٢٥) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٠ ، على حين أشار المقريزى ، الى أنه عزل فى ربيع الآخر سنة ٨٤٣/١٤٣٩ ، أنظر السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٦٩ .

(٤٢٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٩٠٧ ، ٩٢٧ ، ٩٣٦ ، وراجع أيضا الفصل الثالث ـ وظيفة الحجابة .

(٤٢٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٤٢٨) حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٩٠ ـ ١١٩١ .
Van Berchem, CIA, Egypte, I, p. 423.

(٤٢٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٩٣٠ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ص ٥٣٩ .

(٤٣٠) عن هذه الوظيفة أنظر حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٧٩ .

(٤٣١) هو أحمد بن محمود صدر الدين العجمى ، الذى ولى وظيفة حسبة القاهرة ست مرات زمن المماليك الجراكسة ، انظر :
Ahmad ʿAbd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, Nos. 72, 110, 126, 128, 130.
كما ولى ،
حسبة الفسطاط فى سنة ٨٢٠/١٤١٧ ، انظر
Ahmad ʿAbd ar-Râziq, Les muhtasibs de Fostât au temps des Mamlûks, AI, XIV (1978), No. 54.

(٤٣٢) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ ، السلوك ، المقريزى ، جـ ٤ ، ص ٦٢٩ .

(٤٣٣) عن هذه الوظيفة والبذل عليها راجع الفصل الخامس .

(٤٣٤) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

(٤٣٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٤٣٦) عن هذه الوظيفة انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١١ ، ص ١١٥ ، العمرى، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٠٩ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١١٩٩ – ١٢٠٠ .

(٤٣٧) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٦٦ .

(٤٣٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩

(٤٣٩) القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٤ ، ضوء الصبح المسفر ص ٢٤٩، حسن الباشا ، الفنون ، الوظائف ، جـ ٢ ، ص ٨٧٣ .

(٤٤٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٤ – ٣٦ ، جـ ١١ ، ص ١٧٤ .

(٤٤١) حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٨٧٤ .

(٤٤٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٤٤٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١٢ ، ص ٧ ، ٢٨١ .

(٤٤٤) أبى شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ٢٣٤ .

(٤٤٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ص ٤٣٩ ، ابن حجر ، الدرر ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ ، الشوكانى ، البدر الطالع ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ – ١٨٤ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٤٤٦) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ١٣ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١١١ .

(٤٤٧) المقريزى ، السلوك جـ ٣ ، ص ٣١٩ .

(٤٤٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ ، ٣٨٥ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٤٤٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٨١٠ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ – ٤٧٠ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ .

(٤٥٠) ابن حجر ، انباء الغمر جـ ١ ، ص ٤٩٣ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٤١٠ .

(٤٥١) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .

(٤٥٢) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ ، السخاوى الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ١٠٨ – ١٠٦ ، جـ ٩ ، ص ١٠٠ – ١٠١ ،
Salibi, Les grands cadis, REI, (1957), pp. 88-89.

(٤٥٣) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٤٥٤) العينى ، عقد الجمان ، جـ ٢٥ ورقة ٢٠٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

(٤٥٥) السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ ، الذيل ، ص ٣٥٦ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٢ .

(٤٥٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٦١٣ ، ٦١٤ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٨ ، ص ١٥١ — ١٥٥ ،
Wiet, Manhal, No. 2247; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 113.

(٤٥٧) تولى القضاء ست مرات ، أنظر السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٤ ، ص ١٠٦ — ١١٣ .
Salibi, Les grands cadis, REI (1957), p. 91.

(٤٥٨) المقريزى ، السلوك ، حـ ٤ ، ص ٦٢٣ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ص ٢٠٥ .

(٤٥٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٥٦ ، السخاوى ، الذيل ، ص ٨٠ ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ص ٣٨ .

(٤٦٠) العينى ، عقد الجمان ، جـ ٢٦ ، ورقة ١٦١ ب ، المقريزى ، جـ ٤ ، ص ٦٧٠ — ٦٧١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٥٨١ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٣١ .

(٤٦١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٨٧ ، العينى ، عقد الجمان جـ ٢٦ ، ورقة ١٦٥ ب ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٥٨٨ .

(٤٦٢) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٤٥ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨١٩ .

(٤٦٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨١٩ .

(٤٦٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ؛ ص ٨٥٤ .

(٤٦٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٠٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٧٥١ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، مخطوط ، ورقة ٢٢٩ أ .

(٤٦٦) المقريزى ، السلوك ، حـ ٤ ص ١٠٣٦ — ١٠٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٧٦٣ .

(٤٦٧) السخاوى ، الضوء اللامع حـ ٢ ، ص ٣٨ ، الذيل ، ص ٨١ — ٨٥ ، التبر المسبوك ، ص ٢٣٠ — ٢٣٦ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ،
Wiet, Manhal, No. 219.

ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ ، جـ ٧ ، ص ٧٤ ، السخاوى ، الجواهر والدرر ، ورقة ١٤١ ، شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلانى ، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة بغداد سنة ١٩٧٦ ، ص ١٣٣ .

(٤٦٨) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ٣١٢ — ٣١٤ ، على حين جاء فى المنهل انه وليها خمس مرات فقط أنظر :
Wiet, Manhal, No. 1197.

(٤٦٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ ٠

(٤٧٠) ابن تغرى بردى النجوم جـ ١٥ ، ص ٣٧٥ ، السخاوى ، الذيل ، ص ٢٥٢ ٠

(٤٧١) السخاوى الذيل ص ٤٥٥ ـ ٤٥٨ ٠

(٤٧٢) السخاوى ، الذيل ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ٠

(٤٧٣) تولى ايضا وظيفة حسبة القاهرة أنظر
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, No. 152.

(٤٧٤) السخاوى ، الذيل ، ص ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ؛ ص ٩٩ ـ ١٠١ ٠

(٤٧٥) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٩٥ ـ ١٠٠ ، الذيل ، ص ١٠٢ ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٧ ، ص ٧٤٢ ، ٧٤٥ ، حوادث الدهور ، ص ٣٤٢ ، ٥٢٦ ، ٥٣٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ،
Salibi, Les grands cadis, REI (1957), p. 93.

(٤٧٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٤٦٠ ، جـ ٥ ، ص ٢٥ ، حيث ذكر أنه نفذ منه فى هذه الولايات ستة وثلاثين ألف درهم ٠

(٤٧٧) وهى تعنى الدنانير التى ضربها السلطان الأشرف برسباى سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م ، انظر العينى ، عقد الجمان ، ورقة ١٦٨ ب ،

Wiet, L'Egypte Arabe, p. 534; Van Gennep, Le ducat vénitien en Egypte, RN, 1897, p. 501; Lammens, La Syrie, Précis historique, Beyrouth 1921, II, p. 30; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 97; Popper, Egypt and Syria, pp. 49-50; Ashtor, Histoire des prix, p. 274.

(٤٧٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ ، ٣٨٧ ، جـ ٤ ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٠٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦٩ ، جـ ٥ ص ٢٥ ـ ٢٦ ،
Salibi, Les grands cadis, REI (1957), pp. 94-95.

(٤٧٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩١ ، ٩٢ ٠

(٤٨٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٦ ٠

(٤٨١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩١ ، ٩٢ ٠

(٤٨٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، جـ ٥ ، ص ٩٠ ،
Salibi, Les grands cadis, REI (1957), p. 95.

(٤٨٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٠ . ٤٦٩ ٠

(٤٨٤) Salibi, Les grands cadis, REI (1957), pp. 82-96.

(٤٨٥) Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 115.

(٤٨٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٣٨٥ .

(٤٨٧) Ibn Khaldûn, Prolegomènes, trad. de Slane, Paris, 1862-1868, I, pp. LXXVI-LXXVII ; Fischel, Ibn Khaldûn's activities in Mamluk Egypt, in Semitic and Oriental studies presented to W. Popper, Berkeley, 1951, pp. 111-112 ; Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 111.

(٤٨٨) ولى حسبة القاهرة ثلاث مرات فقط انظر :
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, Nos. 37, 39, 41.

(٤٨٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩٣٣ ، العينى ، عقد الجمان ، ورقة ١٤ أ ،
الذى اشار الى أنه سعى عليها بتسعين الف دينار .

(٤٩٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ١٠٢٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ،
ص ١٧٦ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ٥٥ ، الذيل ، ص ١٩٧ ، السيوطى ؛
حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ٦ ،
Salibi, Les grands cadis, REI, p. 114.
ص ٧٠ ، ١٧٢ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ٣٢ ،

(٤٩١) Fischel, Ibn Khaldun's activities, pp. 112-113.

(٤٩٢) ابن حجر انباء الغمر جـ ٣ ، ص ٥٠٣ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١ ،
ص ٢٧٠ ، السيوطى حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجـوم ،
Salibi, Les grands cadis, REI, p. 116.
طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٦٨٢ ، ٨٣٢ ،

(٤٩٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ ، ٢٥٥ ، ٤٧٧ ،
Salibi, Les grands cadis, REI, p. 119.

(٤٩٤) وصل عددهم الى احدى وخمسين قاضيا أنظر :
Salibi, Les grands cadis, REI, pp. 109-119.

(٤٩٥) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ
١٢ ، ص ١٥٨ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٥١٥ .

(٤٩٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ص ٧٢٣ .

(٤٩٧) السخاوى ، الضوء اللامع جـ ١٤ ، ص ١٠٠ .

(٤٩٨) ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ١٤٢ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ،
جـ ٢ ، ص ٣٧٤ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤١١ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ،
ص ٩٢ .

(٤٩٩) ابن تغرى بردى النجوم ، جـ ٣٢٦ ، السخاوى ، الذيل ، ص ١٢٥ .

(٥٠٠) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ ٤ ، ص ٤٧٧ .

(٥٠١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ١٠٠١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ،
ص ١٨٩ .

(٥٠٢) يفهم من بوبر أن الدينار كان يساوى فى سنة ١٣٩٨/٨٠١ ، ثلاثين درهما انظر : Popper, Egypt and Syria, p. 74.

(٥٠٣) الصيرفى ، نزهة النفوس ج ٣ ، ص ٤١ .

(٥٠٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ ٤ ، ص ٣٠٥ .

(٥٠٥) Tyan, Histoire judiciaire, II, pp. 200-201; Björkmann, Beiträge, p. 157.

(٥٠٦) الخالدى ، ديوان الانشاء ، ورقة ١٤١ ب .

(٥٠٧) ابن بطوطة ، الرحلة ، جـ ١ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ، المقريزى ، الخطط ، طبعة فيت ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ .

(٥٠٨) من الملاحظ أن السخاوى قد أشار اليه مرتين ، حيث ذكر فى الاولى أنه مات بها سنة ١٣٩٠/٧٩٢ ، ثم عاد وذكر فى الثانية أنه مات بمكة سنة ١٤٠٤/٨٠٧ ، أنظر الضوء اللامع ، جـ ٢ ص ٢٩ ـ ٣٠ ، جـ ١١ ، ص ٢٦٢ .

(٥٠٩) الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(٥١٠) الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٥١١) ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ٢٦٠ أ ، السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ .

(٥١٢) ابن تغرى بردى ، النجوم جـ ٨ ، ص ٢١٦ ، هذا وقد أشار المقريزى الى أنه بذل على قضائها ثمانين الف درهم فقط ، أنظر السلوك ، جـ ٢ ص ١٣ .

(٥١٣) Tyan Histoire judiciaire, II, pp. 220, 402-405; Gaudefdoy-Demombynes, Les institutions musulmanes, 3ème édition, Paris, 1946, pp. 153-154.

(٥١٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٣ ، ٥٤٤ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، حـ ٣ ، ص ٣ ، الصيرفى ، نزهة النفوس . جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٥١٥) Tyan, Histoire judiciaire, II, pp. 402-405.

(٥١٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٥١٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٣ .

(٥١٨) تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٥١٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٤٧ ، ابن تغرى بردى النجوم جـ ١٤ ، ص ٤٠ ـ ٤١ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٩٠ .

(٥٢٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٨٩ .

(٥٢١) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٤٤٠ ٠

(٥٢٢) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ ٠

(٥٢٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٥٤٠ ٠

(٥٢٤) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ص ٦٣٨ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ، ١٢٩ ب ، ١٣٠ أ ٠

(٥٢٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٠٦ ٠

(٥٢٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٧٤٥ ٠

(٥٢٧) ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ١٧٢ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٣١ ، ابن تغرى بردى . النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٦٦٠ ٠

(٥٢٨) ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ١٥٦ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٨٧٣ ، ابن تغرى بردى ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٦٧٨ ٠

(٥٢٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٠٣ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ٢١٩ أ ٠

(٥٣٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٠٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٧ ، ص ٥٦ ٠

(٥٣١) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٦٧ ٠

(٥٣٢) ابن اياس بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢ ٠

(٥٣٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ٠ ص ٩٦١ ٠

(٥٣٤) ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ٢٢٠ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٠٥ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ٠

(٥٣٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١٢ ، ص ٧ ، ٢٨١ حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٨٧٥ ٠

(٥٣٦) القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ١٩٢ ، جـ ١٢ ، ص ٣٨ ، ضوء الصبح ص ٣١٤ ٠

(٥٣٧) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، ابن كثير ، البداية ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٢ ، أبى شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ٢٠٦ ٠

(٥٣٨) ابن حجر انباء الغمر جـ ٢ ، ص ٢٢٠ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ . المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩٣٢ ، ٩٣٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ١ ، ص ٤٨٧ ٠

(٥٣٩) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٥٤٠) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٨٣ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٥٤١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٣٠ .

(٥٤٢) ابن طولون ، قضاة دمشق ص ١٤٣ ـ ١٤٧ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٧٣٥ ـ ٧٣٦ .

(٥٤٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج٢ ، ص ٤٠٣ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٢٥ .

(٥٤٤) ابن حجر ، انباء الغمر ج ٣ ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ، ابن طولون ، قضاة دمشق، ص ١٤٩ ـ ١٥١ .

(٥٤٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٧٥١ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٥١ ـ ١٥٦ .

(٥٤٦) المقريزى السلوك ، ج ٤ ، ص ٧٥١ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٢١ ، العينى ، عقد الجمان ، ورقة ١٨١ أ ، ابن حجر أنباء الغمر ، ورقة ١٥١ أ .

(٥٤٧) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٥٩ ، ١٦١ .

٥٤٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ص ٩٢٨ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٣٦ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٦٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ج ٣ ، ص ٣٠١ ، حيث أشار الى استقراره فى صفر سنة ١٤٣٣/٨٣٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٥٤٩) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٦٥ .

(٥٥٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٨ ، السخاوى الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٤١ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٧٠ ـ ١٧٢ .

(٥٥١) ابن طولون قضاة دمشق ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

(٥٥٢) انظر حالة كل من شهاب الدين بن المحمرة ، والقطب الخضيرى ، والشهاب ابن الفرفور فى ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٨٠ .

(٥٥٣) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٦٢٩ ، ٦٨٢ ، ٦٨٨ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٧٩ .

(٥٥٤) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢١٣ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٥٥٥) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ٢١٣ ـ ٢١٤ ٠

(٥٥٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٦٤ ٠

(٥٥٧) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢١٨ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ورقة ٢١٤ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٩٧٧ ، الذى يشير الى تعيينه على مال وعد به ، عوضا عن بدر الدين الجعفرى ٠

(٥٥٨) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢١٠ ٠

(٥٥٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٩٧ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢٢٩ ٠

(٥٦٠) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ١٦ ، ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢٣٠ ٠

(٥٦١) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢٥٥ ٠

(٥٦٢) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢٦٠ ٠

(٥٦٣) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ٢٩٠ ٠

(٥٦٤) أبو الفداء ، المختصر ، جـ ٤ ، ص ١٤١ ٠

(٥٦٥) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ٠

(٥٦٦) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ١٤١ ٠

(٥٦٧) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥٤٥ ٠

(٥٦٨) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٤٨٠ ٠

(٥٦٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢١٩ ٠

(٥٧٠) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ٠

(٥٧١) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٠٠ ـ ١٤٥ ٠

(٥٧٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ٠

(٥٧٣) السخاوى الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ٠

(٥٧٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٦ ، ص ٣٢٦ ، السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١٨ ، الذيل ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ٠

(٥٧٥) المقريزى ، السلوك جـ ٤ ، ص ٣٧ ٠

(٥٧٦) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥٣٦ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٩٢٨ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٠١ ٠

(٥٧٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٧٩ ٠

(٥٧٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٦ ٠

(٥٧٩) مجير الدين ، الأنس الجليل ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ ٠

(٥٨٠) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ١١٠ ٠

(٥٨١) مجير الدين ، الأنس الجليل ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

(٥٨٢) Sauvaget, Décrets mamlouks de Syrie, BEO, XII, p. 43, No. 54, p. 50, No. 60; Wiet, Répertoire des décrets mamlouks de Syrie, BAH, XXX (1939), No. 97.

(٥٨٣) القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٣٦ .

(٥٨٤) هو شرف الدين علي بن عرب الذى ولى حسبة الفسطاط زمن المماليك الجراكسة انظر :
Ahmad 'Abd ar-Râziq, Les muhtasibs de Fostât, AI, XIV, Nos. 13, 15.

(٥٨٥) هو نجم الدين محمد بن عمر الطنبدى الذى ولى حسبة القاهرة أربع مرات انظر :
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, Nos. 31, 33, 44.

(٥٨٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤٤١ .

(٥٨٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٥٨٨) ابن اياس ، بدائع الزهور جـ ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٥٨٩) الصفدى الوافى بالوفيات ، جـ ٦ ، ص ٤٠٦ .

(٥٩٠) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧ .

(٥٩١) السخاوى ، الضوء اللامع جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٥٩٢) القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٣٧ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٣ ، ص ١٠٣٦ .

(٥٩٣) الطرسوسى ، تحفة الترك فى ما يجب أن يعمل فى الملك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٢٤٤٥ ، ورقة ٣٧ .

(٥٩٤) أحمد دراج ، الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٦٨ ، ص ١١٦ .
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, pp. 125-135.

(٥٩٥) Ahmad 'Abd ar-Râziq, Les muhtasibs des Fostât, AI, XIV, No. 14.

(٥٩٦) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٥٩٧) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤٥٤ .
Ahmad 'Abd ar-Râziq, Les muhtasibs des Fostât, AI, XIV, p. 144.

(٥٩٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(٥٩٩) تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ،

ص ٣٣٧ ، المقريزى ، السلوك ج ٣ ، ص ٥٦٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١
ص ١٥٧ ، Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, p. 129.

(٦٠٠) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٢٥٦ ، ٢٦٣ ، المقريزى ، السلوك ، ج٣ ،
ص ٧٤٨ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٤١٨ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ،
ص ٣٣٣ ، Ahmad 'Abd-ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, No. 34.

(٦٠١) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٣٠١ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص
٧٦٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٣٤٤
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, No. 35.

(٦٠٢) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٥٢ ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ،
ص ٥٠٨ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٢٣ ،
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, p. 127.

(٦٠٣) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٤٤٠ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج١ ، ص
٥٢٤ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٦٠ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ، ص
٤٣٠ ، Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, No. 40.

(٦٠٤) تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٤٥٧ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣
ص ٨٧٢ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٥٢٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ،
ص ٤٤٢ ، العينى ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ، ورقة ٥٢٤ ،
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, No. 42.

(٦٠٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٧٩ .

(٦٠٦) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ١٥ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص
٩٠١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٣٦ .
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 127; Les muhtasibs des Fostât, p. 144.

(٦٠٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٥ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ،
ص ٣٩٣ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ،
ج ١٣ ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٢٢ .

(٦٠٨) Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, pp. 148-175.

(٦٠٩) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٩١ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ،
ص ١٠١٣ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٦١٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٣ ، ص ٣٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ،
ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٦١١) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١١ ، ٤٥٣ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ،
ج ٢ ص ٢١١ ،
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 127; Les muhtasibs des Fostât, p. 144.

(٦١٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٤٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ١٣٧ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٧، ص ١٢٤ ،

Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 157, No. 89.

(٦١٣) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٥٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٨١٧ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ ، ٤٨٠ .

(٦١٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٦٠ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٦١٥) ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ ٢ ، ص ٥٢٠ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣ ، العينى ، عقد الجمان ، حـ ٢٥ ، ورقة ٣٧٠ ، أحمد دراج ، الحسبة ،المجلة التاريخية ، المجلد الخامس عشر ، ص ١٢ ،

Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 129.

(٦١٦) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٨ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ ،

Ahmad Darrâg, Barsbây, p. 110; Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 128.

(٦١٧) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ١٢ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ص ٣٦٤ هذا ومن المعروف ان هذا المحتسب قد تعرض للضرب فى سنة ١٤٠٣/٨٠٥ بحضرة الناس فى دار الدوادار الكبير ، انظر : أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٢٠ .

(٦١٨) ابن تغرى بردى ، النجوم طبعة كاليفورنيا ، جـ ٦ ، ص ٢٧٤ السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٧ ، ص ٢٣٦ ،

Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 137.

(٦١٩) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٨٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٨٥ ، الذى أغفل الاشارة الى الهدايا المذكورة ،

Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, p. 129.

(٦٢٠) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ١٤٠ — ١٤١ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٩٧ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٩٨ .

(٦٢١) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٣٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 129.

(٦٢٢) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ص ٢٣٨ ، المقريزى ، السلوك جـ ٤ ، ص ٥٤٨ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٤٩٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا جـ ٦ ، ص ٤٨٢ ،

Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, No. 127.

(٦٢٣) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٦١٧ ابن تغرى بردى ، النجوم طبعة كاليفورنيا ، ج ٦ ، ص ٥٩٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٠ .

(٦٢٤) ابن تغرى بردى ، طبعـــة كاليفورنيا ، ج ٧ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٢٠ ، ٢٥٩ .

(٦٢٥) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ١٩٦ ، أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٢١

(٦٢٦) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ١٩٨ ، أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٢٢ .

(٦٢٧) ابن تغرى بردى ، حوداث الدهور ، ص ٢٠٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، محمد مصطفى ، صفحات لم تنشر ، ص ١٧ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٦٢٨) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٢٢ حيث أشار إنه توفى سنة ١٤٥٧/٨٦١ ، على حين أن أغلب المصادر المعروفة لنا أشارت الى وفاته فى العام التالى انظر :
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, No. 139.

(٦٢٩) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ١١٢ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١٠١ ، على السخاوى ، تاريخ مصر ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بباريس ، تحت رقم ١٢٩ ، ورقة ٩٥ ب ،
Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 129, No. 152.

(٦٣٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ١٥٤ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤٣ .

(٦٣١) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٤٣٠ .

(٦٣٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٢٧ .
Wiet, Journal d'un bourgeois du Caire, 1955-1960, II, p. 25 ; Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 25.

(٦٣٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ص ٩٣ ،
Wiet, Histoire des Mamlouks circassiens, Le Caire, 1945, II, p. 7 ; Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, p. 130.

(٦٣٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٣ ، ص ١٨ ، أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٢٣ كما أشار نعيم زكى الى أنها بلغت حوالى ٢٧٠٠ دينار ، انظر طرق التجارة ، ص ٢٨٣ حاشية (٣٧) .

(٦٣٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ١٧ - ١٩ ،
Wiet, Journal d'un bourgeois, II, pp. 16-17 ; Ahmad 'Abd ar-Râziq, La hisba, AI, XIII, p. 131.

(٦٣٦) الخالدى ، ديوان الانشاء ، ورقة ١٣٢ أ ، أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٢٣ ٠

(٦٣٧) أحمد دراج ، الحسبة ، ص ١٢٣ ٠

(٦٣٨) ابن اياس بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ١٧ ـ ١٩ ، أحمد دراج ، الحسبة ص ١٢٣ ، المرسوم رقم (١) ٠

(٦١٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ١٧ ٠

(٦٤٠) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ ٠

(٦٤١) أنظر المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٩٤ ، ابن طولون ، اعلام الورى ص ١٨٦ ٠

(٦٤٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٧ ، ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف جـ ٣ ، ص ١٢١١ ـ ١٢١٢ ٠

(٦٤٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ ٠

(٦٤٤) القلقشندى صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٣٨ ، ضوء الصبح المسفر ، ص ٢٥٠ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٦٤٠ ٠

(٦٤٥) أطلق عليها دويرة الصوفية وكانت الخانقاة الثانية فى مصر هى البيبرسية التى شيدها بيبرس الجاشنكير سنة ١٣٠٩/٧٠٩ ، وقد أغلقها الناصر محمد بن قلاوون حتى سنة ١٣٢٦/٧٢٦ حيث اعيد فتحها من جديد أنظر :
Van Berchem, CIA, Egypte, I, p. 163.

(٦٤٦) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣١٨ ٠

(٦٤٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٤٨ ٠

(٦٤٨) السخاوى ، الذيل ، ص ٣٣٤ ٠

(٦٤٩) انشاها ازامير شيخو ٠

(٦٥٠) السخاوى ، الذيل ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، السخاوى الضوء اللامع ، جـ ٨ ، ص ٢٣٥ ٠

(٦٥١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٢ ص ٤١٦ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٩ ، ص ٢٢٤ ٠

(٦٥٢) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٦١٩ ٠

(٦٥٣) المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٦١ ـ ٦٦٢ ٠

(٦٥٤) عبد اللطيف ابراهيم ، سلسلة الوثائق التاريخية القومية ، ص ٢٤٠ رقم ٦٨ ، وثيقة أوقاف الغورى ، أوقاف رقم ٨٨٣ ، وثيقة قايتباى المحكمة الشرعية بدون رقم ، وثيقة اينال (محمود حنفى) ، وثيقة خاير بك (الأستاذ العظم) وثيقة قانى باى الرماح ، أوقاف رقم ١٠١٩ ، وثيقة قايتباى ، أوقاف رقم ٨١٠ ، وثيقة جمال الدين الأستادار المحكمة الشرعية رقم ١٠٦ .

(٦٥٥) ابن اياس . بدائع الزهور ، ج ٥ ص ١٣ .

(٦٥٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ١٥ .

(٦٥٧) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٦٥٨) حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ١ ، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٤٧٢ .

(٦٥٩) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٤٦ .

(٦٦٠) المقريزى ، السلوك ج ٤ ، ص ٦١٩ .

(٦٦١) انظر الحالات التى أشار اليها فييت Hautecoeur, Wiet, Mosquées, I, p. 82.
أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١١٢ ، أحمد عزت عبد الكريم ، ابن اياس ، دراسات وبحوث ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٧٣ ، حسن حبشى ، الاحتكار المملوكى وعلاقته بالحالة الصحية مجلة كلية الآداب . جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ، ص ١٥٣ ـ ١٥٧ .

(٦٦٢) المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٣٧ ، ٧٠ .

(٦٦٣) المقريزى ، خطط ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(٦٦٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، ٣٢٥ .

(٦٦٥) ابن تغرى بردى ، النجوم . طبعة كاليفورنيا ، ج ٦ ، ص ٣٥٧ ، أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١١٥ ،
Wiet, L'Egypte Arabe, pp. 534-540.

(٦٦٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٦٦٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٦٦٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٦٦٩) أحمد عزت عبد الكريم ، ابن اياس ، ص ٧٧ .

(٦٧٠) Ahmad 'Abd ar-Râziq, La femme au temps des Mamlûks en Égypte, Le Caire, 1973, pp. 130-131.

(٦٧١) ابن تغرى بردى ، النجوم ، طبعة كاليفورنيا ج ٧ ، ص ١١٠ ، على السخاوى . تاريخ مصر ، ورقة ٥٣ ب .

(٦٧٢) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ،

ص ٢٨٨ ، العينى ، عقد الجمان ، ج ٣٢ ، ورقة ٢٠٨ ، ابن قاضى شهبة ، الاعلام بتاريخ الاسلام ، مخطوط باكسفورد تحت رقم ١٤٣ ، ورقة ١٥٧ ب .

(٦٧٣) Wiet, Journal d'un bourgeois, I, p. 377.

(٦٧٤) Ahmad 'Abd ar-Râziq, La femme, pp. 150-151.

(٦٧٥) المقريزى ، السلوك ج ٢ ، ص ٢٨٨ ، ٥٣٦ .

(٦٧٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٥١٤ .

(٦٧٧) ابن قاضى شهبة ، الاعلام بتاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ورقة ١٤٩ ب المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٩ .

(٦٧٨) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ١٣٤ ، السلوك ج ٢ ، ص ٢٤٩ ، العينى ، عقد الجمان ، ج ٣٢ ، ورقة ٣٩٠ .

(٦٧٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٣٧١ .

(٦٨٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٩ ، ص ٢١٢ ، أحمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، ص ٨١ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ٤ ، ص ٣٧١ .

(٦٨١) البغدادى ، عيون أخبار الأعيان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١١٠ ، ورقة ٤٨١ .

(٦٨٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

(٦٨٣) الصفدى ، الوافى بالوفيات ج ٤ ، ص ٣٧١ .

(٦٨٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

(٦٨٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٨ .

(٦٨٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، طبعة بولاق ، ج ٣ ، ص ٥٩ .

(٦٨٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٥٧٤ .

(٦٨٨) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٤٣٧ ــ ٤٣٨ ، السخاوى ، الضوء اللامع ج ٣ ، ص ٢١٠ ، ج ١٠ ، ص ٢٨٠ .

(٦٨٩) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٦ ، ص ٣٧٥ .

(٦٩٠) الصيرفى ، أنباء الهصر ، ص ١٦٧ .

(٦٩١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٦٩٢) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١١٠ .

(٦٩٣) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ ، ج ٣ ، ص ٣٤١ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٦٩٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٤ ، ص ٤٢ .

(٦٩٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٠ ، ص ٦٣ .

(٦٩٦) المقريزى ، اغاثة الأمة ، ص ٤٣ – ٤٤ .

(٦٩٧) المقريزى اغاثة الأمة ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٦٩٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩٣٢ ، ٩٣٤ ، جـ ٤ ، ص ٣٩ – ٤٠ ، ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ٢ ، ص ٢٢٠ ، ابن طولون ، قضاة دمشق، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، السخاوى ، الذيل ، ص ٣٧٦ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ ، الصيرفى : نزهة النفوس ، جـ ١ ، ٤٨٧ .

(٦٩٩) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٤٣٠ – ٤٣١ .

(٧٠٠) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٤٧٦ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٧٠ – ٨٧١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٤ ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٧٠١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥١٣ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٩١٧ ، السخاوى ، الذيل ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ ، التبر المسبوك ، ص ١٤٥ .

(٧٠٢) ابن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٦٢٩ ، ٦٨٢ ، ٦٨٨ .

(٧٠٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ورقة ٢٢٠ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٦٦١ – ٦٦٢ ، ١٠٠٥ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ – ٣٨٠ .

الملاحق

ملحق رقم (١)
الوظائف العسكرية

مسلسل	الاســم	التاريخ	الوظيفه	المبلغ المبذول	المصادر
١	صلاح الدين بن عرام	١٣٧٦/٧٧٨	نيابة الاسكندرية	١٠٠٠ر٠٠٠ درهم	المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .
٢	الأمير فرج الحلبى	١٣٩٩/٨٠١	نيابة الإسكندرية	٤٠٠ر٠٠٠ درهم	العينى ، عقد الجمان ورقة ١٣ ب .
٣	سودون من عبد الرحمن	١٤٢٦/٨٣٠	نيابة دمشق	١٨ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ج ٤ ، ص ٧٣٧ .
٤	سودون من عبد الرحمن	١٤٢٩/٨٣٢	نيابه دمشق	١٥ر٠٠٠ دينار	الصيرفى ، نزهة النفوس ج ٣ ، ص ١٥٧ .

٥	سودون من عبد الرحمن	١٤٢٩/٨٣٢	نيابة دمشق	٥٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ج ٤ ، ص ٨٠١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج ١٤ ، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .
٦	الأمير جلبان	١٤٤١/٨٤٤	نيابة دمشق	١٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٤ .
٧	الأمير جلبان	١٤٤٥/٨٤٨	نيابة دمشق	٢٠٫٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ٣٥٩ .
٨	الأمير جلبان	١٤٤٨/٨٥٢	نيابة دمشق	١٠٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٠٠ .
٩	يشبك الموساوى	١٤١٠/٨١٣	نيابة طرابلس	١٠٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ج ٤ ، ص ١٣٨ ، ابن حجر ، انباء ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، ٤٨٢ .
١٠	جانم من ولى الدين	١٥١٣/٩١٩	نيابة طرابلس	٦٠٫٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .

مسلسل	الاســم	المبلغ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
١١	مقبل الرومى	١٤٣٣/٨٣٦	نيابة صفد	١٢٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٨٦ – ٨٨٧، ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ، ص ٥٠١ .
١٢	سودون القصروى	٩ هـ/١٥ م	امرة مائة	١٠٫٠٠٠ دينار	الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١١٠ .
١٣	مملوك ابن سعيد	١٣٤٦/٧٤٦	امرة طبلخاناة	٦٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ .
١٤	جمال الدين الحاجب	١٣٧٩/٧٨٠	امرة طبلخاناة	١٠٫٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، المقريزى ، السلوك ، ج٣ ، ص ٣٤١ السخاوى ، الضوء ، ج٣، ص ٣٦ .

١٥	يرديك الدوادار	١٤٦١/٨٦٥	دوادارية	٣٠٫٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٤٠٥
١٦	علاء الدين الأزبكى	٩ هـ/١٥ م	حجوبية طرابلس	٣٠٫٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٥٢٨ ٠
١٧	شهاب الدين أحمد ابن قليب	٩هـ/١٥ م	حجوبية طرابلس	٤٠٫٠٠٠ دينار	المصدر السابق ٠
١٨	عبد الغنى عبد الرزاق	١٤١١/٨١٤	أستادارية	٤٠٫٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج٣، ص ١٨٢ ـ ١٨٤ ٠
١٩	بدر الدين حسن بن محب	١٤١٥/٨١٧	أستادارية	١٥٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧
٢٠	سيدى أبو بكر	١٤١٩/٨٢٢	أستادارية	١٠٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٤٩٦ ، الصيرفى ،نزهة النفوس، ج ٢ ، ص ٤٤٦ ٠
٢١	ناصرالدين محمد بن شمس	١٤٢٣/٨٢٦	أستادارية	٢٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ ـ ٦٤٥ ابن تغرى بردى ، النجوم، ج ١٤ ، ص ٢٥٨ ٠

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
٢٢	أقبغا الجمالى	٨٣٣/١٤٣٠ م	استادارية	١٠٠٠٠٠ر١٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٢١ ، ابن حجر ، انباء ، ج ١ ، ص ٤٣٦ .
٢٣	أقبغا الجمالى	٨٣٥/١٤٣٢	استادارية	١٠٠٠٠٠ر١٠ دينار	المقريزى ، السلوك ج ٤ ، ص ٨٦٧ ، ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ، ص ٤٧١ ابن تغرى بردى، النجوم ، ج ١٤ ، ص ٣٥٧ .
٢٤	اسنبغا الأرغون	٨٥٤/١٤٥٠	استادارية الشام	١٠٠٠٠٠ر١٠ دينار	السخاوى،التبر المسبوك، ص ٣٠٨ .
٢٥	علاء الدين الطبلاوى	٨٣٨/١٤٣٥	ولاية القاهرة	٢٠٠ر١ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٩٣٦ ، السخاوى،الضوء اللامع، جـ ٥ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

٢٦	الأمير الماس	١٥١٦/٩٢٢	ولاية القاهرة	٤١ر٠١٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
٢٧	حاجي استاداربغا	١٣٥٤/٧٥٥	ولاية قوص	٢٥٠ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٨ .
٢٨	ناصر الدين محمد بن اياس	١٣٥٤/٧٥٥	كشف الوجه البحرى	٦ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٩ .
٢٩	علاء الدين بن الطشلاقي	١٣٩١/٧٩٣	ولاية قطيا	١٣٠ر٠٠٠ درهم	المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٧٣٦ .
٣٠	تاج الدين عبد الرزاق	١٣٩٥/٧٩٨	ولاية قطيا	٢٥٠ر٠٠٠ درهم	ابن حجر ، أنباء ، جـ ١ ، ص ٥١١ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ٨٥٤ .
٣١	الأمير عيسى الهوارى	١٤٤٠/٨٤٤	امرة هوارة	٧٠ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك جـ ٤ ، ص ١٢٠٤ .
٣٢	حسين بن بشارة	١٤١٥/٨١٨	مشيخه العشير	٣٠ر٠٠٠ دينار	ابن حجر ، أنباء ، جـ٣ ، ص ٥٥ .

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
٣٣	شاهين الجمال	١٤٧٢/٨٧٦	شادية بندر جدة	٢٠٫٠٠٠ دينار	الصيرفي ، انباء الهصر ، ص ٣٨٣ .
٣٤	الشريف خشرم بن دوغان	٩ هـ/١٥ م	امرة المدينة	٥٠٠٠ دينار	السخاوي ، الضوء ، ج ٢ ، ص ١٧ .
٣٥	حسين بن عجلان	١٤٠٩/٨١٢	امرة مكة	٥٠٫٠٠٠ دينار	الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٤،ص ١٠٧ ــ ١١١ .
٣٦	حسين بن عجلان	١٤٢٦/٨٢٩	امرة مكة	٣٠٫٠٠٠ دينار	ابن فهد ، اتحاف الورى، ج ٤ ، ورقة ٣٨٥ .
٣٧	محمد بن بركات	١٤٥٥/٨٥٩	امرة مكة	٥٠٫٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى،النجوم، ج ١٦ ، ص ٩٢ــ٩٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

ملحق رقم (٢)

الوظائف الديوانية

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
١	فخر الدين بن غراب	١٤٠٥/٨٠٨	وزارة ــ مصر	٢٠ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٣ ، ص ٥٠ .
٢	بدر الدين حسن بن نصر الله	١٤١٩/٨٢٢	وزارة ــ مصر	١٠٠ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٤٩٦ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٤٤٦ .
٣	تاج الدين عبد الرزاق	١٤٢١/٨٢٤	وزارة ــ مصر	٦٠٠ر٠٠٠ دينار	الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .
٤	قاسم القرافى	١٤٧٠/٨٧٥	وزارة ــ مصر	٢٠ر٠٠٠ دينار	الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ٢٢٦ .

٥	كمال الدين بن البارزى	١٤٢٠/٨٢٣	كتابة سر مصر	٤٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٥٣٨ .
٦	نجم الدين عمر بن حجى	١٤٢٤/٨٢٧	كتابة سر مصر	١٠٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٦٤ ، ٦٨٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ ، ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
٧	جلال الدين بن نجم الدين ابن حجى	١٤٢٩/٨٣٢	كتابة سر مصر	٩٠٫٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ، ص ٤٣١ ، السخاوى ، الضوء ، ج ٩ ، ص ١٩٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج ١٤ ، ص ٣٢٦ .
٨	أحمد بن صالح بن السفاح	١٤٣٠/٨٣٣	كتابة سر مصر	١٠٫٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٣٢ – ٨٣٣ .

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
٩	محمد بن البارزى	١٤٣٨/٨٤٢	كتابة سر مصر	١٫٥٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ورقة ٢٣٣ أ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١٠٨٤ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ .
١٠	محب الدين بن الشحنة	١٤٥٣/٨٥٧	كتابة سر مصر	٢٠٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، الذيل ، ص ٣٦٩ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
١١	برهان الدين الديرى	١٤٦٠/٨٦٦	كتابة سر مصر	١٠٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، الذيل ، ص ٩ .

١٢	شهاب الدين أحمد	١٣٨٠/٧٨٢	كتابة سر دمشق	٥٠٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، جـ ١ ص ٢٢٠ .
١٣	أحمد بن صالح بن السفاح	١٤٤٠/٨٤٣	كتابة سر حلب	٦٠٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ١١٨١ .
١٤	محب الدين بن الشحنة	١٤٤٤/٨٤٨	كتابة سر حلب	١٠٠٠٠ دينار	السخاوى ، الذيل ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ٣٨٥ الضوء ، جـ ٩ ، ص٢٩٨ ـ ٣٠١ .
١٥	جمال الكفاة	١٣٤٢/٧٤٣	نظر الخاص	١٠٠٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك جـ ٢ ، ص ٦٢٧
١٦	كريم الدين بن سعد المعروف بابن كاتب جكم	١٤٣٠/٨٣٣	نظر الخاص	٦٠٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، جـ ٣، ص ٤٤٧ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٨٢٠ .
١٧	ابراهيم بن كريم الدين	١٤٣٠/٨٣٣	نظر الخاص	٦٠٠٠٠ دينار	السخاوى الضوء ، جـ ١، ص ٦٩ .

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
١٨	عبد الرحمن بن الكويز	٩ هـ/١٥ م	نظر الخاص	١٢٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، الضوء ، ج ٤ ص ٧٧ ٠
١٩	تاج الدين بن الهصيم	١٤٦٩/٨٧٤	مستوفى الخاص	١٫٠٠٠ دينار	الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٢ ٠
٢٠	شرف الدين الدماميتى	١٣٩٧/٧٩٩	نظر الجيش ـ مصر	٤٠٫٠٠٠ر٤٠ درهم	المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٧٢ ٠
٢١	الولوى السفطى	١٤٤٧/٨٥١	نظر الجيش ـ مصر	٨٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٤٤ ٠
٢٢	ابن منصور الحلبى	١٣٨٨/٧٩٠	نظر الجيش ـ حلب	٢٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، الضوء ، ج ٩ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ٠
٢٣	القاضى فخر الدين	١٥٠٦/٩١٢	كاتب الجيش	٢٫٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٤ ، ص ٩٩ ٠

٢٤	أبو منصور بن كاتب الورشة	١٤٤٠/٨٤٤	نظر الاسطبلات	٧٠٠ دينار	السخاوى ، الضوء ، جـ ١٠ ، ص ٢٠١٠ ؛
٢٥	خليل بن شاهين الظاهرى	١٤٣٣/٨٣٧	نظر الاسكندرية	٦٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٩٠٧ ، ٩١٧ ، ٩٣٦ .
٢٦	أبو عبد الله بن الشيخ	٩ هـ/١٥ م	نظر جدة	١٠٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، الضوء ، جـ ١٠ ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .
٢٧	أبو الفتح الطيبى	١٤٥٠/٨٥٤	نظر الجوالى	٥٠٫٠٠٠ دينار	السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .
٢٨	ابن قرناص	١٣٤٦/٧٤٦	نظر حلب	٢٫٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

ملحق رقم (٣)
الوظائف الدينية

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
١	ناصر الدين الصالحى الشافعى	١٤٠٣/٨٠٥	قضاء ـ مصر	٦ر٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج٢ ، ص ٢٣٣ .
٢	ولى الدين السفطى الشافعى	١٤٤٧/٨٥١	قضاء ـ مصر	٤ر١٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ١٥ ، ص ٣٧٥ ، السخاوى ، الذيل ص ٢٥٣ .
٣	صالح بن عمر العسقلانى الشافعى	١٤٦٣/٨٦٧	قضاء ـ مصر	٨ر٠٠٠ دينار	السخاوى ، الذيل ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
٤	علم الدين البلقينى الشافعى	١٤٦٣/٨٦٨	قضاء ـ مصر	٨ر٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

٥	صلاح الدين المكينى الشافعى	١٤٦٦/٨٧٠	قضاء ـ مصر	٤٠٠٠ر٤ دينار	السخاوى ، الذيل ، ص ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، الضوء ، جـ ٢ ، ص٩٩ ـ ١٠٠ .
٦	بدر الدين أبو السعادات الشافعى	١٤٦٧/٨٧١	قضاء ـ مصر	٠٠٠ر٧ دينار	السخاوى ، الضوء ، جـ ٩ ، ص٩٥ ـ ١٠٠ ، الذيل ، ص ١٠٢ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .
٧	محيى الدين بن النقيب الشافعى	١٥٠٠/٩٠٦	قضاء ـ مصر	٠٠٠ر٧ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٤٤٨ .
٨	برهان الدين القلقشندى الشافعى	١٥٠٦/٩١١	قضاء ـ مصر	٠٠٠ر٣ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩١ ـ ٩٢ .
٩	محيى الدين بن النقيب الشافعى	١٥٠٦/٩١١	قضاء ـ مصر	٠٠٠ر٥ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
١٠	بدر الدين بن صلاح الدين المكينى الشافعى	١٥١٠/٩١٥	قضاء ـ مصر	٣٠٠٠ر٣ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، جـ ٥ ، ص ٩٠ .
١١	كمال الدين الطويل الشافعى	١٥١١/٩١٦	قضاء ـ مصر	٥٠٠٠ر٥ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠
١٢	محيى الدين بن النقيب الشافعى	١٥١٢/٩١٨	قضاء ـ مصر	٣٠٠٠ر٣ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤،ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
١٣	محيى الدين بن النقيب الشافعى	١٥١٥/٩٢١	قضاء ـ مصر	٣٠٠٠ر٣ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٤٦٠ .

١٤	كمال الدين الطويل الشافعي	١٥١٥/٩٢١	قضاء ــ مصر	٣٫٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٦٩ .
١٥	شرف الدين يحيى الدميرى المالكى	١٥١٥/٩٢١	قضاء ــ مصر	٢٫٠١٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ، ٢٥٥ ، ٤٧٧ .
١٦	بدر الدين بن الصواف الحنفى	١٤٦٣/٨٦٧	قضاء ــ مصر	١٠٫٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، النجوم جـ ١٦ ، ص ٣٢٦ ، السخاوى ، الذيل ، ص ١٢٥ .
١٧	حسام الدين محمود بن الشحنة الحنفى	١٥١٥/٩٢١	قضاء ــ مصر	٣٫٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٧٧ .
١٨	نور الدين على بن خليل الحكرى الحنبلى	١٤٠٠/٨٠٢	قضاء ــ مصر	٥٠٫٠٠٠ درهم	المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ١٠٠١ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ج ٢ ، ص ١٨٩ .

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفه	المبلغ المبذول	المصادر
١٩	عز الدين الشيشيني الحنبلي	١٥١٣/٩١٩	قضاء ــ مصر	١٠٠٠ر١ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .
٢٠	فخر الدين بن مسكين	٨ هـ/١٤ م	قضاء ــ اسكندرية	١٠٠٠ دينار	ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٤٩ ــ ٥٠ .
٢١	أحمد بن عواض	٨ هـ/١٤ م	قضاء ــ اسكندرية	٠٠٠ر٣ دينار	السخاوى ، الضوء ، ج٢ ص ٢٩ ــ ٣٠ ، ج ١١ ص ٢٦٢ .
٢٢	شرف الدين الدماميني	١٤٠٠/٨٠٢	قضاء ــ اسكندرية	٠٠٠ر٣ دينار	الصيرفى ، نزهة النفوس ج ٢ ، ص ٤٤ .
٢٣	شمس الدين أحمد بن السديد	٨هـ/١٤ م	قضاء ــ قوص	٠٠٠ر٢٠٠ درهم	المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٨ ، ٢١٦ .

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
٢٨	شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفى	١٤٢٤/٨٢٧	قضاء ـ دمشق	١٠ر٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ص ٦٦٤ .
٢٩	شمس الدين عمر الصفدى الحنفى	١٤٢٩/٨٣٢	قضاء ـ دمشق	٢ر٠٠٠ دينار	ابن طولون ، قضاة ، ص ٢١٠ .
٣٠	شهاب الدين التلمسانى المالكى .	١٤٥٦/٨٦٠	قضاء ـ دمشق	٥٠٠ دينار	ابن طولون ، قضاة ، ص ٢٦٠ .
٣١	فخر الدين بن شمس نوح	١٣٨٠/٧٧٢	قضاء ـ حلب	٥ر٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ١، ص ١٤١ .
٣٢	سراج الدين عمر بن موسى الحمصى	٩ هـ/١٥ م	قضاء ـ حلب	٣ر٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ٣، ص ٥٤٥ .
٣٣	محب الدين بن الشحنة	١٤٤٤/٨٨٤	قضاء ـ حلب	١٠ر٠٠٠ دينار	السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٠٠ ، ١٤٥ .

٣٤	صدر الدين محمد النويرى	١٤٣٤/٨٣٨	قضاء ـ طرابلس	٣٠٠ر١ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ص ٥٣٦ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٩٢٨ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ٣٠١ ،
٣٥	جلال الدين أبى السعادات	١٤٣٧/٨٤١	قضاء ـ مكة	٥٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ ، السخاوى ، الضوء ، ج٩ ص ٧٨ ٠
٣٦	شرف الدين بن روق	١٥١٤/٩١٨	مستوفى	٠٠٠ر٥ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ ٠
٣٧	تقى الدين بن هلال	٨ هـ/١٤ م	وكاله بيت المال	٠٠٠ر١٨٠ درهم	الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ٦ ، ص ٤٠٦ ٠
٣٨	تاج الدين محمد الحسبانى	١٤١٠/٨١٢	وكالة بيت المال	١٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ٠

مسلسل	الاســـم	التاريخ	الوظيفه	المبلغ المبذول	المصادر
٣٩	نجم الدين محمد الطنبدى	١٣٨٧/٧٨٩	حسبة ـ القاهرة	٢٠٠٠ دينار	المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٥٦٦ ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ١٧ ، ابن حجر ، انباء ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .
٤٠	شمس الدين محمد بن شعبان	١٤١٢/٨١٥	حسبة ـ القاهرة	٥٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج٢ ص ٥٢٠ ، العينى ، عقد الجمان ، ج ٢٥ ، ورقة ٣٧٠ ، المقريزى ، السلوك ، ج٤ ص ٢٥٣ .
٤١	صدر الدين بن العجمى	١٤١٢/٨١٥	حسبة ـ القاهرة	١٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، ج ٣ ص ١٨ ، المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

٤٢	شمس الدين بن يعقوب	١٤١٧/٨٢٠	حسبة ــ القاهرة	١٠ر٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، جـ ٣، ص ١٣٨ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤،ص ٣٨٤ الصيرفى ، نزهه النفوس جـ ٢ ، ص ٣٨٥ •
٤٣	عماد الدين بن بدر الدين الرشيد •	١٤١٧/٨٢٠	حسبة ــ القاهرة	٥٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، جـ٣، ص ١٤٠ ــ ١٤١ ، المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٣٩٧ •
٤٤	صـــارم الدين ابراهيم	١٤٢٠/٨٢٣	حسبة ــ القاهرة	١٠٠٠ دينار	ابن حجر ، انباء ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ ، المقريزى السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٣٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ أ•
٤٥	يار على الخرسانى	١٤٥٣/٨٥٧	حسبة ــ القاهرة	٢ر٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى،حوادث الدهور ، ص ١٩٦ •
٤٦	على بن أحمد الكاشف	١٤٥٣/٨٥٧	حسبة ــ القاهرة	٣ر٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ١٩٨ •

مسلسل	الاسم	التاريخ	الوظيفة	المبلغ المبذول	المصادر
٤٧	صلاح الدين بركوت المكينى	١٤٥٦/٨٦١	حسبة ـ القاهرة	٣٫٠٠٠ دينار	ابن تغرى بردى ، النجوم ج ١٦ ، ص ١١٢ ، السخاوى ، الضوء ، ج٢ ص ١٠١ ، على السخاوى تاريخ مصر ، ورقة ٩٥ ب ٠
٤٨	الامير ماماى الصغير	١٥١٦/٩٢٢	حسبة ـ القاهرة	١٥٫٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٢٧
٤٩	شهاب الدين الأنصارى	١٣٨٦/٧٨٨	مشيخة سعيد السعداء	٣٠٫٠٠٠ درهم	ابن حجر ، انباء ، ج١، ص ٣١٨ ٠
٥٠	أبو الفضل بن القطب القلقشندى	٩ هـ/١٥ م	مشيخة سعيد السعداء	٤٠٠ دينار	السخاوى ، الضوء ، ج٤ ص ٤٨ ٠
٥١	ابن البلقينى	١٤٦٠/٨٦٤	مشيخة سعيد السعداء	٥٠٠ دينار	السخاوى ، الذيل ، ص ٣٤٤ ٠

٥٢	شمس الدين السكندرى	١٥١٦/٩٢٢	امام الصلاة	١٫٢٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ١٣ .
٥٣	شهاب الدين الرومى	١٥١٦/٩٢٢	امام السلطان	١٠٠٠ دينار	ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٥ .
٥٤	السائح الرملى	١٣٩٩/٨٠٢	خطابة ـ القدس	٨٠٫٠٠٠ درهم	ابن حجر ، انباء ، جـ ٢ ، ص ٩٢ .

ملحق رقم (٤)

مرسوم بابطال ما كان ياخذه القضاة من البراطيل بالمسجد الجامع بقطيا بتاريخ سنة ١٤٥٠/٨٥٤

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . بتاريخ سابع عشرين صفر سنة أربع وخمسين وثمان مائة ، ورد مرسوم كريم الى بلاطنس وصهيون واللادقية من مولانا وسيدنا قاضى القضاة شيخ الاسلام برهان الدين السوبينى آسبغ الله ظلاله بابطال ما أحدثه قضاة السوء من الا[جرة] .

٢ ـ ... مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا ما ليس فيه فهو رد عليه وهو ما يأخذه القضاة من الرسم على القضاء وهو من السحت الحرام كقوله عليه السلام هدايا العمال غلول ...

٣ ، [ول]ـعنة الله وسخطه وغضبه على من أخذه بعد فى مستقبل الزمان ولعن الله من يرتشى أو يأخذ على الأحكام أجرة ولعن الله كل قاض يأخذ من قسوس النصارى قدر ما أو شمعا أو يأخذ من البلاد بيدرية ، ولعن الله من يأخذ على النساء من الأجناد وغيرهم حلوانا وهو البراطيل ، ولعنه الله وسخمه الله وعذبه .

٤ ـ ... ما كان عليه قضاة السوء من الامور المحرمة التى ترخصت ومن فعلها يغضب يا جبار ؟ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (١) .

---

(١) Sauvaget, Décrets mamlouks, BEO, XII, p. 43, No. 54.

ملحق رقم (٥)

مرسوم بابطال ما كان يأخذه القضـــاة من البيدرية بالمسجد الجامع بجبلة بتاريخ سنة ١٤٥٠/٨٥٤

١ ـ لما كان بتاريخ سابع عشرين صفر سنة أربع وخمسين وثمان مائة برز مرسوم شيخ ٠

٢ ـ الاسلام الشيخ برهان الدين قاضى القضاة السـوبانى بابطال المظالم ٠

٣ ـ والمحدثات وابطال اجراء البيدرية الذى (كذا) كان يأخذها قضاة

٤ ـ السوء حسب المراسيم الشريفة ٠٠٠ ملعون من يأخذها (١) ٠

---

(١) Sauvaget, Décrets mamlouks, BEO, XII, p. 50, No. 60.

ملحق رقم (٦)

سوم بابطال ما كان ياخذه المحتسب بثغر الاسكندرية بتاريخ ١٥١٦/٩٢٢

١ ـ برز المرسوم من المقام الشـ[ر] يـ[ف] •

٢ ـ السلطان المالك الملك [الأشرف] •

٣ ـ أبو النصر طومان باى سلطان •

٤ ـ الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة •

٥ ـ والمشركين محى العدل فى •

٦ ـ العالمين عن نصره أن يبطل •

٧ ـ ما على مقرر الحسبة بثغر الاسكندرية •

٨ ـ المحروسة ما هو فى كل شهر •

٩ ـ سبعة آلاف وخمسمائة درهم •

١٠ ـ بتا[ريخ] سنة اثنين وعشرين وتسعمائة (١) •

---

(١) أحمد دراج ، الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية ، المجلة التاريخية ، المجلد الرابع عشر ، ص ١٣١ •

ملحق رقم (٧)

مرسوم بابطال ما كان يأخذه المحتسب بالشام من المغسلين وحمالى الموتى بتاريخ ٨٠٢ – ٨٠٣/١٣٩٩ – ١٤٠٠ بالجامع الاموى بدمشق

١ – بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالأمر العالى ٠

٢ – المولوى الاميرى الكبيرى المالكى المخدومى ٠

٣ – السيفى سودون الدوادار نائب السلطنة الشريفة ٠

٤ – بالشام المحروس أعز الله أنصاره ٠

٥ – أن يتفش بابطال ما كان على المغسلين ٠

٦ – والحمالين لأمو[ا]ت المسلمين لنائب الحسبة الشريفة ٠

٧ – من الجهة المذكورة حسب المرسوم الشريف ٠

٨ – السلطانى الملكى الظاهري تغمده ٠

٩ – [الله برحمته ورضوانه ومن سعى باعادتها أو أعان عليه

١٠ – فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وسطرت هذه الحسنة فى صحائف مولانا السلطان خلد الله ملكه وجعل الأرض ملكه وآله (١) ؟؟] ٠

---

(١) Sauvaget, Décrets Mamlouks de Syrie, BEO, XII, No. 37, pp. 5,

أحمد دراج : الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ٢٤٢ .

ملحق رقم (٨)

مرسوم بابطال ما كان يأخذه المحتسب على الأسواق والطواحين وغيرها بتاريخ ١٤٥٩/٨٦٣ بالجامع الاموى بدمشق

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ لما كان بتاريخ نهار الجمعة المبارك ثامن عشرين

٣ ـ شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثمانمائة برز المرسوم

٤ ـ الكريم العالى المولوى الكافلى السيفى قانباى

٥ ـ احمزاوى الأشرفى كافل المملكة الشريفة

٦ ـ الشامية أعز الله أنصاره بابطال المقرر للحسبة

٧ ـ على الأسواق والطواحين وغيرها بدمشق

٨ ـ من التجار والوصائفية والصنائعية والمتسببة وغيرهم

٩ ـ وأن يؤخذ منهم درهم الفرد ولا مشاهرة

١٠ ـ ولا قدوم وملعون من يحدده

١١ ـ أو يسعا فى تجديده وعليه لعنة الله والملائكة

١٢ ـ والناس أجمعين والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم (١) .

---

(١) Sobernheim, Inschriftliche wiirtschafts und werwaltung-Verordnungen der mamluken-sultane aus Damaskus, Oppenheim Festschrift, Berlin, 1923, p. 121, No. VIII.

أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٣٣ .

ملحق رقم (٩)

مرسوم بابطال ما كان ياخذه المحتسب برسم البشمقدارية بدمشق بتاريخ ١٤٦٠/٨٦٤ بالجامع الاموى بدمشق

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم لما كان بتاريخ نهار [١] لجمعة عشرين
٢ ــ ربيع الآخرة سنة أربع وستين وثمانمائة رسم المقر الكريم
٣ ــ العالى المولوى السيفى جانم الأشرفى كافل المملكة الشريفة الشامية
٤ ــ اعز الله انصاره بابطال هذه المظلمة المعروفه بمشاهر[ة] الحسبة ومشاهرة
٥ ــ الدباغة التى برسم البشمقدارية عن المسلمين وأهل الذمة القاطنين
٦ ــ بدمشق المحروسة وضواحيها وأرباب المعايش والحرصاى (كذا) وأن
٧ ــ لا ... شيء وذلك ما قيمته درهم فرد حسب ما رسم واستمرار ذلك
٨ ــ على ممر الليالى والايام رغبة فيما قاله الصادق المصدق
٩ ــ عليه أفضل الصلاة والسلام من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من
١٠ ــ عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر [من]
١١ ــ عمل بها الى يوم القيامة فليتمثل ما رسم به كل من يتولا الحسبة والبشمقدارية
١٢ ــ ومن خالف ذلك او اعاده فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
١٣ ــ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما (١) .

---

(١) Sauvaget, Décrets Mamlouks de Syrie, BEO, II, No. 12, pp. 41-42.
أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٣٤ .

ملحق رقم (١٠)

مرسوم بابطال ما كان ياخذه المحتسب بدمشق من مشاهرة وغيرها بتاريخ ٨٦٨/١٤٦٤ بالجامع الأموى بدمشق

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم بتاريخ شهر شعبان المكرم سنة ثمان وستين وثمانمائة برزت

٢ ـ المراسيم السلطانية الملكية الظاهرية أبو سعيد خشقدم أعز الله سلطانه

٣ ـ ونصره الى مولانا ملك الأمراء كافل المملكة الشامية المحروسة والامير

٤ ـ حاجب الحجاب بها و [ال]سادة القضاة والأمراء أعز الله بهم الدين بأن يتقدموا

٥ ـ بازالت (كذا) المنكرات وابطال المحرومات والقاذورات ومحو آثارها وابطال

٦ ـ الخمامير واراقت (كذا) الخمور واخراج بنات الخطأ من دمشق الحصينة وابطال

٧ ـ ما على الحسبة الشريفة من المال المقرر الذى يسما (كذا) مشاهرة وما [أ] حدث على البضائع المجلوبة .

٨ ـ إلى دمشق من التحجير والكلف وتمكين أرباب البضائع من بيع بضائعهم أين شاءوا

٩ ـ واستمرار ابطال المكوس وفروعها التى أبطلت فى الأيام الظاهرية .

تابع ملحق رقم (١٠)

١٠ – جقمق طيب الله ثراه بأجمعها ومنع المكارية وأتباعه (كذا)
من

١١ – التعرض الى أبان (١) فلاحى القرا (كذا) والمزارع المجاورة
بدمشق المحروسة وتطهير دمشق من سائر

١٢ – المنكرات والمحرمات وابتغا (كذا) أجر هذا النداء بذلك (كذا)
فى كل وقت ونقش ما ٠

١٣ – رسم به من ذلك فى رخامة بباب الأمير حاجب الحجاب وتحمل
يبريديه الى الجا

١٤ – مع الأموى وتلصق على دعامة من دعائمه ليعدى بالعمل به [عن]
سائر مكوس

١٥ – الاسلام وتكون هذه الحسنة جارية فى [ال]صحائف الشريفة
على الدوام فقو[بل] ذلك ٠

١٦ – والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم (٢) ٠

---

(١) أى قبانى ٠

(٢) Sauvaget, Décrets Mamlouks de Syrie, BEO, XII, No. 42, pp. 18, 23.

أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٣٦ ٠

ملحق رقم (١١)

مرسوم بابطال ما استحدث على الخبازين ببيروت لنائب الحسبة بتاريخ ١٤٠٣/٨٠٦ أو ٨٦٠/ ١٤٥٦ بالجامع الكبير ببيروت

١ ــ بتاريخ سنة ستة (أو ستين) وثمان مائة ، رسم الجناب العالى الجمالى أمير كو نائب السلطنة الشريفة ببيروت المحروسة

٢ ــ أعز الله تعالى أنصاره بابطال ما كان استحدث على الخبازين ببيروت لنائب الحسبة الشريفة وهو فى كل شهر على كل فرن خمسة دراهم وكان الخبا [ز‌ون]

٣ ــ [طلبوا منه] ابطال ذلك وأن لا يؤخذ ... . ولا ... ... ولا يجدد مظلمه ملعون ابن ملعون من يعود [ها أو] يجدد ......

٤ ــ أو يأخذ منهم شيئا ولا يأخذ المحتسب الا جامكيته لا غير ومن يأخذ شيئا غير جاميكته تكون لعنة الله واجبة الا (كذا) [يوم الدين(١)] .

---

(١) Sauvaget, Décrets Mamlouks de Syrie, XII, No. 47, pp. 32, 33-35.

أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٣٨ .

ملحق رقم (١٢)

مرسوم بابطال ما كان يأخذه ناظر الحسبة على الطحانين والخبازين والسوقة وغيرهم ببعلبك بتاريخ ١٤٢١/٨٢٤ بالجامع الكبير ببعلبك

١ ـ لما كان بتاريخ شهر جمادى الآخر من سنة أربع وعشرين وثمانمائة حضر سيدنا الشيخ الصالح الزاهد العابد سعد (؟) الله حسن بن

٢ ـ شمس الدين محمد الملكى (كذا) بن أبو الحجاج الأقصرى المصر[ى] المعروف بشيخ السحيمية ناظر لحسبة الشريفة وعلى يده مرسوم

٣ ـ بابطال حق الشهر الذى جدد على الطحانين والخبازين والسوقة وغيرهم وألا يجدد عليهم مظلمة , ملعون ابن ملعون

٤ ـ من يجدد عليهم مظلمة وذلك فى أيام النائب خش قدم المظفرى (١)

---

(١) Sobernheim, Baalbek in Islamischen Zeit, Ergebnisse der ausgrabungen und untersuchungen in den yahren 1898 bis 1905, Band III, Berlin 1922, No. 30.

أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٣٩ .

ملحق رقم (١٣)

مرسوم بابطال ما كان ياخذه نظار الحسبة ببعلبك بتاريخ ٨٤٠/١٤٣٦ بالجامع الكبير ببعلبك

١ ـ الحمد لله ورد وقبل بالحمد مرسوم شريف الى دمشق المحروسة يتضمن بأبطال ما كانوا يتسادونه نظار

٢ ـ الحسبة الشريفة بالشام وأعمالها من السوقة وأرباب المعايش من معلوم وغيره وأشهر وقوبل المرسوم

٣ ـ الشريف المشار اليه شرفه الله تعالى بالامتثال ثم ورد مرسوم مولانا ملك الامراء أعز الله أنصاره

٤ ـ الى بعلبك بتضمن ما ورد المرسوم الشريف المشار اليه بابطال جميع ما كان يتسادونه

٥ ـ نظار الحسبة الشريفة من حق الشهر وقطع المصانعات عن بيان الظنون لما جاءت به المراسيم الشريفة

٦ ـ وذلك بتاريخ شهر ربيع الأول سنة أربعين وثمان ومائة (١)

---

(١) Sobernheim, Baalbek in Islamischen Zeit, No. 31.
أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٤٠ .

ملحق رقم (١٤)

مرسوم بابطال ما كان يأخذه المحتسب من سكان وقف جامع العطار بطرابلس بتاريخ ١٤١٨/٨٢١ بمدرسة السلطان المؤيد شيخ بطرابلس

١ ـ لما كانت بتاريخ العشر الأول من ربيع الأول سنة أحد وعشرين [و] ثمان مائة ورد المرسوم الشريف السلطان الملك المؤيد أبو (كذا) النصر شيخ بأن لا يؤخذ من سكان وقف جامع

٢ ـ العطار للمحتسبين من قدوم ولا شهر ولا اذا مكروه استجلاب أدعية المصلين ومن عمل به له أجره ومن خالف عليه غضب الله ولعنة الملائكة والناس أجمعين آمين (١) ٠

---

(١) Sobernheim, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Syrie du Nord, I, No. 47, p. 105.

أحمد دراج ، الحسبة ، المجلة التاريخية ، ص ١٤١ ٠

ثبت المراجع والمصادر

١ ـ مصادر عربية مخطوطة

ـ ابن اسباط الغربى ، تاريخ مصر ، مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ١٨٢١ ٠

ـ ابن بهادر ، فتوح النصر فى تاريخ مصر ، مخطـوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٣٩ ٠

ـ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٦٨ ـ ٢٠٧٣ ٠

ـ ابن الجوزى ، جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك ، مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ٦٧٣٩ ٠

ـ ابن حبيب ، درة الأسلاك فى دولة الاتراك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧١٩ ٠

ـ ابن حجر العسقلانى ، ذيل الدرر الكامنة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤٩ تاريخ تيمور ٠

ـ ابن دقماق ، الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٥٧٦٢ ٠

ـ ابن زنبل ، آخرة المماليك او واقعة السلطان سليم خان فى فتوح مصر مع السلطان الغورى وطومان باى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت أرقام ٤٤ م ، ١٢٤ م ، ١٢٩ م ٠

ـ ابن شاكر الكتبى ، عيون التواريخ ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٣٧٦ تاريخ ٠

- ابن الشحنة ، الذيل من كتاب المنهل فى التواريخ ، مخطوط ببرلين تحت رقم ٤١٢٥ .

- ابن الشحنه ، روض المناظر في أخبار الأوائل والآواخر ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٥٣٨ .

- ابن فهد اتحاف الورى باخبار أم القرى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٤ تيمور .

- ابن قاضي شبهة ، الاعلام بتاريخ الاسلام، مخطوط باكسفورد تحت رقم ١٤٣ .

- الباعونى ، اللمحة الأشرفية والبهجة السنية ، مخطوط بالمكتبة الأهليه بباريس تحت رقم ١٦١٥ .

- البرزالى ، المقتفى لتاريخ الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث باسطنبول تحت رقم ٢٩٥١ .

- البغدادى ، عيون أخبار الأعيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨١٠ .

- البنبى ، العقد الدرية فى الأمراء المصرية ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٦٠٨ .

- بيبرس الدوادار ، التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٢٩ .

- بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ٢٣٣٢٥ .

- الجزرى ، حوادث الزمان ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٦٧٣٩ .

- الجعفرى ، الجوهر الثمين فى أخبار الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٦١٧ .

- الخالدى ، ديوان الانشاء ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٤٣٩ .

- الذهبى ، تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الاعلام ، مخطوط بمكتبة آيا صوفيا باسطنبول تحت رقم ٣٠١٤ .

- الذهبي ، العبر في أخبار من غبر ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٥٨١٩ .

- الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٨٤ .

- السخاوي ، الجواهر والدرر ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢١٠٥ .

- السخاوي ، الدرة المضيئة في المآثر الأشرافية ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٦١٥ .

- السخاوي (علي بن احمد) ، تاريخ مصر ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بباريس تحت رقم ١٢٩أ .

- السفاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٠٦١ .

- السمهودي ، خلاصة الوفاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٧٧ .

- الشجاعي . تاريخ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيه، مخطوط ببرلين تحت رقم ٩٨٣٣ .

- الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر ، مخطوط بمكتبة طوبقاي سراي باسطنبول تحت رقم ٢١٤ ، ٢١٦ .

- الصفدي ، الوافي بالوفيات ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٥٦٥ .

- الطرسوسي ، تحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٤٤٥ .

- العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معرفة عامة .

- العيني ، تاريخ البدر في أوصاف العصر ، مخطوط بالمتحف البريطاني ، تحت رقم ٢٢٣٦٠ .

- العيني ، الشماريخ في التواريخ ، مخطوط باكسفورد تحت رقم ٦٠ .

- **العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان** ، مخطوط باسطنبول تحت رقم ٢٣٩١ ـ ٢٣٩٤ ٠

- **القيسرانى ، النور اللائح والدر الصادح فى اصطفاء مولانا الملك الصالح** ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧٠٨ ٠

- **محيى الدين ، الأرج المسكى فى التاريخ المكى** ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٥ تيمور ٠

- **مرعى بن يوسف ، نزهة الناظرين فى من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين** ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٨٢٧ ٠

- **المقدسى ، بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية** ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢٤٥١ ٠

- **المقريزى ، المقفى** ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢١٤٤ ، وبليدن تحت رقم ١٣٦٦ ٠

- **مجهول ، نزهة الانسان فى ذكر الملوك والاعيان** ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧٦٩ ٠

- **النويرى ، نهاية الارب فى فنون الأدب** ، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٥٧٣ ، ١٥٧٧ ـ ١٥٧٩ ، ١٥٨٧ ـ ١٥٨٨ ٠

- **اليونينى ، ذيل مرآة الزمن فى تاريخ الأعيان** ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث ـ باسطنبول تحت رقم ٢٩٠٧ ٠

٢ ـ مصادر ومراجع عربية منشورة

ـ ابراهيم علي طرخان ، النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨ .

ـ ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .

ـ ابن الأخوة ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، لندن ١٩٣٨ .

ـ ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، طبعة بولاق ١٨٩٣ ـ ١٨٩٥ ، وطبعة بول كالة ومحمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٦٩٣ .

ـ ابن بسام ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائى ، بغداد ١٩٦٨ .

ـ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، باريس ١٩٦٨ .

ـ ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور فى مـدى الأيام والشهور ، كاليفورنيا ١٩٣٠ ـ ١٩٤٢ .

ـ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠ ـ ١٩٧٢ وطبعة كاليفورنيا ١٩٠٩ ـ ١٩٣٦ .

ـ ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، القاهرة ١٩٥٦ .

ـ ابن تغرى بردى ، مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخـلافة ، كبردج ١٧٩٢ .

ـ ابن الحاج العبدرى ، المدخل ، القاهرة ١٩٢٩ .

- ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٩ــ ١٩٧٢ .

- ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المئــة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٢٩ ــ ١٩٣٢ .

- ابن حجر العسقلانى ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، القاهرة ١٩٥٧ .

- ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والبربر ، القاهرة ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ .

- ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق محمــد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٢٨ .

- ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ١٨٩٣ .

- ابن زنبل ، اخر المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ .

- ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، القاهرة ١٩٥١ .

- ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، باريس ١٨٩٤ .

- ابن صصرى ، الدرة المضيئة فى الدولة الظاهرية ، نشر وليم برينر ، كاليفورنيا ١٩٦٣ .

- ابن طباطبا الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسـلامية ، بيروت ١٩٦٠ .

- ابن طولون ، أعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق عبد العظيم حامد خطاب ، القاهرة ١٩٧٣ .

- ابن طولون ، قضاة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٦ .

- ابن طولون ، مفاكهه الخلان فى حوادث الزمان ، تحقيق محمــد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٤ .

- ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، رسالة دكتوراه لم تطبع ، محفوظة بمكتبة الدراسات الشرقية والآفريقية بلندن .

- ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور . القاهرة ١٩٦١ .

- ابن عبد الظاهر ، السلطان الملك الأشرف خليل ، القاهرة ١٩٠٢ ٠

- ابن عربشاه ، عجائب المقدور فى أخبار تيمور ، القاهرة ١٣٠٥ هـ ٠

- ابن العماد ، شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، القاهرة ١٩١٢ ـ ١٩٣٣ ٠

- ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، بيروت ١٩٣٦ ـ ١٩٤٢ ٠

- ابن قتيبة ، المعارف ، جوتنجن ١٨٥٠ ٠

- ابن كثير ، البداية والنهاية فى التاريخ ، القاهرة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ٠

- ابن واصل ، مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، الجزء الثالث ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

- ابن الوردى ، تتمة المختصر فى اخبار البشر ، القاهرة ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ٠

- أبو الفداء ، المختصر فى اخبار البشر ، القاهرة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ ٠

- أبى داود ، صحيح سنن المصطفى ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ٠

- أبى شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، بيروت ١٩٧٤ ٠

- أحمد بن حنبل ، المسند ، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ٠

- أحمد دراج ، الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية ، المجلة التاريخية المصريه المجلد الرابع عشر ، ١٩٦٨ ٠

- أحمد رمضان أحمد ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٧٧ ٠

- أحمد فؤاد متولى ، الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته ، القاهرة ١٩٦٧ ٠

- أحمد عزت عبد الكريم ابن اياس ، دراسات وبحوث ، القاهرة ١٩٧٧ ٠

- أحمد عبد الرازق ، دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة ، القاهرة ١٩٧٤ ٠

ـ احمد عبد الرازق ، العلاقات الاسرية فى المصطلح المملوكى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث والعشرين ١٩٧٦ ٠

ـ احمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة ١٩٧٥ ٠

ـ الأدفوى ، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

ـ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ ٠

ـ الجهشيارى ٠ كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٣٨ ٠

ـ حامد زيان ، الازمات الاقتصادية والاوبئة فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٦ ٠

ـ حسن الباشا ، الفنون والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ٠

ـ حسن حبشى ، الاحتكار المملوكى وعلاقته بالحالة الصحية ، حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ، ١٩٦٤ ، ص ١٣٣ ـ ١٥٨ ٠

ـ حسنين ربيع ، النظم المالية فى مصر زمن الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

ـ حكيم أمين عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ٠

ـ الدوادارى ، كنز الدرر أو الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبيرت ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

ـ الذهبى ، كتاب دول الاسلام ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ ٠

ـ الذهبى ، سير الأعلام والنبلاء ، القاهرة ١٩٥٧ ـ ١٩٦٢ ٠

ـ السبكى ، كتاب معيد النعم ومبيد النقم ، لندن ١٩٠٨ ٠

ـ السخاوى ، الذيل على رفع الآصر ، تحقيق جوده هلال ، محمد محمود صبيح ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

ـ السخاوى التبر المسبوك في ذيل السلوك ، بولاق ١٨٩٦ ٠

ـ السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٢٥ ـ ١٣٥٥ هـ ٠

ـ سعيد عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥ ٠

ـ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ ٠

ـ سعيد عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ٠

ـ السقاعى ، تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سوبليه ، فيسبادن ١٩٧٨ ٠

ـ السيد الباز العرينى ، المماليك ، بيروت ١٩٦٧ ٠

ـ السيوطى حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ ٠

ـ السيوطى الوسائل الى مسامرة الاوائل ، تحقيق سعد أطلس ، بغداد ١٩٥٠ ٠

ـ شادية قناوى ، ظاهرة الرشوة فى المجتمع المصرى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة قدمت لكلية الآداب ـ جامعة عين شمس سنة ١٩٧٦ ٠

ـ شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلانى ، مصنفاته ودراسة منهجه ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، قدمت الى كلية الآداب ـ جامعة بغداد سنة ١٩٧٦ ٠

ـ الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن من بعد ، القاهرة ١٣٤٨ هـ ٠

ـ الصفدى ، الوافى بالوفيات ، فيسبادن ١٩٦٩ ـ ١٩٧٤ ٠

ـ الصيرفى ، انباء الهصر . تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٠ ٠

ـ الصيرفى ، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ٠

ـ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ٠

ـ عبد الله بن عبد الظاهر، الالطاف الخفية فى السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرافية . ليبزج ١٩٠٢ ٠

ـ عبد الرحمن الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد ألباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦ ٠

ـ عبد اللطيف ابراهيم ، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر السلطان الغورى ، رسالة دكتوراه لم تطبع قدمت الى كلية الآداب ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٥٦ ٠

ـ عبد اللطيف أبراهيم ، تعليق على وثيقـــة السلطان قايتباى ، القاهرة ١٩٦١ ٠

ـ عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، القـــاهرة ١٩٦٠ ٠

ـ عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى الأول ، أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ، القاهرة ١٩٧٣ ٠

ـ عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٧٠ ٠

ـ عبد الوهاب عزام ، مجالس السلطان الغورى القاهرة ١٣٦٠ هـ ٠

ـ عريب ، صلة تاريخ الطبرى ، ليدن ١٨٩٧ ٠

ـ على ابراهيم حسن دراســـات فى تاريخ المماليك البحـــرية ، القاهرة ١٩٤٨ ٠

ـ على بن حسين السليمانى ، العلاقات الحجازية المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ ٠

ـ على مبارك ، الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ، بولاق ١٣٠٥ هـ ٠

ـ العينى ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ططر ، القـــاهرة ١٩٦٢ ٠

ـ العينى ، السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، القاهرة ١٩٦٨ ٠

ـ الفاسى ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

- فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، القاهرة ١٩٧٦ .

- قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٧ .

- القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩١٤ - ١٩٢٨ .

- القلقشندى . ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، القاهرة ١٩٠٦ .

- الكندى . كتاب الولاة والقضاه ، تحقيق جوست ، ليدن ١٩١٢ .

- الماوردى ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٧٣ .

- متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، بيروت ١٩٦٧ .

- مجير الدين ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، بيروت ١٩٧٣ .

- محمد أمين ، تاريخ الأوقاف فى مصر عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة القاهرة سنة ١٩٧٢ .

- محمد أمين . وثائق وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصورى، القاهرة ١٩٧٧ .

- محمد أمين صالح ، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة ، رسالة دكتوراة قدمت لجامعة عين شمس سنة ١٩٧٠.

- محمد جمال الدين سرور ، دولة بنى قلاوون فى مصر ، القاهرة ١٩٧٤ .

- محمد جمال الدين سرور ، دولة الظاهرة بيبرس ، القاهرة ١٩٦٠ .

- محمد حمدى المناوى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى القاهرة ١٩٧٠ .

- محمد مصطفى ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور لابن اياس ، القاهرة ١٩٥١ .

- محمد مصطفى زيادة ، نهاية سلاطين المماليك ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخيه ، القاهرة ١٩٥١ .

- محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، القاهرة ١٩٤٦ ـ ١٩٦٢ .

- محمود رزق سليم ، الأشرف قانصوة الغوري ، القاهرة ١٩٦٣ .

- مفضل بن ابى الفضائل كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تأريخ ابن العميد . باريس ١٩١١ .

- المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٠ .

- المقريزى ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٧٢ .

- المقـــريزى ، المواعظ والاعتبـــار بذكر الخط والآثار ، بولاق ١٢٧٠ هـ .

- النابلسى ، كتاب لمع القوانين المضيئة فى دواوين لديار المصرية ، تحقيق كلود كاهن ، دمشق ١٩٦١ .

- نعيم زكى فهمى ، طرق التجارة الدوليـــة ومحطاتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٧٣ .

- اليونينى ، ذيل مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، حيـــدر آباد ١٩٥٤ ـ ١٩٦١ .

٣ - المراجع الأجنبية

— Abd ar-Râziq (Ahmad) : La femme au temps des Mamluks en Egypte, Le Caire, 1973.

— Abd al-Râziq (Ahmad) : La hisba et le muhtasib en Egypte au temps des Mamluks, Annales Islamologiques, XIII, (1977), pp. 115-178.

— Abd ar-Râziq (Ahmad) : Les muhtasibs des Fostât au temps des Mamlûks, Annales Islamologiques, XIV, (1978) pp. 127-146.

— Abd ar-Râziq (Ahmad) : Deux jeux sportifs en Egypte au temps des Mamlûks, Annales Islamologiques, XII, (1974), pp. 95-130.

— Abd ar-Râziq (Ahmad) : Un document concernant le mariage des esclaves au temps des Mamlûks, JESHO, III/3, (1970), pp. 309-314.

— Amar (Emile) : La valeur historique de l'ouvrage biographique intitulé al-Manhal as-Sâfî, Mélanges Hartwig Derenbourg, Paris, Ernest Leroux, (1909), pp. 245-554.

— Ashtor (Eliyahu) : Le coût de la vie dans l'Egypte médiévale, JESHO, III, (1960), pp. 56-57.

— Ashtor (Eliyahu) : L'évolution des prix dans le Proche-Orient à la basse-époque, JESHO, IV, (1961), pp. 15-46.

— Ashtor (Eliyahu) : Les métaux précieux et la balance des payements du Proche-Orient à la basse époque, Paris, 1971.

— Ashtor (Eliyahu) : Some unpublished sources for the Bahrî Period. Studies in Islamic History and Civilization, ed. Uriel Heyed. (Scripta Hierosolymitana, IX), Jerusalem : Hebrew University, 1961, pp. 11-30.

— Ayalon (David) : L'Esclavage du Mamelouk. (Oriental Notes and Studies, No. 1), Jerusalem : Israel Oriental Society, 1951.

— Ayalon (David) : Studies on the structure of the Mamluks army, BSOAS, XV/2, (1953), pp. 203-228 ; XV/3, (1953), pp. 448-476 ; XVI/1, (1954), pp. 57-90.

— Ayalon (David) : The Circassians in the Mamluk Kingdom, JAOS, LXIX, (1949), pp. 135-147.

— Ayalon (David) : The Great Yasa of Chingiz Khan, Studia Islamica, XXXVI, (1972), pp. 113-158 ; XXXVII, (1973), pp. 107-156.

— Balog (Paul) : The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1974.

— Balog (Paul) : History of dirham in Egypt from the Fatimid Conquest to the collapse of the Mamluk Empire, RN, III, (1961), pp. 109-146.

— Balog (Paul) : American Num. Society, Museum Notes, 16, 1970.

— Berchem (Max Van) : Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, I, Egypte, MIFAO, t. 19, Le Caire, 1894-1903.

— Berchem (Max Van) : Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, II, Syrie, MIFAO, t. 43-44, Le Caire, 1922-1927.

— Bernard : L'organisation financière de l'Egypte sous les sultans mamlouks d'après Qalqachandi, Extrait du Bull. de l'Institut d'Egypte, VII.

— Bjorkmann (W.) : Beitrage zur geschichte der staatshauzlee im islamischen Aegypten, Hamburg, 1928.

— Bouard (M. De) : Sur l'évolution monétaire de l'Egypte médiévale, dans l'Egypte Contemporaine, 1939.

— Butcher (E.L.) : The Story of Church of Egypt, London, 1897.

— Cahen (Claude) : Les chroniques arabes concernant la Syrie, l'Egypte, et la Mésopotamie de la conquête arabe à la conquête ottomane dans les bibliothèques d'Istanbul, REI, IV, (1936), pp. 333-362.

— Cahen (Claude) : Quelques aspects de l'administration égyptienne médiévale, vus par un de ses fonctionnaires, in Bull. de la Faculté des Lettres de Strasbourg, Février, 1948.

— The Cambrige History of Islam, éd. P. M. Holt, Ann K. S. Lambton et Bernard Lewis, Cambridge, 1970.

— Darrâg (Ahmad) : L'Egypte sous le règne de Barsbay, Damas, 1961.

— Darrâg (Ahmad) : La vie d'Abul Mahâsin ibn Tagri Birdī et son œuvre, Annales Islamologiques, XI, (1972), pp. 163-182.

— Devonshire (R.L.) : L'Egypte musulmane, Paris, 1926.

— Dopp (P.H.) : Traité d'Emmanuel Piloti sur le passage en Terre Sainte (1920), Paris, 1958.

— Dozy : Supplément aux dictionnaires arabes, Paris, 1966.

— Encyclopédie de l'Islam, 1ère éd., et 2ème éd.

— Ernst (Hans) : Die mamlukischen sultansurkunden des Sinai-Klosters, Wiesbaden : Otto Harassowitz, 1960.

— Fischel (Walter J.) : Ascencus Barcoch, Arabica, VI, (1959), pp. 57-74, 152-172.

— Fischel (Walter J.) : Ibn Khaldun's activities in Mamluk Egypt (1382-1406), in Semitic and Oriental Studies, presented to W. Popper, Berkeley, 1951.

— Fischel (Walter J.) : The spice trade in Mamluk Egypt, a contribution to the economic history of medieval Islam, Leiden, 1958.

— Garcin (Jean Claude) : Un centre musulman de la Haute-Egypte Médiévale : Qûs, Le Caire, 1976.

— Gaudefroy-Demombynes : Les institutions musulmanes, 3e éd., Paris, 1946.

— Gaudefroy-Demombynes : La Syrie à l'époque des Mamlouks, BAH, Paris, 1923.

— Habashî (Hasan) : Historical studies on the manuscript of Ibn Hadjar (Inbâ' al-gumur fî anbâ' al-'umr). Thesis presented to the School of Oriental and African Studies, University of London, 1954-1955.

— Harff (Ritter Arnold von Coln) : Die Pilgerfahrt des durch Italien, Syrien, Aegypten, Arabien, Aethiopien, Nubien, Palestina, die Turkei, Frankreich und Spanien, Coln, 1810.

— Harrmann (Ulrich) : Quellen studien zur frünen Mamlukenzeit, Freiburg 1. Br. ; D. Robischon, 1969.

— Hennequin (Gilles) : Mamlouks et métaux précieux à propos de la balance des paiements de l'Etat syro-égyptien à la fin du Moyen-Age. Question de méthode, Annales Islamologiques, XII, (1974), pp. 37-44.

— Hennequin (Gilles) : Nouveaux aperçus sur l'histoire monétaire de l'Egypte à la fin du Moyen-Age, Annales Islamologiques, XIII, (1977), pp. 179-216.

— Heyed (W.) : Histoire du commerce du Levant au Moyen-Age, éd. française, Leipzig, 1923.

— Hautecœur et Wiet : Les mosquées du Caire, Paris, 1932.

— Ibn Khaldûn : Prolégomènes, trad. de Slane, Paris, 1862-1868, 2e éd., 1932-1933.

— Labib (Subhi) : Handelsgeschichte Aegyptens im Spätmittel alter 1171-1517, Wiesbaden, 1965.

— Lane-Poole (Stanley) : A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1901.

— Lane-Poole (Stanley) : Social Life in Egypt, London, 1884.

— Lane-Poole (Stanley) : Turkey, London, 1922.

— Laoust (Henri) : Les gouverneurs de Damas sous les Mamlouks et les premiers Ottomans (658-1156/1260-1744), Traduction des Annales d'Ibn Tûlûn et d'Ibn Gum'a, Damas, 1952.

— Lapidus (Ira) : Muslim cities in the later Middle Ages, Cambridge, 1967.

— Letts (F.S.A.) : The Pilgrimage of Arnold of Harff, London, 1946.

— Little (Donald) : An Introduction to Mamluk Historiography, Wiesbaden, 1970.

— Poliak (A.N.) : Les révoltes populaires en Egypte à l'époque mamlouke et leurs causes économiques, REI, 1934.

— Poliak (A.N.) : Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon (1250-1900), London, 1939.

— Popper (W.) : Egypt and Syria under the Circassian Sultans 1382-1468 A.D., systematic notes to Ibn Taghrîbirdî's chronicles of Egypt, XIV-XV, Berkeley : University of California Press, 1955-1957.

— Quatremère (M.) : Histoire des sultans mamlouks de l'Egypte, Paris, 1844-1845.

— Rabie (H.) : The financial system of Egypt, London, 1972.

— Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, I-XVI. Le Caire.

— Sadeque (S.E.) : Baybars the first of Egypt, Oxford, 1956.

— Salibi (K.S.) : Les listes chronologiques des grands cadis de l'Egypte sous les Mamlouks, REI (1957).

— Sauvaget (Jean) : Décrets mamlouks de Syrie, BEO, II, III, XII.

— Schregle (Gotz) : Die sultanin von Aegypten : Sagarat ad-Durr in der arabischen Geschichtsschreibung und Literatur, Wiesbaden, 1961.

— Sourdel (Janine) : Deux décrets mamlouks de Marqab, BEO, XIV, Damas, 1954.

— Sourdel (Janine) : Inscriptions arabes de Karak, BEO, XIII, Damas, 1951.

— Strauss (E.) : Prix et salaires àl'époque mamlouke. Une étude sur l'état économique de l'Egypte et de la Syrie à la fin du Moyen-Age, REI, (1949).

— Tyan (E.) : Histoire de l'organisation judiciaire en pays de l'Islam, Paris, 1938-1943.

— Van Gennep (A.R.) : Le ducat vénitien en Egypte, RN, 1897.

— Wiet (Gaston) : Les biographies du manhal sâfî, Le Caire, 1932.

— Wiet (Gaston) : L'historien Abûl Mahâsin, BIE, XII, (1929-1930), pp. 89-105.

— Wiet (Gaston) : Histoire des Mamlouks Circassiens, II, Le Caire, 1954.

— Wiet (Gaston) : Journal d'un bourgeois du Caire, I-II. Paris, 1955-1960.

— Wiet (Gaston) : L'Egypte arabe de la conquête arabe à la conquête ottomane, IV, de l'Histoire de la Nation Egyptienne de G. Hanotaux, Paris, 1937.

— Wiet (Gaston) : Répertoire des décrets mamlouks de Syrie. Extrait des Mélanges syriens offerts à M. René Dussaud, BAH, XXX, Paris, 1939.

— Wiet (Gaston) : Les secrétaires de la chancellerie en Egypte sous les Mamlouks circassiens. Extrait des Mélanges de René Basset, Paris, 1923.

— Zetterstéen (K.V.) : Beitrage zur geschichte der Mamlukensultane, Leyde, 1919.

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٣٩/١٩٧٩

ISBN ١٩٧٧ ٢٠١ ٧١٤ ٨

١٢٠ قرشـــا

مطابع الهيئة المصرية العـامة للكتاب